Bart D. Ehrman

بارت دي. أيرمان

كيف صار يسوع إلها

ترجمة: عبـد الأمير حميد

مراجعة: د. عبد الستار جبر

ألواح

الواح..اقلامنا التي ترى

كيف صارَ يسوعُ إلهاً

بارت دي. أيرمان

الطبعة الاولى :٢٠٢٥

عدد الصفحات:١٩٨

القياس:١٤,٥-٢١,٥

ISBN:978-9922-8653-9-3



الواح..اقلامنا التي ترى

الواح للنشر والتوزيع



مصمم الغلاف حسن أحمد عزت

+964 782 369 5852

الاخراج الفني

بارت دي. أيرمان

كيف صارَ يسوعُ إلهاً

ترجمة:عبد الأمير حميد

مراجعة:د. عبد الستار جبر

الفهرس

إهداء

الى.... أبي وأمي

مقدمة الترجمة

في إطــار التطــوّرِ التاريخــيِّ للعقيــدةِ المســيحيَّةِ الــذي كان تاريخــاً مــن النــزاعِ والجــدَلِ, أُقِــرَّ عــددٌ مــنْ الأناجيــلِ والرســائلِ باعتبارهــا قانونــاً ومرجعيَّــةً موثوقــةً, وَهُجِــر عــددٌ كثــيرٌ آخَــر، ورُفِضَــتْ مضامينُهُــا. ولــمْ يكــنْ هــذا إلّا لميْــلِ الى اعتقــاد معــيَّنٍ وانتصــارٍ لرؤيــةٍ محــدَّدةٍ. والظاهــرُ أنّ الــرؤى التــي تضمَّنهــا كلا الصِنفَــيْنِ مــنْ الأناجيــل كانــتْ كُلُّهــا مســيحيَّةً, بمعنــى كونِهــا أفــكاراً أصيلــةً في التفكــير المســيحيِّ الأوَّلِ الــذي كانَ متنوعــاً، فصفّــاهُ واختزلــهُ الــصراعُ الفكــريُّ الى مجموعــة محــدَّدةٍ.

هــذا هــو رأيُ المحقّقــينَ المعاصريــنَ في الــتراثِ المســيحيِّ, ســواءٌ أكانَ في مســتوى الكتــاب المقــدَّس الــذي درســوهُ بمناهــجَ متعــددةٍ مــنْ لغويَّــةٍ, وتاريخيــةٍ, واجتماعيــةٍ, أمْ كانَ في مســتوى حيــاة المســيحِ التاريخيَّــةِ والمظــانِّ التــي بُحِثــتْ فيهــا, وقَدْ دُرِســتْ مرتبطــةً بتاريــخِ المنطقــةِ التــي ظهــرَ فيهــا وبمعتقداتهــا, والبيئــةِ الفكريَّــةِ التــي عــاش فيهــا, ومــا أحــاطَ بهــا مــنْ بيئــات دينيَّــةٍ

واجتماعيَّـة.

ظَـلَّ سرْدُ التاريـخِ البـشريِّ, حتَّـى مُـدَّةٍ قريبـة تصـلُ الى مـا يزيـد قليـلاً عـلى المائـة عـام, سرْداً لقصـةِ الكتـاب المقـدَّس فيمـا وردَ في سِـفْرِ التكويـنِ الى أنْ حـدثَ الانقـلابُ الكبـير في الرُّؤيـة التاريخيَّـة بعـدَ التنقيبـات الآثاريـة, خصوصـاً, في وادي الرافديـن ومنطقـة شرق البحـر المتوسـط. لقـدْ اكتشـف العلمـاءُ, على أسـاسِ هـذه التنقيبـاتِ ومـا عثـروا عليـه مـن نصـوص عـلى الألـواح الطينيَّـةِ ولفافـاتِ الـبردي، ومـا كشـفت عنـه التنقيبـات مـنْ آثـارِ وبقايـا الحضـارات التـي كانـتْ قائمـة, شـكلاً آخـر للتاريـخ. وكُتـبَ تاريـخٌ قائـمٌ عـلى التحـرّي والتنقيـب والبحـث العلمـي. كمـا وجـدوا أنَّ لأغلـب قَصَـص الكتـاب المقـدَّس وشـخصياتِهِ أصـلاً في الأسـاطير الرافديّـةِ وفي أسـاطير سـوريا القديمـة ومـصر القديمـة وأديانهـا.

ومـا كان هـذا ليمـرَّ دونَ أنْ يكـونَ حافـزاً لإعـادة قـراءة الكتـاب المقـدَّس, وتوجيـه أحداثـهِ نحـو وجهـة صحيحـة. ثُـمَّ جـاء الحـدثُ الكبـيرُ الآخَـرُ الـذي كان اكتشـاف لفافـات البحـر الميِّـتِ ومخطوطـاتِ نجْـع حمَّـادي في أوائـل وأواسـط القرن العشريـن؛ إذْ عُثِـر عـلى الأناجيـلِ والأسـفارِ المسـتبعَدة. قدَمـتْ هـذه الاكتشـافات وسـائط ودلائـلَ بحـث للعلمـاء فجـاءوا عـلى مختلـفِ مناهجِهـم وبيئاتهـم الفِكريَّـةِ بأنـواعٍ مـنْ الفَهْـم الجديـد المسـتند الى المنهـج العلمـيِّ الحديـثِ, ونـشروا نتائـجَ كبـيرة فيمـا يتعلـق بتاريـخ المنطقـة وبأديانهـا, وطبعـاً, لقـدْ أفـاد كلُّ هـذا وفي درجـة عظيمـةٍ البحـثَ الـذي بـدأهُ علمـاءُ الكتـابِ المقـدَّسِ والعهـدِ الجديـد,

كما أفادَ البحثُ العلميُّ الذي تولّى دراسةَ شخصيَّةِ يسوع وتاريخيَّتِهُ, وتعاليمِهُ, وحقيقةِ وتاريخِ أفكارِ لاهوتِهِ الذي درسَ طبيعتَه, أيْ, ما يُدعى (الكريستولوجي-Christology)[1].

لَقدْ ظَلَّ العهدُ الجديدُ على نحوٍ تقليديٍ المصدرَ الرئيسَ لفهْمِ حياةِ يسوع وتعاليمِه حتَّى وقتٍ يقرب من المائة عامِ الماضية. فقبْلَها لمْ يبحث العلماء عنْ حقيقة يسوع في مصادرَ غيرِ العهدِ الجديد. وكما يرى بعضُ الباحثين, لقدْ تظافرتْ ثلاثةُ عواملَ جعلتْ العلماءَ يقصرون بحثَهم على العهد الجديد؛ كانَ أوَّلها:

- ما كان للعهد الجديد منْ منزلةٍ متميّزةٍ وقانونيَّةٍ باعتبارِهِ مقراً بوصفه مرجعاً معتَمداً في العقيدة لدى الكنيسة وفي البحث الأكاديمي. لذا فقدْ اعتُبر كلُّ ما قيلَ عنْ يسوع خارجَ العهد الجديد في الكتابات القديمة هامشياً. وحتىَّ إنْ كانتْ هذهِ الكتاباتُ قدْ اعتبرت موثوقةً, فإنَّها لمْ تُستعمل إلّا لدعمِ مصداقيَّة الأناجيلِ المقرةِ المتَّفقِ عليها (canonical)[2].

- العاملُ الثاني هو أنَّ البحثَ العلميَّ كان عادةً يُقلِّل منْ قيمة الشواهد الصغيرة التي تتعلق بيسوع والموجودة خارجَ العهد الجديد في الكتابات الكلاسيّكية الرُّومانيَّة

---

(١) هي مجال دراسة ضمن اللاهوت المسيحي مهتم بدراسة طبيعة يسوع، وخاصة كيفية ارتباط الألوهية والإنسانية في شخصه. (المراجع)

(٢) وتسمى الأناجيل القانونية. يُقصد بها الأناجيل التي تم قبولها في مجمع نيقيه، وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا. (المراجع)

واليهوديَّـة والمسـيحيَّة. وقـد أُعتُـبرتْ الكتابـاتُ المسـيحيَّةُ غـيرُ القانونيَّـةِ، عـلى نحـوٍ عـامٍ، متأخـرةً عـنْ العهـد الجديـد ومعتمِـدةً عليـهِ وغـيرَ مهمَّـة لفهـم يسـوع.

– ثالـثُ هـذهِ العوامـل هـو أنَّـه حتَّـى النصـف الثانـي مـنْ القـرن العشريـن, كان المتوفـرُ مـنْ الكتابـات عـنْ يسـوع في العهـد الجديـد أكثـرَ بكثـير ممّـا هـو خارجَـه. فلـم يكـنْ يوجـد آنـذاك الَّا مجموعـةٌ صغـيرة مـنْ الكتابـات المسـيحيَّة الغنوصيَّـة وأناجيـلُ غـيرُ قانونيَّـة, وكان أغلـبُ مصـادر معرفـة الغُنوصيَّـةِ هُـمْ خصومُهـا مـنْ آبـاء الكنيسـة مـن القـرن الثانـي.[1]

أمّـا في الوقـت الحـاضر فقـدْ تغـيَّرَ الحـال عـلى نحـوٍ تـامٌ. فـإنْ كانَ العهـدُ الجديـد لا يـزال يُعتَـبرُ قانونيَّـاً مقـرةً صِحَّتُـهُ لـدى الكنيسـة دونَ سـواه, فإنَّـه لـمْ يعـدْ يتبـوّأ المنزلـةَ المتميـزة ذاتَ الأفضليـة في أغلـب البحـث العلمـي. ينظـرُ أغلـبُ علمـاءِ العهد الجديـد ومؤرخـي الأزمنـة القديمـة الى الكتابـات المسـيحيَّة التـي هـي خـارجَ الكتابـات القانونيـة نظـرةَ اهتمـام شـديد. ويبـدو أنَّ بعـضَ العلمـاء يمنـح الكتابـاتِ غـيرَ القانونيَّـة المسـتبعَدةَ قيمـةً أكـبرَ ممّـا يمنحـه للكتابـاتِ القانونيَّـة. كمـا إنَّ تقـدّمَ البحـث في العلاقـة بـين اليهوديَّـة والمسـيحيَّة الأولى قـدْ أدّى الى فحـصٍ وتمحيـصٍ أكثـرَ موضوعيَّـةً وفائـدةً في الفقـرات المتعلقـة بيسـوع في الكتابـات اليهوديَّـة.

---

(١) Jesus Outside the New Testament, Robert E. Van Voorst, Wm. B. Edeman Publishing Co., 2000, p2.

حـدثَ اكتشـافانِ مهمَّـانِ جـداً وهمـا مـا سـبَّب الاهتمـامَ بالكتابـات الدينيَّـة المُسـمَّاة غـيرَ القانونيـة التـي كانـتْ قـدْ أُقصيـتْ. وقـعَ هـذانِ الاكتشـافانِ في أواسـطِ القـرنِ العشريـن. وأوَّلُ هذَيْـنِ الاكتشـافَيْنِ كانَ اكتشـافَ لفافـاتِ البحـر الميِّـت، الـذي أوضـح الوضـعَ الدينـيَّ اليهـوديَّ في زمـانِ يسـوعَ نفسِـهِ. أمّـا الثانـي فهـوَ اكتشـافُ مخطوطـاتِ نجْـع حمَّـادي، وقـد عثـر عليهـا في مـصر، وهـذه المخطوطـات قـدْ أوجـدتْ مدخلاً مبـاشراً الى الآراءِ الغنوصيَّـةِ المسـيحيَّةِ في الأزمنةِ المسـيحيَّةِ المبكرةِ. وباكتشـافِها أصبـحَ لـدى العلمـاءِ مـنْ مـادَّة الأناجيـلِ غـيرِ القانونيَّـةِ مـا هـو أكثـرُ مـنْ مـادَّةِ الأناجيـل القانونيَّـة. كذلـكَ تسـارعَ البحـثُ عـنْ المصـادر الأدبيَّـةِ للأناجيـلِ القانونيَّـة. كمـا يعتقـدُ العلمـاءُ أنَّ الكتابـاتِ غـيرَ القانونيَّـةِ وثائـقٌ مبكـرةٌ توفِّـرُ رؤيـةً ليسـوع أكثـرَ دقـةً ممّـا توفِّـرُهُ القانونيَّـةُ وهـم يعيـدونَ بجهـدٍ كبـيرٍ بنـاءَ الـكلام الراجـح مضمونـاً لبنـاءِ قاعـدةٍ أكثـرَ دِقَّـةً لفهـمِ البيئـةِ التاريخيَّـة لهـذه النصـوصِ ولِفهـمِ معناهـا الدينـيِّ.(2)

يمتـازُ البحـثُ المعـاصرُ في مسـألةِ يسـوع بالاهتمـام بالجانـبِ الاجتماعـي لحياتـهِ، ممـا اسـتدعى التعامـلَ مـع بيئتِـهِ المحليَّـة. ولهـذا، لابـدَّ للمـؤرِّخ الحديـث مـنْ التـزوِّدِ بمـا هـو أكثـرُ مـنْ الفهـم النقـديِّ للأناجيـل.(3) وفي معـرضِ الحديـثِ عـنْ الأناجيـلِ، لابـدَّ مـنْ القـول بـأنَّ العديـدَ مـنْ كُتّـاب الأناجيـلِ

---

(٢) -Ibid, p3.

(٣) -Jesus a Jewish Galilian, Sean Freyne, T&T Clark International, 2000.

قـدْ اعتقـدوا بحريَّـةِ إعـادةِ ترتيـبِ وتغيـيرِ المعلومـاتِ التـي ورثوهـا. ويمكـنُ إظهـارُ هـذا الأمـرَ بمقارنـةٍ بسـيطةٍ للأناجيل الثـلاثِ القانونيَّـةِ, وذلـكَ أنَّهـم لـمْ يكونـوا يعتقـدونَ أنَّهـم يكتبـون كتابـاً مقدَّسـاً. فقـدَ أشـار جسـتن الشـهيد الى الأناجيل باعتبارهـا (مذكَّـرات). واعتقـادُ جسـتن, كمـا هـو اعتقـاد كُلِّ أوائل المسـيحيين تقريبـاً, أنَّ الكتـابَ المقـدَّس هـو الترجمـةُ اليونانيَّـة للكتـابِ اليهـوديِّ المعـروف باسـم (الترجمـة السـبعينيَّة). ولـمْ تعتـبرْ الكنيسـةَ منتَجَـه الأدبـيَّ كتابـاً مقدَّسـاً (العهـد الجديـد) إلّا في وقـتٍ متأخِّـرٍ.[1]

لابـدَّ مـنْ الانتبـاهِ الى هـذا الاتصـالَ بـينَ اليهوديَّـة وتراثهـا وبـينَ المسـيحيَّة الأولى, فالكنيسـةُ المسـيحيَّةُ في القـرن الأوَّل قامـتْ عـلى الفهْـم اليهـوديِّ القديـم. كمـا إنَّ المعتقـداتِ غـيرَ المسـيحيَّة (التـي تُدعـى في الكتابـاتِ وثنيَّـةً) قـدْ دخلـتْ الكنيسـةَ حـينَ اعتنـقَ السُـكّانُ غـيرُ اليهـودِ المسـيحيَّةَ فقـدْ جلبـوا معهـم أُسـسَ معتقداتِهـم وفـسَّروا المسـيحيَّةَ وَفْقـا لهـا.[2]

لـو كانَ هـذا العالـم بـلا مسـيحيَّة, هـذا الديـن الـذي يعتنقه الآن أكثـر مـنْ مليـاريْ شـخص, لاختلفـتْ صـورةُ التاريـخِ والعالَمِ, أو عـلى الأقَـل, لـكانَ تاريـخَ البشريَّـة وحاضرَهـا في صيغـةٍ مختلفة الى حـدٍّ ليـسَ بسـيطاً. إذْ لـمْ تكـن الكنيسـةُ المسـيحيَّةُ مرجعيَّـةً

(١) From Jesus to Christ, Paula Fredriksen, Yale University Press, 1988, Introduction, p x.

(٢) -Banned From the Bible, Joseph B. Lumpkin, Fifth Estate ,2008, p7.

دينيَّـة فحسْـبُ, بـلْ كانـتْ لقـرونٍ طويلـةٍ مؤسسـةً سياسـيةً تنصِّب الأباطـرةَ والملـوكَ وتعزلهـم وتـشرِّع لحيـاةِ النـاس, وقـد حاولـتْ فـرضَ قالـبٍ خـاصٍ عـلى مسـيرة التاريـخ البـشريِّ لـمْ يُكسَر الّا بعـدَ تجـاربَ مريـرةٍ وقاسـيةٍ عاشـتْها شـعوبُ أوربـا وليـس تأثيرهـا عـلى شـعوب القـاراتِ الأُخَـر ببسـيط أيضـاً. إنَّ محـورَ المسـيحيَّة هـو شـخصيَّةُ يسـوعَ المسـيحِ, لذا فـإنَّ دراسـتَهُ حيـاةً وفكـراً كانـتْ ولا زالـتْ مهمَّـةً للمسـيحيّين الملتزمـينَ وللعلمـاءِ الباحثـينَ المهتمـينَ بدراسـةِ العقائـدِ والأديـانِ والتاريـخِ.

آمـنَ أشـياعُ يسـوع ببعثـهِ مـنْ المـوتِ بعـدَ صلبِـهِ وسرعـانَ مـا زعمـوا بـأنَّ اللـه قـدْ جعـلَ مـنْ موتِـهِ وبعثِـهِ خلاصـاً للبشريـة. ثُـمَّ تعـددتْ واصطرعـتْ العقائـدُ حـولَ ماهيَّتِـهِ, فبعـدَ أنْ أُعتُـبرَ الهـاً, أُختُلِـفَ في الوهيَّتِـهِ, متـى حدثـتْ, فهنـاك مـنْ رأى أنَّهـا حدثـتْ عنـدَ ولادتِـهِ, ورأى البعـضُ أنَّـهُ أصبـح إلهـاً عنـدَ تعميـدِهِ, واعتقـد آخـرونَ أنَّـه صـارَ إلهـاً عنـدَ بعثِـهِ مـنْ المـوت, وقـال البعـضُ أنَّـهُ كانَ مُنْـذُ الأزَل إلهـاً مـع اللـهِ الـربِّ الأبِ, يجلـس عـلى العـرشِ الى جانبـهِ. لقـدْ أصبحـتْ الهـوَّةُ واسـعةً جداً بـينَ يسـوعَ التاريخـيِّ, يسـوعَ الإنسـانِ, وبـينَ يسـوعَ العقيـدةِ.

وكمـا تعـددتْ الآراء لـدى المسـيحيّين حـولَ ماهيَّـة يسـوع, كذلـكَ تعـددتْ آراءُ العلمـاءِ الدارسـينَ لشـخصيّتِهِ فثمَّـةَ مـنْ يعتـبرُهُ نبيَّـاً يهوديَّـاً مُصلحـاً وآخـرُ ينكـرُ وجـودَهُ تمامـاً. وقـدْ كُتِـبَ الكثـيرُ مـنْ الكتُـبِ في الموضـوع مُنـذُ بدايـاتِ القـرن العشريـن وحتَّـى وقتِنـا الحـاضرِ, وتجـاوز الموضـوعُ الكتـبَ الى الصحافـةِ والنـدواتِ المتلفـزة.

يــدرسُ مؤلِّــفُ هــذا الكتــاب, البروفيســور بــارت دي. أيرمــان, شــخصيَّةَ يســوع واضعــاً إياهــا عــلى تدريــج, عــلى أحـدِ طرفَيْــهِ, يســوع النبــيُّ اليهــوديُّ المؤمــنُ والواعــظُ بقــربِ نهايــة العالــم والمبــشِّر بالقيــام الوشــيكِ لملكــة الــربِّ, وعــلى الطــرَفِ الآخَــرَ, يســوع الإلــهُ الأزليُّ في ألوهيَّتِـهِ الــذي يجلـسُ الى جانـب اللــهِ الأبِ عــلى العــرْش, يســوعُ ابــنُ اللــه. ومــا بــينَ هذَيْــنِ الطرَفَــيْنِ تقــعُ اعتقــاداتٌ متدرجــةٌ في قربهــا مــنْ الطرَفَــيْنِ.

وهــو يــدرس الموضــوعَ بــروحٍ نقديَّــةٍ علميَّــةٍ متأمــلاً الجوانــبَ التاريخيَّــةَ والبيئــةَ الفكريَّــةَ لعــصرِ ومجتمــعِ يســوع. والبروفســور أيرمــان ليــس ممَّــن ينكــرون الوجــودَ التاريخــيَّ ليســوع, بــلْ هــو مؤمــن بوجــوده, باحــثٌ عــنْ التصــوّرِ الأفضــلِ الأكثــرِ منطقيَّــةً وواقعيَّــةً لتصــوّرِ شــخصيتِهِ.

أيرمــان عالــمٌ خبــيرٌ بالعهــدِ الجديــدِ مــنْ الكتــاب المقــدَّس, يشــغلُ منصــبَ بروفســور في جامعــةِ (نــورث كارولاينــا) في أمــيركا. حــاز عــلى درجــة الماجســتير في اللاهــوت, وعــلى الدكتــوراه مــن مدرســة برنســتون اللاهوتيَّــة. كتــبَ وحــرَّرَ تســعةً وعشريــن كتابــاً بضمنهــا أربعــةٌ مــنْ الكتــبِ الأكثــرِ مبيعــاً في قائمــة النيويــورك تايمــز, وكتــبَ العــشراتِ مــنْ مراجعــاتِ الكُتــب والبحــوث لدوريَّاتٍ أكاديميــةٍ. لَقــد امتــازَ كتابُــهُ هــذا بالاختصــارِ والدقَّــةِ والشــموليَّةِ والوضــوح في موضــوعٍ يُعتــبر شــائكاً, هــذا الى جانــبِ منهجيَّــةٍ نقديَّــةٍ وعلميَّــةٍ. والكتــاب في الأصــل سلســلة محــاضرات ألقاهــا أيرمــان عــلى طلبتــه. قمــتُ بهــذا الجهــدِ المتواضــعِ في ترجمتِــهِ محاولــةً في تقديــمِ إضافــةٍ مفيــدةٍ الى الفكــرِ المنشــورِ بالعربيَّــة.

ولقـدْ كانَ مـنْ دواعـي سروري واعتـزازي أنْ يراجـعَ هـذا النـصَّ أسـتاذنُا القديـر د. عبـد السـتار جـبر, فلـهُ جزيـلُ الشـكرِ ووافـرُ الامتنـانِ.

عبد الأمير حميد

بغداد ٢٢/٩/٢٠٢٢

توطئة المؤلف

كانَ يسوع الناصريُّ واعظاً يتحدَّث عنْ نهاية العالَم الوشيكة, وقَدْ أعلنَ أنَّ اللهَ على وشك أنْ يتدخَّل في التاريخ, فيُطيح بقوى الشَرِّ ويقيم مملكة الخير على الأرض. في آخِر أسبوع منْ حياته, حملَ يسوع رسالته الى أورشليم عاصمة يهوذا, وهنا وُوجهَ بمعارضةٍ عنيفةٍ. أعتُقِلَ وحُكِمَ عليه بالموت صَلْباً. وماتَ كواعظٍ يهوديٍّ عاجزٍ ومنبوذٍ قدْ تنبأ بنهاية للزمان لمْ تحدثْ.

مع ذلك, بعد أربعة قرون تَلَتْ, لمْ يعتبرْ ملايين منْ البشر المنتشرين عَبْرَ الإمبراطوريَّة الرومانيَّةِ يسوع النبيَّ اليهوديَّ الفاشلَ, بل كائناً إلهيّاً لا يختلف عنْ الله الذي خلق الكون, ومساوياً في القوَّة والمنزلة للهِ الأبِ القديرِ.

تعالجُ هذه الدراسةُ جانبَ الكيفيَّة التي جرى عليها هذا

الأمـرُ. كيـف حـدث أنَّ هـذا الواعـظَ اليهـوديَّ المنبـوذ الـذي انتهـى بـه المطـاف أنْ يكـون خارجـاً عـلى الشريعـةِ اليهوديَّـة فصُلِـبَ جـزاءً لعملـه, كيـف, اعتقـدهُ النّـاس رَبَّـاً وخالقـاً لـكلِّ الأشـياءِ, وواحـداً مـنْ الثلاثـيِّ الإلهـي؟ فكيـف صـار يسـوع إلهـاً.

تبـدأ الدراسـةُ بوضـع تحـوُّلِ يسـوع مِـنْ واعـظٍ يهـوديٍّ الى الإلـه الـربِّ في سـياقهِ التاريخـيِّ بوسـاطة تفحُّـصِ كيـف إنَّ الناس في العصـور القديمـة قـدْ فهمـوا عـلى نحـوٍ مـنْ السـعة أنَّ الآلهـة يمكـنُ أنْ يصـيروا بـشراً, وأنَّ البـشرَ يمكـن أنْ يصـيروا آلهـةً. في محاضرتَـيْن, نـرى أنَّ هـذا كان ثيمـةً مشـتركة للأسـطورةِ والفكـر الشـعبيِّ لـدى اليونانيِّـينَ والرومـان القدامـى, وفي محاضرتَـين أُخرَيـين, سـنرى أنَّـهُ حتّـى ضِمْـنَ اليهوديَّـة, أُعتُقِـدَ أنَّ مـنْ الممكـن أنْ يكـونَ ثَمَّـةَ آلهـةٌ هـمْ مـنْ البـشر مـنْ جانـب, وبـشرٌ آلهـة مـنْ جانـبٍ آخـر.

مِـنْ هنـاك, ننتقـل الى حيـاة يسـوع التاريخيَّـة لنـرى النقـاط البؤريـة لِكهانتِـهِ, وعـلى وجـه خـاصٍّ, لنسـألَ إنْ كان قـدْ اعتـبرَ نفسَـه إلهـاً. وصحيـحٌ أنَّـهُ في الإنجيـل النهائـيّ للعهـد الجديـد - إنجيـل يوحنَّـا - يُدعـى يسـوعُ إلهـاً, ويُفهَـم عـلى أنَّـهُ إلـهٌ. وبالطبـعِ, وعَـبْرَ التاريـخ, اعتقـد المسـيحيون أنَّ هـذا مـا قالـه يسـوع عـنْ نفسـه. ولكـنْ, هـل ذلـك دقيـق تاريخيَّـاً؟ وسـنرى الأسـباب التـي قدَّمهـا المؤرّخـون وعلمـاءُ الكتـاب المقـدَّس لتبريـر اعتقادهـم بـأنَّ ذلـكَ لـمْ يكـنْ حَقّـاً عُنـصراً في رسـالة يسـوع العامَّـة.

في المحـاضرات الآتيـة سـنتفحَّص الحـدثَ الرئيـس, الحـدثَ

المفتاح، الذي عزَّزَ فكرة أنَّ يسوع كانَ إلهاً، بِغَضِّ النظر عمّا اعتقده أتباعه حولَه خلالَ مُدَّة حياته، وسنرى لِمَ كان الاعتقاد ببعْث يسوعَ هو الذي أدَّى بتلامذتِهِ الى الإيمان بأنَّهُ كان قَدْ رُفِعَ الى موقعٍ إلهيٍّ في السماء، وفي تلك النقطة كان قدْ جُعِلَ كائناً إلهياً. وفي مجرى تأملاتنا سنتفحَّص ما يمكن أنْ يقوله المؤرِّخون حولَ موتِ يسوع وحولَ بعثِهِ: هل دُفِنَ حَقاً في قبرٍ معروف؟ وهل عُرِفَ كونُ القبر خالياً بعدَ ثلاثة أيام؟ وهل حصلتْ رؤى لتلامذته حولَهُ بعدَ موتِهِ؟ وعلى وجهِ الخصوص، سنرى علة كون الإيمان بالبعْث لا يشير الى بداية الدين المسيحيّ فحَسْبُ، بلْ كذلك، هو ما أُطلق عليه الاعتقادُ بأنَّ يسوع كان قدْ صار إلهاً، وعلى نحوٍ أكثر ارتباطاً بالقضيَّة الأولى.

وبمرور الوقت، المسيحيّونَ الذين قدْ اعتقدوا أصلاً بأنَّ يسوع كانَ قدْ صارَ كائناً إلهيَّاً عندَ البعث، فكَّروا، بدَلاً منْ ذلك، بأنَّ يسوع كانَ قدْ حدثَ تَبَنٍ لهُ ليكون إلهيّاً عندَ تعميده (كما في إنجيل مرقص)، أو أنَّه كانَ قد وُلِدَ كابنٍ لله (كما في إنجيل متي وإنجيل لوقا). أخيراً، انتقل المسيحيّون منْ فكرة أنَّ يسوعَ كانَ قدْ صارَ ابنَ الله الى فكرة أنَّهُ قدْ كان إلهاً قبْلَ أنْ يأتي الى العالَم، وهذا رأي نجده في كتابات الرسول بولس وفي إنجيل يوحنّا.

وبعد إتمام استطلاع وجهات النظر المتعلقة بألوهيّة يسوع ضِمْنَ صفحات العهد الجديد، ننتقل الى القرنين الثاني والثالث الميلاديين، حيث كان لدى المسيحيِّين منْ ذوي

القناعات اللاهوتيَّة المختلفة طرائق متنوعة لفهم الكيفيَّة التي أمكن عليها للمسيح أنْ يكون إلهاً. وهنا نتأمَّلُ الفهمَ الدوسيتيَّ (docetic)(١)– نسبة الى الدوسيتيّين, وهم طائفة غُنوصيَّة – للمسيح, وفقاً لهذا الفهم, كان المسيح على قدر مِنْ الألوهيّة بحيث لَمْ يكنْ قطُّ بشريّاً على الإطلاق. ونتأمَّلُ الفهْمَ الغنوصيَّ: بأنَّ يسوعَ الإنسانَ كانَ كائناً مختلفاً عنْ المسيح الإلهيِّ الذي كان إلهاً استوطن مؤقتاً جسَدَ يسوع مدَّة خدمتهِ المعلَنةِ, كما نتأمَّلُ الفَهمَ الشكلي التمظْهُريَّ (Modalist) القائل بأنَّ يسوع كانَ إلهاً لأنَّه لَمْ يكنْ الّا اللهَ الأبَ وقدْ ظهَر في جسَدٍ.

في المحاضرات الآتية, سنرى أنَّ الجدل حول هذه القضايا هو ما أدَّى الى مبدأ الثالوثِ المسيحيَّ, بمعنى وجود ثلاثة أشخاصٍ, كلُّ واحدٍ منهم هو إلهٌ–الأبُ, والابنُ, والرُّوحُ القدس– لكنْ, على الرَّغْمِ مِنْ وجود ثلاثة فليس ثَمَّةَ الّا الله الواحد. سيشغلُ نقاش هذا الموضوع الجزءَ الأخير من الدراسة وهو نظرة في النزاع الأريويّ(٢) الذي شقَّ الكنيسة

---

(١) جاء من التعبير dokesis وdokeo والذي يعني(يبدو)، (يظهر)، (يُرى). ويعني الخيالي phantastic. فقد آمنوا أن المسيح كان مجرد خيال وشبح (phantom)، وأنه أحد الآلهة العلوية، وقد نزل على الأرض في جسد خيالي وليس فيزيائي، مادي، حقيقي، أنه روح إلهي ليس له لحم ولا دم ولا عظام، لأنه لم يكن من الممكن، من وجهة نظرهم، أن يتخذ جسداً من المادة التي هي شر في نظرهم! (المراجع)

(٢) نسبة الى آريوس (٣٣٦م): قسيس وزاهد وكاهن مسيحي في الإسكندرية بمصر من أصل بربري. اشتهر بتبنِّيه لمجموعة من التعاليم التي تدور حول الطبيعة اللاهوتية في المسيحية، التي أكّد فيها على تفرّد الآب، وتبعية المسيح للآب، ومعارضته لما أصبح سائدًا

المسيحيّة في القرن الرابع. تَمركَزَ هذا الصراع حول لاهوتيٍّ يُدعى (آريوس-Arius) الذي اعتقدَ بأنَّ يسوع كان إلهاً ثانوياً تابعاً قد خلقه اللهُ الأبُ قبل خلق الكون. هُوجِمَ آريوس منْ آخرين قالوا بأنَّ المسيح كان قد وُجِدَ دائماً- لم يأتِ الى الوجود قطُّ- وبدلاً مِنْ أنَّ يكون تابعاً للهِ فإنَّهُ كان مساوياً تماماً لهُ.

في المحاضرات الأخيرة سنشاهد الإمبراطور الروماني قسطنطين- أوّلَ إمبراطور اعتنق المسيحيّة- وقد دعا مَجمَع نيقيه الى حلِّ هذا النزاع بين آريوس وخصومه. هُزِمَ آريوس وأُعلِنَ المسيح مُصاحباً أزليّاً ومساوياً على نحو تامٍ للهِ الأبِ. معَ ذلك, كما سنرى, استمرت النزاعاتُ وما تضمنتْهُ في القرون التي تلتْ.

القِصَّة الكاملة لكيفيَّة صيرورة يسوع إلهاً هي قصةٌ على قدْرٍ عظيم منْ الأهميّة, ليس للمهتمّينَ بالدين المسيحيِّ لأسبابٍ شخصيّة أو لأسبابٍ تاريخيّة فحسْبُ, بلْ أيضاً, لكلِّ مَنْ لديهِ أدنى إلمام بالتاريخ. لو لمْ يكن يسوع قدْ أُعلِنَ إلهاً عندَ بعثه لظلَّ أتباعه طائفةً صغيرة ضِمنَ اليهوديّة قدْ انتهى المطاف بزعيمها الى الزيغ عن الشريعة فصُلِبَ جزاءً لفعلته. ولَما كان سيحدث الاعتناق الجماهيري وَسْطَ غير اليهود للعقيدة المسيحيَّة. ولَما كانَ الامبراطور الرومانيُّ سيعتنق المسيحيَّة. ولَما كانتْ الإمبراطوريَّة ستتبنى المعتقداتِ

حول طبيعة يسوع، فأصبح الموضوع الرئيس الذي نوقش في مجمع نيقيه الأول الذي عقده الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٢٥م. (المراجع)

والتوجُّهات المسيحيَّة. ولَما كانتْ القرونُ الوسطى, وعصرُ النهضة, وعصرُ الإصلاح, والحداثة ُلتحدث كما نعرفها الآن. ولكانَ أغلبنا لا يزال وثنيّاً. ولهذا السبب ليس ثَمَّةَ الّا القليل مِنْ الأسئلة في تاريخ الحضارة كلِّها ترقى الى أهمية هذا السؤال: كيف صار يسوع إلهاً؟

الفصل الأول

يسوع: الإنسان الذي صار إلهاً

بالطَبْـعِ, ثَمَّـةَ اختلافـات هائلـة في العقيـدة وَسْـطَ الطوائـفِ المسـيحيَّة المتنوعـة, لكـنَّ كلَّ الجماعـات المسـيحيّة تتفـق عـلى أمـرٍ واحـدٍ: لـمْ يكـنْ يسـوعُ مجـرَّدَ بَـشر, بـلْ كانَ, هـوَ نفسُـهُ, إلهـاً. هـذا الـرأي الدينيُّ-اللاهوتـيُّ يختلـف عـنْ آراء العلمـاء التـي هـي, أيضـاً, تقـدّم أنواعـاً مـنْ المنظـورات حـول يسـوع التاريخـيِّ.

سؤالٌ مهمٌّ

- السـؤالُ, كيـف صـار يسـوع إلهـاً؟ رُبمـا يبـدو في الظاهـر قضيّـةَ اهتمـام لاهوتـيٍّ فحسْـبُ, سـؤالاً لا يهـمُّ الّا المسـيحيّين المؤمنـين والعلمـاءَ. لكـنَّ حقيقـة الأمـر أنَّـهُ سـؤال يجـب أنْ يهـمَّ كلَّ مـنْ يعتقـد أنَّ التاريـخ مهـمٌّ, سـواء أكانَ مسـيحيَّاً أمْ لـمْ يكـنْ- وكمـا سـنرى في هـذه الدراسـة, هـو واحـدٌ مـنْ الأسـئلة

التاريخيَّــة الأكثــر أهميّــة في كلِّ الحضــارة الغربيَّــة.

- لــو لــمْ يكـن يســوع قـد أُعتُـبِرَ إلهــاً لَمـا كانــتْ الحضــارة الغربيّــة قــدْ تطــوَّرتْ كمــا نعرفهــا. ولِبيــان هــذا الأمــر نحتــاج الى خلفيَّــة للإيضــاح.
- مهْمــا أمكــنَ أنْ يكــون يســوعُ التاريخــيُّ, فــإنَّ يســوعَ النــاصريُّ كان واعظــاً يهوديّــاً قــدْ أعلــن عــنْ قُــرْبِ قيــام مملكــةِ اللــهِ عــلى الأرض.
- كانَ أتبــاع يســوع مــنْ الطبقــة الدنيــا, كانــوا فلاحــينَ مــنْ الجليــل يتحدَّثــون باللغــة الآراميــة. وفي مُــدَّة خدمــة يســوع مــا كانــوا مُدركــينَ أنَّــهُ كانَ يخطِّــط ليُطلِــقَ دينــاً جديــداً. لقــدْ ظنُّــوا أنَّــهُ كانَ يُقــدِّم لهــم فهْمــاً صحيحــاً وحقيقيَّــاً لِدينهــم, الديــنِ اليهــوديِّ.
- كمــا ســنرى عــلى نحــو موَّســع في هــذه الدراســة, لــمْ يكــن لــدى هــؤلاء الأتبــاع عندمــا كان يســوع حَيَّــاً أيَّ شــك في كونــه إنســاناً لا غــيرَ. ولــمْ يعتقــدْ العديــدُ منْهــم بأنَّــه كانَ قــدْ بُعِــثَ مِــنْ بــين الموتــى ورُقِّــيَ الى مملكــة الســماء إلَّا بعــد موتــهِ. وبالنســبة لهــم، بطريقــةٍ مــا, وبمعنــىً مــا, هــذا البعــثُ قــدْ جعلــهُ كائنــاً ســماويّاً.
- وهــذا مــا أدَّى بهــم الى تطويــر ديــن جديــد ليــس هــو الديــنُ اليهــوديّ الــذي كانــوا يدينــون بــهِ وقــتَ إتِّباعهــم يســوع عــلى الأرض, بــلْ, هــو ديــنٌ مســيحيّ بُنــيَ عــلى أســاس فكــرة أنَّ يســوع كان كائنــاً إلهيًّــاً قــدْ مــاتَ ورُفــعَ مــن بــيْن الموتــى.
- لَــو لَــمْ يُعتَــبَر يســوع إلهــاً فــإنَّ أتباعــه كانــوا ســيظلّون

ضِمْـنَ جماعاتهـم اليهوديَّـة كيهـود اعتقـدوا أنَّ معلمهـم الـذي مـات الآن كان شـخصاً قـدْ منحهـم تبـصُّراً حقيقيّـاً في الديـن القائـم, وفيمـا يجـب أنْ يكونـهُ الديـن. بعبـارة أخـرى, كانَ أتبـاع يسـوع سـيظلّون طائفـةً ضِمـنَ الديانـة اليهوديَّـة.

- لكـنْ, لأنَّهـم بـدأوا التفكـير بـأنَّ يسـوع كان أكثـر مـنْ إنسـانٍ, بـدأتْ رسـالتهم تُعجـب الغربـاء مِـنْ غيرهم. بـدأ المبشّرون مِـنْ قبيـل بولـص يـصرّون عـلى أنَّ الشـخص لا يجـب عليـه أنْ يكـون يهوديّـاً لكـي يكـون مِـنْ أتبـاع يسـوع. وبـدأ غـيرُ اليهـود في اعتنـاق العقيـدة الجديـدة عـلى نحـوٍ أكثـرَ مِـنْ اليهـود.
- هـؤلاءِ النَّـاس مِـنْ غـيرِ اليهـود, خصوصـاً, مـا كان سـيكون لديهـم مشـكلة بسـبب الاعتقـاد بـأنَّ بإمـكان إنسـان أنْ يكـون إلهـاً أيضـاً, وبـدأ اعتقادُهـم بيسـوع الإنسـانِ الإلـهِ ينتـشرُ عـلى نحـو السرعـة عَـبْرَ العالـم الرومانـيِّ. ومِـنْ خـلال العمـل الإنجيـليِّ والتبشـيريِّ, نمـتْ المسـيحيَّةُ عـلى نحـوٍ تدريجـيّ بمعـدل يقـارب الأربعـين في المائـة في كلِّ عقـدٍ مـنْ الزمـان. ومـعَ بدايـة القـرن الرابـع, كان خمسـةٌ في المائـة تقريبـاً مـن الإمبراطوريَّـة مسـيحيِّين.
- عندمـا اعتنق الإمبراطور قسطنطين هـذه العقيـدة, تحولتْ المسـيحية مـنْ ديـنٍ مضطَهـدٍ ومهمَّـشٍ الى قـوَّةٍ دينيَّـة سـائدة في الإمبراطوريَّـة. وبوجـود الدعـمِ الإمبراطـوريِّ كان بإمكانهـا, أيضـاً, أنْ تُصَلِّـب نفسـها, وتسـتغل القـوَّةَ العلمانيَّـة لدعـم معتقداتهـا اللاهوتيَّـة ومـنْ ضمْنهـا الاعتقـاد بـأنَّ يسـوعَ نفسَـهُ كان إلهـاً.
- مـا يعنيـه كلُّ هـذا أنَّـهُ لـو أنَّ أتْبـاع يسـوع مـا كانـوا

قـدْ قـرروا أنَّ يسـوع ليـسَ مجـرَّد إنسـانٍ فـانٍ, لظـلَّ الديـن المسـيحيُّ جـزءاً مـنْ الديـن اليهـوديِّ. وإذْ كانـت الامبراطوريّـة الرومانيّـة قـدْ سـيطر عليهـا الديـن, فبالنتيجـة, مـا كانَ تاريـخُ أواخـر العـصر القديـم، ولا العصـور الوسـطى ولا عـصر الاصـلاح ولا الحداثـة قـدْ حـدثَ في الصيغـةِ التـي نعرفُهـا.

- وهكـذا, فزعْـمُ المسـيحيَّةِ المُبكـرةِ أنَّ يسـوعَ نفسَـه كانَ إلهـاً قـدْ غـيَّر، عـلى نحـوِ كامـل، مجـرى التاريـخ العالمـيِّ لـكلِّ الزمـان.

اعتنـاقُ الإمبراطـورِ قسـطنطينَ المسـيحيَّة في أوائـلِ القـرْنِ الرابـعِ الميـلاديِّ حـوَّلَ العقيـدةَ الى قـوةٍ دينيَّـةٍ سـائدةٍ في الإمبراطوريَّـةِ الرومانيَّـةِ.

يسوعُ كإلهٍ في الأزمنة الحديثة

- قضيـةُ أنَّ أتبـاع يسـوع بـدأوا يدعونـه إلهـاً لـمْ تؤثِّـر في تاريـخ الحضـارة الغربيـة فحسْـبُ, بـلْ أيضـاً, في مليـارات النسَـمات في عصرنـا الحـاضر.

- في عالمنـا المعـاصر, يعتِـبر مـا يقـارب المليارَيْـن مـنْ النَّاس أنفسَـهم مسـيحيِّين, والأغلبيـةُ السـاحقة مـنْ هذَيْـن المليارَيْـن تعتقـدُ بـأنَّ يسـوعَ إلـهٌ, بمعنـىً مـنْ المعانـي.

- لا يؤثِّـر الديـنُ المسـيحي فيمـا يعتقـده النـاس فَحَسْـبُ، بَـلْ أيضـاً, في كيفيـة اختيارهـم طريقـةَ عَيـشِ حياتهـم, وفي

الاختيارات الأخلاقيَّة التي يقرّرونها, وفي انشغالهم بالسياسة, وفيما يدعمون منْ نظريَّاتٍ اقتصاديَّة, وفيما يؤمنون بهِ منْ بناءٍ اجتماعيٍّ.

• لو كان يسوعُ قدْ أُعتُبِرَ مجرَّدَ إنسانٍ آخَرَ منْ البشر، فإنَّ العديد- أو الأغلب- منْ هؤلاءِ المسيحيِّين ما كانوا لتساعدهم العقيدةُ في إرشاد معتقداتهم وأخلاقهم ووجهات نظرهم الاجتماعيَّة والسياسيَّة.

• وهذا سؤالٌ عَنْ: مَنْ كان يسوع حقَّاً أقلُّ منْ كونه سؤالاً عنْ الذي اعتقده أتباعه- واستمرّوا- على هذا الاعتقاد.

خطٌّ زمني ونظرة عامة للاعتقاد المسيحي

• لسْنا على يقين تامٍ حول تواريخ يسوع. تاريخُ ولادته المعتاد يعطى على أنَّه العام الرابع بعد العصر المسيحي، وسبب ذلكِ هو أنَّ هذا التاريخ هو تاريخ موت الملك هيرود[1]. ويُحتَمَل أنَّ يسوع قدْ مات حوالي العام ٣٠م, في ظلِّ حكم بيلات[2] الذي حكم منْ العام ٢٦م حتى العام ٣٦م.

• وكانَ مؤلِّفنا المسيحيُّ الأولُّ هو بولص, وكان يكتب في

(١)هوردس أو هيرُودِسُ (٧٣ق. م.-٢م): عُينّ حاكمًا على الجليل، ثم أصبح ملك مقاطعة اليهودية. بسط نفوذه على المنطقة الممتدة من هضبة الجولان شمالاً إلى البحر الميت جنوباً. وكانت أيام حكمه تمثل ازدهاراً ثقافياً واقتصادياً، وقد كان حليفاً أميناً للإمبراطورية الرومانية. (المراجع)

(٢)بيلاطس البنطي. ولد في ١٠ ق. م.. كان الحاكم الروماني لمقاطعة يهودا- التي تعرف كذا باسم أيوديا- بين عامي ٢٦ إلى ٣٦. وحسب ما هو مكتوب في الأناجيل المعتمدة، فإنه قد تولى محاكمة المسيح، وأصدر الحكم بصلبه. (المراجع)

حـوالي العـام الخمسـين الى السـتين الميـلاديّ. ويُحتَمَـل أنَّ أناجيـل العهـد الجديـد كُتِبَـت بـينَ العـام الخامـس والسـتين والخامـس والتسـعين الميـلاديّ، ابتـداءً بإنجيـل مرقـص أوَّلاً، بعـدَ ذلـك, إنجيـل متّـي وإنجيـل لوقـا. ومـنْ بعدهمـا, إنجيـل يوحنّـا.

• ويُحتَمَـل أنَّـه في غضـون مُـدَّة العهد الجديـد– القَـرْن الأوَّل للإيمـان المسـيحي- كان ثَمَّـةَ العديـدُ مـنْ الآراء المختلفـة حـول يسـوعَ, واللـهِ, والخـلاصِ, وقضايـا أُخَـر.

• ثبـتَ أنَّـهُ مـنْ الصعـب عـلى المؤرِّخـينَ تحديـد أيِّ المجتمعـات المسـيحيَّة آمنـتْ في هـذه المُـدَّة الأبكـر بالكنيسـة, وسـببُ ذلـك, الى حَـدٍّ كبـير, يعـود الى كوننـا مقيَّديـن بمصادرنـا الموجـودة مـن المعلومـات.

• معَ ذلك, اختلفت آراءُ بولص عنْ آراء خصومه في مدينتي جلاطية وكورنيث[٣]

, ويشمل هذا آراءهم عنْ أهميّة موتِ يسوع وبعْثِه.

• يُضحـي هـذا الاختـلاف المبكـر أوضـحَ في المُـدَد الزمنيَّـةِ التاليـة. وأصْـلاً, في القرنَـيْن الثانـي والثالـث, كانـتْ المسـيحيَّة متنوعـة عـلى نحـوٍ يثـير الدهشـة في اختـلاف الزعمـاء المسـيحيّين واجتماعهـم حـول قضايـا أساسـيّة عـلى نحـوٍ مطلَـق.

• يمكـن لحـظ هـذا في الآراء المسـيحيَّة القديمـة حـول اللـه,

---

(٣)غلاطيـة: منطقـة قديمـة تقـع في وسـط الأناضـول بتركيـا. انتـشرت المسـيحية فيهـا بعـد توجيـه الرسـول بولـس رسـالة إلى أهـل غلاطيـة. أمـا كورنثـة أو كورينثـوس Corinth: فهـي مدينـة يونانيـة تقـع في وسـط جنـوب البـلاد. أمـضى فيهـا بولـس الرسـول ١٨ شـهراً عـام (٥٢-٥٣م). حيـث كتـب الرسـالة الأولى والثانيـة إلى أهـل كورنثـوس. (المراجـع)

أكانَ إلــهُ الكتــاب المقــدَّس خــيِّراً أم شريــراً. كذلــك, نعثــرُ عــلى خــلافٍ في الآراء المتعلقــة بالخلْــق- أكانَ العالــمُ هــو الخَلْــقُ الجيِّــدُ لإلــهٍ مُحِــبٍّ أمْ كانَ مكانــاً ســيئاً صنعتْــهُ آلهــةٌ ســيئةٌ وجاهلــةٌ.

- كمــا يمكــن أنْ نــرى اختلافــاً في النظــر الى الكتــاب المقّــدس- أكانَ الكتــابُ اليهــوديُّ وَحْيــاً مــنْ الأعــلى, أمْ كانَ كتابــاً قُصِــد بِــه إضــلال العِــرْق البــشريّ.
- هــذهِ الاختلافــات القديمــة الثابــتُ وجودُهــا في القرنــين الثانــي والثالــث كانــتْ واضحــةً عــلى نحــوٍ خــاصٍّ في فهْــم المفاهيم المســيحيَّة حــول يســوع.
- هلْ كانَ يسوع إنساناً وليسَ إلهاً؟
- هلْ كانَ يسوع إلهاً وليسَ إنساناً؟
- هــلْ كانَ يســوع كائنَــيْنِ مختلفَــيْنِ, أحدهمــا إلــهٌ, والآخَــر إنســانٌ؟
- هــلْ كانَ يســوع كائنــاً في جُــزءٍ منْــهُ إلــهٌ, وفي الجُــزء الآخَــر إنسانٌ ؟
- هــلْ كانَ يســوع كائنــاً واحــداً, هــو إلــهٌ عــلى نحــوٍ تــامٍّ, وإنســانٌ عــلى نحــوٍ تــامٍّ؟ وإنْ كان الأمــر عــلى هــذا النحــو, فكيــفَ أمكــنَ هــذا؟

عقيدة نيقيه

- لقــدْ وصلــتْ النزاعــاتُ حــول المســيح ذروتهــا في بواكــير القــرن الرابــع, مبــاشرةً بعــد اعتنــاق قســطنطين للمســيحيَّة.

• بدايةً في أوائل القرن الرابع, بدأ زعماء الكنيسة في إقامة مؤتمرات توصّلوا فيها الى بيانات تخصُّ العقيدة يجب على المؤمنين الالتزام بها.

• بدأ تدوينُ العقائد المسيحيَّة: وجوب إتِّباع بيانات الإيمان منْ جهة كلِّ مَنْ أعلن نفسَهُ مسيحيًّاً.

• أشهر هذه العقائد هي عقيدةُ نيقيه، وقد سُمِّيَت بهذا الاسم لأنَّها قدْ تبناها مجمع أساقفة الكنيسة من جميع أنحاء العالم الذين اجتمعوا لمناقشة هذه القضايا في (نيقيه)، وهي مدينة في آسيا الصغرى (تركيا الحاليَّة).

• وعقيدةُ نيقيه واضحة وحاسمةٌ في توكيدها أنَّ المسيح إلهاً. ليسَ هو الأبُ, لكنَّه مساوٍ له في كلِّ الوجوه, وليس بالتابعِ لهُ مطلقاً. لقدْ كان موجوداً دائماً، وهو مَنْ خلَقَ الكونَ.

• أصبح هذا اعتقاداً معياريًّاً في الكنيسة المسيحيَّة وفي الآخِر, اعتقاداً معياريًّاً للأباطرة الرومان أنفسِهم.

• لو كانَ يسوع قد ظلَّ يهوديًّاً مصلوباً– وليس إلهاً– ما كانتْ المسيحيَّة لتُصبِح دين روما مطلقاً، وما كُنَّا ليكون لنا تاريخ الغرب، وربَّما كان ما لا يُحصَى منْ النَّاسِ قدْ ظلَّ و ثنيًّاً .

نظرة عامة للدراسة

• عبْرَ هذه المحاضرات الأربع والعشرين, سنتوغل بعمق ملحوظ في العديد من الأسئلة المهمَّة:

- كيـف فهـمَ النـاس القدامـى- وثنيِّـين ويهـوداً – أنَّ الآلهـة يمكـنُ أنْ يكونـوا بـشراً، وأنَّ البـشر يمكـن أنْ يكونـوا آلهـة؟
- مـا الصفـاتُ الرئيسـة لكهانـة وإعـلان يسـوع العامَّـين؟ وعـلى وجـه الخصـوص مـا يُعلِّـمُ ومـا يقـول عـنْ نفسِـه؟
- مـا جعـلَ، عـلى وجـه التحديـد، المسـيحيّينَ الأوائـل يقولون بـأنَّ يسـوع كانَ أكثـر مـنْ معلِّمٍ يهـوديٍّ؟
- كيـفَ ناقـش المسـيحيُّون الأوائـلُ طبيعـةَ المسـيح في القـرون التاليـة ليسـوع؟
- وكيـفَ خـرجَ معنـى القـرن الرابـع, الـذي أُورِثَ لمسـيحيّ الزمـن الحـالي مـنْ هـذه النقاشـات ليكـونَ يسـوع ليـس إلهـاً بمعنـىً مـن المعانـي, بـلْ, إلهـاً تامًّـاً, خالـقَ السـماء والأرض؟

الفصل الثاني
الآلهة اليونانيّة-الرومانيّة الذين صاروا بشراً

عـرفَ العالـمُ القديـم أكثـر مِـنْ فـانٍ اعتقـدهُ النـاس ابنـاً للإلـهِ, مثـل, الفيلسـوف الوثنـي (أبولونيـوس) مـن (تيانـا)، الـذي قيـل بأنّـه قـدْ جـاءَ بمعجـزات, وبأنّـه عـرجَ الى السـماء بعـدَ موتـه. كيـف أمكـنَ للنّـاس القدامـى أنْ يعتقـدوا بـأنَّ إنسـاناً يمكـن أنْ يكـون إلهـاً أو أنَّ إلهـاً يمكـن أنْ يكـون إنسـاناً؟ لجـواب هـذا السـؤال, نحتـاج الى معرفـةٍ أكثـر بالديـن في العالـم اليونانيّ– الرومانيّ.

أبولونيوس من تيانا

- قبـل ألفـي سـنة وُلِـدَ رجـلٌ متميـز في الجـزء البعيـد مِـنْ الإمبراطوريـة الرومانيّـة: وكانـت أُمُّـهُ قـدْ أُخـبِرَتْ بأنّـهُ لـن يكـون فانيـاً, بـلْ سـيكون إلهـاً, وقـدْ ولدتْـهُ عـلى نحـوِ المعجـزة.
- وفي مرحلـة الرُّشـدِ جمـع هـذا الرجـل حولـه تلامـذةً آمنـوا

بأنَّـه ابـن الإلـه. وقـام بمعجـزات لإثبـات إلوهيّتـهِ: شـفاءِ المـرضى, وطـردِ الشـياطين, وبعـثِ الأمـوات. وفي نهايـة حياتـه، صعـدَ الى السـماء.

- كان هـذا الرجـل هـو أبولونيـوس مـنْ تيانـا, فيلسـوفٌ وثنـيٌّ كان نشـطاً مـا يقـرب مـنْ الخمسـين عامـاً بعـدَ يسـوع واشـتهرَ في عـصره.
- ونعـرف أمـوراً عـن حيـاة أبولونيـوس مـنْ كتابـات أحـد أتباعـه المتأخِّريـن الـذي أقـام روايتَـه عنْـهُ عـلى أسـاسٍ مـنْ كلامِ شـاهدٍ عيـان.
- فيمـا بعـدُ, كان ثَمَّـةَ نزاعـاتٌ بـينَ أتبـاع يسـوع وأتبـاع أبولونيـوس تعلقـت بمـنْ كان ابـن الإلـه حقـاً ومَـن كان مزيَّفـاً– ونشـاهد هـذه النزاعـات في معـارك كلاميّـة بـينَ الوثنـيِّ هيروكليس والمسـيحيِّ يوسـيبوس.
- لكـنَّ المهـمَّ أنْ نلحـظ أنَّ هذَيْـنِ لـم يكونـا ابنـي الإلـه الصانعَـيْن للمعجـزات في العالـم القديـم. فَلَقَـدْ كانَ ثَمَّـةَ عـددٌ منهـم– عـددٌ يكفـي لجعـل فكـرة الكائـن البـشريِّ الإلـهِ منتـشرةً عـلى نحـوٍ واسـع عـبْر العـصْر القديـم.
- ومـنْ أجْـل فهـم كيـف اسـتطاع النَّـاس في ذلـك العـصر أنْ يعتقـدوا أنَّ الانسـانَ يسـتطيع أنْ يكـون إلهـاً. أو أنَّ الإلهَ يسـتطيع أنْ يكـون إنسـاناً, نحتـاج مـنْ أجـل هـذا, أنْ نعـرف أكثـر حـول الدِّيـن في العالـم اليونانيِّ–الرومانـيِّ.

الشِرْك القديم

- واقعيًّـاً, كلُّ شـخص في العالـم القديـم كانَ مُـشركاً- ماعـدا اليهـود, وبالنتيجـة, المسـيحيِّين أيضـاً-. يدعـو العلمـاءُ أحيانـاً هـذهِ الأديـانَ اليونانيَّـة- الرومانيَّـة (وثنيَّـةً), وهـي تسـميةٌ ليـس لهـا في هـذا السـياق معنـىً مُـسيء.
- كانَ للمُشركـين اليونانيِّين-الرومانيِّـين آلافُ الأديـان المختلفـة, لكـنَّ الخصائـص المشـتركة لهـذه الأديـان كانـتْ عظيمـةً عـدداً.
- كانَ لهـذه الأديـان الشِرْكيَّـة (متعـددة الآلهـة) العديـد مـنْ الآلهـة- آلهـة لـكلِّ وظيفـة, وغـرضٍ, ومـكان غـير متخيَّـل. وكانَ يجـب عبـادة هـذه الآلهـة بالصلـوات والأضاحـي.
- وكانـتْ هـذه العبـادةُ تُـرضي وتـسرُّ الآلهـة, وفي المقابـل, يمكـنْ أنْ يسـاعد الآلهـةَ البـشر في تذليـل صعوبـات الحيـاة.
- لـمْ تعتقَـدْ أديـان الـشِرْك بوجـود فجـوة كبـيرة تفصـل عوالـم الآلهـة عـنْ عوالـم البـشر.
- وهـذا هـو المفهـوم الشـائع (أي, الفصـل بـين العالَـمْين) في الوقـت الحـاضر, وعـلى نحْـوِ الخصـوص في الأديـان الغربيّـة (اليهوديـة، والمسـيحية، والإسـلام) لكنَّـه لـمْ يكـن الـرأي الواسـع الانتشـار في العالـم القديـم.
- في اعتقـاد القدامـى مـنْ اليونانيِّـين والرومانيِّـين, العالـمُ الإلهـيُّ والعوالـمُ البشريَّـة مأهولـةٌ بكثافـة, والبَـشَرُ والآلهـةُ في نـوعٍ مـنْ التدريـج في العظمـةِ والقـوَّة.
- وأحيانـاً, يتداخـل تدريجيـاً, وهكـذا, يمكـن, بمعنـىً مـا، لبـشَرٍ أو بعـض البَـشر أنْ يكونـوا آلهـة.

- رُبَّمـا يكـون الأسـهل أنْ نتخيَّـل العالـم الإلهـي لـدى الوثنيّـين القدامـى كنـوع مـنْ الهَـرَم, يشـغل ذروةَ قمتـه الإلـهُ النهائـيُّ, ويشـغل الدرجـةَ التـي دونَهـا الآلهـةُ العظمـى لليونـان والرومـان, ثـمَّ الدرجـة التـي تليهـا يشـغلها الآلهـةُ المحليّـون والأدنـى قـوَّةً, بعدَهـا تأتـي الدرجـة التـي يشـغلها الكائنـاتُ الروحيَّـة الأقـلُّ قـوَّة مـنْ الآلهـة لكنَّهـا تتدخَّـل عـلى نحـو أكثـر في شـؤون البـشر وهـي مـا تسـمى الأرواح, أو العفاريـت (daimonia). الدرجـة الأخـيرة يشـغلها (البـشَرُ الآلهـة).
- تحـتَ هـذهِ الدرجـة يقـع البـشرُ الذيـن هُـمْ أنفسـهم يمكـن أنْ يُرتَّبـوا مـنْ جهـةِ القـوَّةِ والـذكاءِ والجمـالِ في درجـات.
- بهـذا الفهْـم, لا يفصـلُ شـقٌّ العوالـمَ الإلهيَّـة عـنْ العوالـم البشريَّـة, بَـلْ يفصلهـا نـوعٌ مـنْ التدريـج المسـتمر.

نماذج منْ الإنسان الإله

في هـذا الـرأي القديـم حـول العالـم الإلهـيِّ كان يمكـن للآلهـة أحيانـاً أنْ يكونـوا بـشَراً, أو يصـيروا بـشراً, كمـا كان يمكـن للبـشر أنْ يكونـوا, أو يصـيروا آلهـةً أحيانـاً. كان ثَمّـةَ ثلاثـة نمـاذج لـ(البَشَر الآلهـة في هـذا العالـم).

- أحيانـاً, فُهِـمَ أنَّ شـخصاً وُلِـدَ مـنْ اتّحـاد جنـسيٍّ لإلـهٍ مـعَ فـانٍ; وهكـذا, كانَ ذلـك الشـخص, بمعنـىً مـا, إلهـاً في جُـزْءٍ, وفي جُـزْءٍ بـشراً.
- وفي أحيـان أُخَـر, فُهِـمَ أنَّ بـشراً رفعتْـهُ الملائكـةُ الى عالمهـا, عـادةً مـا يكـون هـذا بعـدَ موتِـه, وفي هـذه المرحلـة يُؤلَّـهُ ويُجعَـلُ

منه إلهاً.

آلهة يصيرون بشراً

- ثَمَّةَ قَصَص عديدة في الأساطير القديمة حول آلهة تتخذ مؤقتاً هيأةً بشريَّةً مِنْ أجْل لقاء البشَر, أو التحدُّث اليهم، أو التفاعل معهم.
- في وجوه عديدةٍ, تشبه هذه القَصَص معتقداتٍ مسيحيَّة حول المسيح في كونه إلهاً سابق الوجود جاء الى الأرض كإنسان, ولا يعود الى العالم الإلهي الّا فيما بعد.
- وبالطبع, يمكن العثور على القَصَصُ الوثنية في أساطير اليونانيّين والرومان القدامى. واحدٌ من الأمثلة المثيرة للاهتمام الذي يُفيد في إيضاح هذه المسألة هو رواية رواها الكاتب الرومانيُّ (أوفيد-Ovid)[1] عن (تَجَسُّدٍ) مؤقتٍ للمشتري وعطارد ولقائهما مع الشَيْخَين المسنَّين فيليون وبارسيس.
- التَجسُّد, يعني حرفياً (الظهور باللحم). وفعلتْ الآلهة هذا أحياناً, وَفْقاً للحكايات الأسطوريَّة التي رواها أوفيد.
- كان أوفيد واحداً من عظماء المؤلِّفين الرومان القدامى الذي روى قَصصاً توارثها النَّاسُ لقرونٍ, خصوصاً تلك التي

(١)ببليوس أوفيديوس ناسو Publius Ovidius Naso (٤٣ ق. م.-١٧م)، المعروف بلقب أوفيد، شاعر روماني قديم، من أشهر أعماله (التحولات Metamorphoses) بعام ٨م، والتي كانت عن الميثولوجيا الإغريقية والرومانية. وعرف بكتابته حول استكشاف الحب مثل قصيدة (فن الحب Ars Amatoria) التي كتبها في السنة الأولى قبل الميلاد. (المراجع)

في كتابه (التحولات- Metamorphoses).

- في القِصَّة، يثير اهتمامنا المشتري (جوبيتر)، كبير الآلهة، وعطارد (ميركري) رسول الآلهة، وقد اتخذا مؤقتاً شكلاً بشريًّاً، وزارا منطقة آسيا الصغرى. كان الشيخانِ اللطيفانِ فيليمون وباوسيس الوحيدَيْن اللذَيْن رحَّبا بهما واستضافاهما في بيتهما.
- نتيجة لذلك، على الرغم منْ أنَّ كلَّ مَنْ رفض استقبال الآلهة كان سيُدمَّر، مُنِحَ الشيخان كلَّ ما رغبا ممَّا في نفسيهما. وقدْ طلبا أنْ يُجعلا في منصب رئيس مزار الآلهة وأنْ يموتا وهما على انسجام.
- هنا، لدينا حكاية عن إلهَيْن يزوران البشر في هيأة بشرية، ولوقتٍ قصير نسبياً. لم يكونا قابلَين للتمييز بينَ البشر الاخرين؛ يتفاعلانِ معَ البشر، وينتج عنْ تفاعلاتهما بصيرةٌ وبرَكةٌ.

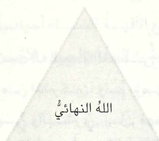
قصة أوفيد والعهد الجديد

- تبدو قصة المشتري وعطارد كامنةً وراءَ روايةٍ مثيرة للاهتمام توجد في العهد الجديد، في كتاب أعمال الرُسُل، وهي رواية لنشاطاتٍ تبشيريَّةٍ لأتباعِ يسوع بعدَ موتهِ.
- في رحلةٍ للرسولَيْن بولص وبارناباس في آسيا الصغرى، وبسبب معجزةٍ قاما بها توَّهم النَّاس أنَّهُما زيوس وهرمس (كان زيوس هو النسخة اليونانية لجوبيتر (المشتري) الرومانيِّ، أمَّا هرمس فكان النسخةَ اليونانيَّة لميركيري (عطارد)، تذكَّر

النَّاس في هذه المنطقة قصةَ فيليموت وباوسيس ولم يريدوا تكرار الخطأ الذي وقع فيه أولئكَ الذين حكم عليهم الإلهانِ بالتدمير.

- تُظهِرُ هاتانِ القِصَّتانِ واحداً مِنْ أوجه خيال النَّاس القدامى حول إمكانيّة وجود شيء ما يشبه البشر السماويّين: يمكن لآلهةٍ أنْ يتَّخذوا هيأة البشر منْ أجل زيارة النَّاس والتفاعل معهم.

الفهْمُ القديم للعالَم الإلهيِّ يشتمل على نوع من الاستمراريَّة مع العالم البشريِّ, بدلاً منْ أنْ يحتوي على صدْعٍ يفصل الاثنين.



الآلهةُ العظيمةُ لليونان وروما

الآلهةُ المحليَّةُ الأقلُّ قوَّةً

الأرواح Daimonia

البشَرُ الآلهة

الفصل الثالث
البشرُ كآلهةٍ في العالَم اليونانيِّ-الرومانيِّ

كما رأينا، كانتْ الغالبية العظمى منْ سكّان العالم اليونانيِّ-الرومانيِّ من المشركين. ولمْ يؤمن هؤلاءِ بحدٍّ فاصل بينَ العالَمَيْن الإلهيِّ والبشريِّ, بلْ, فهموا هذَيْن العالَمَيْن باعتبارهما قابلَيْن للتداخل. اطَّلعنا على نموذج واحد منْ هذا التداخل: كائنات إلهيَّة تصير بشَراً. في هذه المحاضرة سنطَّلع على نموذجَيْن آخرَيْن: بشَر يولدون لآلهة, وبشَر يُرفَعون الى السماء, وعادةً يكون هذا بعدَ الموت, ليصبحوا آلهة.

بَشَرٌ وُلِدوا آلهةً

- في العالَم القديم, كانَ منْ الشائع أنْ يُفَكَّرَ في شخصٍ ذي قوَّةٍ فائقة أو ذكاءٍ فائق بأنَّهُ أكثر مِنْ بَشَرٍ.
- في بعض الحالات, وُجِدَتْ هذه المنزلة بسبب أنَّ هذا

الشخصَ لمْ يكنْ مجرَّد إنسان فانٍ, بلْ كان لهُ أبٌ منْ الآلهة. وهذا ما كان منْ حال الإسكندر الكبير, فقد أُشيعَ أنَّه ابن زيوس.

• يخبرنا الكاتب المسرحيّ الرومانيّ بلوتوس[1] في مسرحية (امفيتريون) في رواية مازحة عنْ مثل هذه الولادة. وفي هذه المسرحية تحبل ألخمينا أمُّ هيركليس منْ نظير زيوس الرومانيّ, جوبيتر. يتنكر الإله جوبيتر ليشبهَ زوج ألخمينا, أمفيتيرون, لِيقضي ليلةً طويلة بين ذراعيها.

• ليس واضحاً إنْ كانَ فعْلاً قدْ صدَّقَ أيُّ شخص أنَّ هذه القصة كانتْ تاريخاً, لكنَّها قدْ نُظِرَ إليها على أنَّها أمر معقول: واقعَ الآلهةُ النساءَ أحياناً, وكانتْ النتيجة نصفَ إلهٍ. جزءٌ منْه إلهٌ, والجزءُ الآخَر إنسان.

التأليه

• الطريقة الثالثة التي بوساطتها يمكن للإنسان أنْ يكونَ أو يصيرَ إلهاً تتضمَّن عملية تدعى التأليه (-apo theosis)، وهو فِعْلٌ فيه يُصنَع منْ الإنسان إلهاً. ورأينا

---

(١) تيتوس ماكيوس بلاوتوس: كاتب مسرحي روماني قديم من الحقبة اللاتينية القديمة. تُعد أعماله الكوميدية أقدم الأعمال التي وصلت لنا بالكامل من الأدب اللاتيني. يُقال أنه ألف حوالي مائة وثلاثين مسرحية باللاتينية. وهو عدد لا يدعمه الكثيرون. أما العدد المُتفق عليه فهو ٢١ مسرحية كوميدية. أما مسرحيته امفيتريون Amphitruo فهي الملهاة الوحيدة التي يعالج موضوعها موضوعاً أسطوريا. وهي تعرض مولد هرقل البطل الأسطوري الأشهر.؟ ، وهي كما يقول المؤلف من النوع التراجيكوميدي Tragicomedy. (المراجع)

شاهداً على هذا سابقاً في قضية أوفيد عن الشيخين فيلمون وباوسيس.

- والأكثر شيوعاً أنَّ هذا التأليه للإنسان قدْ شملَ الفلاسفةَ الكبار، أو الحكّام ذوي القوَّة الخارقة.
- يخبرنا المؤرخ الرومانيُّ (ليفي)[1] كيف اعتقد النَّاس إنَّ رومالوس، مؤسس روما وأوَّل ملوكها، قد رُفِعَ الى السماء باعتباره إلهاً في نهاية حياته.
- يناقش كاتب السيرة الرومانيُّ سوتونيوس[2] فكرة اعتقاد النَّاس بكون يوليوس قيصر قد صُيِّرَ إلهاً بعدَ موته.
- في حالة يوليوس قيصر, ليسَ من المدهش أنَّ ابنه بالتبنيّ, أوكتافيان (الذي كان سيُصبحُ فيما بعد القيصرَ أوجستوس, الإمبراطورَ الرومانيّ الأوَّل) قدْ شجَّع الاعتقاد بأنَّ أبيه كان قدْ صار إلهاً. إنْ كان أبو أوكتافيان إلهاً فما كان أوكتافيان؟

عبادة الإمبراطور

---

(١) تيتوس ليفيوس أو ليفي (٥٩ ق.م-١٧م). أحد أشهر المؤرخين الرومان. يتناول كتابه «التاريخ منذ تأسيس المدينة» التاريخ الروماني منذ تأسيس مدينة روما حتى وفاة دروزوس عام ٩ ق. م. ويعتبر هذا العمل مصدراً قيماً لبيان الاتجاهات الاجتماعية والثقافية والسياسية للعديد من الشخصيات الرومانية في عهد الإمبراطور أغسطس (٢٧ ق. م- ١٤م). وقد كتب ليفي هذا العمل في ١٤٢ كتابًا، لم يتبق منها سوى ٣٥ كتاباً. (المراجع)

(٢) غايوس سويتونيوس ترانكويليوس: مؤرخ روماني ولد في سنة ٦٩م في منطقة هيبو في الجزائر حالياً، وقد أرخ تاريخ الإمبراطورية الرومانية، وخصوصاً في عصر يوليوس قيصر. وشرح الحياة الاجتماعية والاقتصادية في روما القديمة، توفي سنة ١٤٠م. (المراجع)

- مـع القيـصر أوجسـتوس, نشـهد بدايـةَ عبـادة الإمبراطور, ممارسـة تبجيـل الأباطـرة, أمواتـاً وأحيـاءً, باعتبارهـم آلهـةً. لاحـظ أنَّ كلمـة (عبـادة–cult) ليسـت ذات معنـى مسيء في هـذا السـياق، بـلْ, هـي تشـير الى رعايـة الآلهـة.
- في اليونـان, الاسـكندر الكبـير– قبـل ثلاثمائـة عـام مـن أوكتافيـان– رَحَّـبَ بتبجيلـهِ كإلـهِ, سـامحاً لرعايـاه بذبـح الأضاحـي لـه. وقـد مُنِـحَ الأباطـرةُ الرومـان كذلـك مثـل هـذه التبجيـلات, التـي كانـت محفوظـة للآلهـة.
- وهكـذا, يتحـدَّث الخطيـب الرومانـي كونتليـان[٣] عـنْ آلهـةٍ قـد وُلِـدوا آلهـةً وعـنْ آلهـة آخريـن (قـد حصلـوا عـلى الخلـود بشـجاعتهم), بمعنـى أولئـك الذيـن أُلِّهـوا بسـبب أعمالهـم المدهشـة.
- في العالَـم الرومانـيّ, حـدثَ هـذا عـلى نحـو اعتيـاديٍّ بعـد أنْ كان الإمبراطـور قـدْ مـات, ويقـوم عـلى أسـاس تصويـتِ الشـيوخ, ويُنظَـر اليـه كمصادقـةٍ عـلى المنزلـةِ الإلهيَّـةِ للإمبراطور.
- لكـنَّ هـذا التأليـهَ قـدْ حـدث في أحيـانٍ كثـيرةٍ لأباطـرة أحيـاء أيضـاً, كمـا يمكـن رؤيتـه, مثـلاً, في نقـش مـن مدينـة بيرجامـوم[٤] مكـرَّس للإلـه أوجسـتوس قيـصر, أو في مدينـة

---

(٣) ماركوس فابيـوس كينتيليانـوس (Marcus Fabius Quintilianus): بليـغ رومـاني وخطيـب رائـد مـن هسـبانيا، وُلـدَ سـنة ٣٥م في مدينـة قلهـرة في إسـبانيا حاليـاً. أشـير لـه في العصـور الوسـطى وعـصر النهضـة بكونـه أحـد البلغـاء في الأدب الرومـاني، كان لـه تأثـير كبـير في التعليـم العـالي خـلال العصـور الوسـطى وعـصر النهضـة. (المراجـع)

(٤) في آسـيا الصغـرى. (المترجـم) ... أو بيرغامـون: مدينـة تاريخيـة قديمـة في تركيـا المعـاصرة.

ميليتوس[1] في نقش مكرَّس للإمبراطور كاليجولا الذي يُدعى الإلهَ سيباستوس.

كيف يمكن ان نفهم هذه العبادة للإمبراطور ككائنٍ إلهيّ؟

- كانَ الرأيُ القديمُ للعلماء هو أنَّنا يجب أنْ لا نحمل هذه العبادة على محمل الجدِّ. وَفْقاً لهذا الرأي، أولئك الذين قدْ قيلَ عنْهم بأنهم آلهة كانوا معروفين بأنهم بشَرٌ مثلَ كلِّ الآخرين. عبادةُ الإمبراطور كانتْ ببساطة ترويجاً سياسياً لمْ يصدِّقه أحدٌ قطُّ, شجَّعَ النَّاسَ على عبادة زعمائهم كآلهة. منْ الناحية المنطقيَّة, لو كان الحاكم إلهاً لما كان قَدْ عُصيَ.
- الدراساتُ العلميَّةُ الحديثة أعادتْ تقييم هذا الرأي القديم وعرضتْ منظوراً مختلفاً للموضوع. ثَمَّةَ دليل ضعيف على أنَّ عبادة الإمبراطور كانتْ قد عزَّزها مسؤولو الدولة الرومانيَّة, ونادراً ما كان الإمبراطور هو الداعم لها. كانتْ هذه حركات في المستوى الأساس, فيها يُبَجِّل الحُكَّامُ لقوَّتهم وسلطتهم التي تفوق القدرةَ البشرية.
- وقضيَّةُ اعتقاد الناس حقَّاً في قرارة أنفسهم بأنَّ الأباطرة هم آلهة قضيَّة تستحيل معرفتها. على كلِّ حالٍ,

---

أصبحت عاصمة مملكة بيرغامون خلال الفترة الهلنستية ما بين عامي ٢٨١-١٣٣ ق. م. وقد ذكرت في سفر الرؤيا كواحدة من كنائس آسيا السبع. (المراجع)

(١) في آسيا الصغرى أيضاً. (المترجم) ... وتدعى حالياً بالاتا، هي مدينة قديمة في آسيا الصغرى، حيث كانت من أعظم المدن اليونانية قديماً. (المراجع)

مـنْ المؤكـد أنَّ الأباطـرة قـدْ عُوملـوا باعتبارهـم آلهـةً, عـلى سـبيل المثـال, بتقديـم الأضحيـات ليـس بالنيابـة عنهـم، بـلْ أيضـاً, بتقديمهـا لهـم، وببنـاء المعابـد وإيقافهـا عليهـم.

- وعـلى غـرارِ الآلهـةِ, كان يمكـن للأباطـرة تقديـمُ منافـع عديـدة لشـعوبهم; وعـلى هـذا النحـو كانـتْ لهـم قـوَّةٌ شِـبْه إلهيَّة. وكمـا رأينـا, كان يمكـن أنْ يُسـمَّوْا آلهـةً أيضـاً.
- لـمْ تقتـصرْ عبـادة الحُـكّام الآلهـة عـلى رومـا. فيمكـن أنْ نراهـا عـلى نحـوٍ واضـح في نقـوشٍ وكتابـات كُرِّسَـتْ لحاكـم سـوريا، أنتيوكـس[٢] وزوجتـه لاوديـس، امتنانـاً لتغلُّبهـم عـلى قـوَّة أجنبيَّـة. وقـدْ أقامـتْ مدينـة تيـاس تماثيـل عبـادة للأثنَـيْنِ, وقدَّمـتْ لهمـا الأضحيـاتُ في مراسـيم عامَّـة، وبجَّلوهمـا بنقـوشٍ وُضِعـا فيهـا مَوضِـعَ الإلـه المحـليِّ ديونيسـوس وقِيـلَ بأنَّهـم (منقـذا مدينتِنـا).

البَشَرُ الآلهةُ

- باختصـارٍ, لـمْ يكـنْ يسـوع البشرَ-الإلـهَ الوحيـد في العالـم القديم.
- بعـضُ هـؤلاءِ البـشرِ الآلهـةِ رأى فيهـم النَّـاسُ آلهـةً هبطـتْ الى الأرض عـلى نحـوٍ مؤقـت في هيـأةٍ بشريَّـة.

---

(٢) أنطيوخـوس الرابـع الظاهـر (٢١٥ ق.م.-١٦٤ ق.م): أحـد ملـوك السـلوقيين، وهـو الابـن الأصغر لأنطيوخـوس الكبـير. وكان أقـوى ملـوك عـصره. لقبـه السـوريون بالظاهـر لأنـه أزاح مغتصـب العـرش وعـد الملـك الشرعـي، وقـد عمـد للترويـج لنفسـه بلقـب الـرب الظاهـر. (المراجـع)

- والبعـضُ الآخَـرُ اعتقدهـم النَّـاسُ أبنـاءَ الآلهـة بالمعنـى الحَـرْفيِّ, بمعنـى منتَـج اتِّحـاد الإلـهِ مـعَ امـرأةٍ فانيَّـة.
- مـع ذلـك, ثَمَّـةَ آخـرونَ اعتقـد النَّـاسُ أنَّهُـم رُفِعـوا الى السـماء في نهايـة حياتهـم ليعيشـوا ويحكمـوا في العالَـم الإلهـيِّ.
- كمـا سـنرى, اعتقـد مسـيحيّونَ مختلفـونَ في أزمنـةٍ مختلفـةٍ, وفي أماكـنَ مختلفـةٍ أنَّ يسـوعَ هـو كلُّ هـذهِ الأنـواعِ الثلاثـةِ.

في مجتمعاتٍ قديمةٍ أُخَرَ, منْ قبيلِ مِصرَ, شاعَ الاعتقادُ بأنَّ الحاكمَ- الفرعونَ- كانَ تجسيداً للإلهِ

الفصل الرابع

الآلهةُ الذين كانو بشراً في اليهوديَّةِ القديمةِ

حتَّـــى هـــذا الموضـــعَ مـــنْ دراســـتنا, ناقشْـــنا وثنيـــيَّ الإمبراطوريَّـــة الرومانيَّـــة, أيْ, المشركـــينَ الذيـــن آمنـــوا بعـــدَدٍ مـــنْ الآلهـــة، والذيـــن كوَّنـــوا نســـبةَ ثلاثـــة وتســـعين في المائـــة مـــنْ سـكَّان الإمبراطوريَّـــة. وحتّـــى إنْ كانَ هـــؤلاءِ النَّـــاس قـــدْ فهمـــوا أنَّ ثَمَّـــةَ نوعـــاً مـــن الهَـــرَم التسلســـليِّ الإلهـــيّ, بمـــدىً أكثـــرَ أو أقـــلَّ, مـــنْ الآلهـــة القويَّـــة, وأنَّ الآلهـــة يمكـــن أنْ تصـــير بـــشَراً, وأنَّ البـــشَر يمكـــن أنْ يصـــيروا آلهـــةً, وإنْ كان هـــذا, فمـــا علاقـــة هـــذا مـــع يســـوع والمســـيحيَّة؟

في هـــذه المحـــاضرة, ســـنرى أنَّـــهُ حتّـــى ضمْـــنَ اليهوديَّـــة, وُجِدَ اعتقـــادٌ واســـع الانتشـــار بـــأنَّ الكائنـــات الالهيَّـــة يمكنهـــا أنْ تصـــير بـــشَراً عـــلى نحـــوٍ مؤقـــت, وأنَّهـــا كانـــتْ قـــدْ فعلـــتْ هـــذا. وفيمـــا يخـــصُّ هـــذا الاعتقـــاد, لـــمْ يكـــنْ اليهـــود مختلفـــينَ عـــنْ جيرانهـــم

الوثنيّــين.

الكائناتُ الإلهيّةُ في اليهوديّةِ القديمةِ

• أمــرٌ صحيــحٌ أنَّ اليهوديَّــة كانــتْ منحــازةً وَسْــطَ كلِّ ديانــات العالــم اليونانيّ-الرومانــيّ في إصرارهــا عــلى أنَّ إلهــاً واحــداً هــو الإلــهُ الحقيقــيُّ المســتحقُّ للعبــادة. وواقــعُ الأمــر أنَّــهُ في زمــن يســوع كانَ أغلــبُ اليهــود موحِّديــن يؤمنــون بإلــهٍ واحــدٍ لا غــيرَ وبــأنَّ آلهــةَ الوثنيِّــين لا وجــودَ حقيقيّــاً لهــمْ.

• لكــنَّ الأمــرَ لــمْ يكــن عــلى هــذا الحــال دائمــاً في اليهوديَّــة. فلقــرونٍ, لــمْ يكــن العديــدُ مــنْ بنــي إسرائيــل موحِّديــن, بــل, كانــوا هينوثيِّــين (henotheists)(1). لقــدْ اعتقــدوا بوجــود آلهــة أُخَــر, لكنَّهــا مــا كانَ يجــب أنْ تُعبَــد، كمــا هــو واضــحٌ أصــلاً في الوصايــا العــشر.

• في الآخِــر, تطــوَّر خــطٌّ مــنْ التوحيديَّــة ضمْــن إسرائيــل القديمــة، كمــا هــو واضــحٌ، في مقاطــع مــنْ الكتــاب المقــدَّس العِــبْري، كمــا في إشَــعيا ٤٥.

• إنْ كانَ الوضــع عــلى هــذا النحــوِ في أيّــام يســوع, إذاً, هــلْ صحيــحٌ أنَّــهُ لا يمكــن وجــود كائنــاتٍ بشريَّــة أُخَــر قــدْ تفاعلــتْ مــعَ البــشر؟ هــلْ كان ثَمَّــةَ إلــهٌ واحــد في الســماء ونحــنُ الفانــون عــلى الأرض؟

---

(1) أي يعبدون إلهاً واحداً دونَ إنكارِ احتمالِ وجودِ آلهةٍ أُخَر. (المترجم)

• وَحقًّــاً, حتَّــى اليهــود الذيــن كانــوا يؤمنــون بالتوحيــد ظلُّــوا مؤمنــينَ بكائنــات إلهيَّــة أُخَــر, بمعنــى الإيمــان بكائنــاتٍ فائقــة الــذكاء, كانــتْ تفــوق البشَر وعاشــتْ في العالــم الإلهــيّ وليــسَ عــلى الأرض. وكانــتْ هــذه الكائنــاتُ أكثــرَ مــنْ كونهــا مجــرَّدَ كائنــاتٍ فانيــة. ومــنْ بَــيْن هــذهِ الكائنــاتِ كانــتْ الملائكــةُ وكبــارُ الملائكــة والملائكــةُ الكروبيِّــين والســيرافيم[٢]– كُلُّهــا قــدْ وردَ ذكرُهــا في الكتــاب المقــدَّس اليهــوديّ.

الكائناتُ الإلهيّةُ باعتبارها الله

• أحيانــاً, يتحــدَّث الكتــابُ المقــدَّس عــنْ واحــد مــنْ هــذه الكائنــات الإلهيَّــة الأُخَــر وهــيَ تنــزل الى الأرض في هيــأة بــشر, وفي أحيــان أُخَــر, هــذه الكائنــات الإلهيّــة الأُخَــر التــي تبــدو في هيــأةِ بَــشَرٍ تُدعــى فِعْــلاً اللــهَ او تُعــرَف بأنَّهــا اللــهُ الــربُّ نفسُــهُ. وأحيانــاً يظهــر اللــهُ نفسُــهُ عــلى الأرض في هيــأةِ بَــشَرٍ, أو في هيــأةٍ أخــرى.

• ومِــنْ قَبْــلُ في سِــفْر التكويــن, يُقــال عــنْ ابــي اسرائيــل, إبراهيــمَ بأنَّــهُ التقــى ثلاثــةً مــنْ البَــشَر. بعــدَ ذلــك, في القصَّــة,

---

(٢) الكَرُوبيّون: خَلْقٌ من الملائكة، وجبرئيل هو رأس الكَرُوبِيِّين الذين يعدون سادة الملائكة والمقرَّبون منهم. وأصل هذه التسمية من كَرُبَ أي قَرُبَ. أما السيرافيم فمجموعة من الملائكة. ذكرت في سفر أشعياء بوصفها تتلو نشيد التقديس («قدوس، قدوس، قدوس» محيطة بالعرش؛ وهو ما دخل على الطقوس المسيحية ومنها القداس الإلهي. كلمة سارافيم في اللغة العبرية تعني النار، حسب التقليد اليهودي فهي مجنحة بست أجنحة. تعتبر الساروفيم في المرتبة الخامسة في التسلسل الهرمي للملائكة في اليهودية، وفي المرتبة الأولى في التسلسل الهرمي للملائكة في المسيحية. (المراجع)

يُكشَف عَنْ كون اثنين منهما كانا مِنَ الملائكة, أمّا الثالثُ فقدْ كانَ اللهُ.

في سِفْرِ الخروجِ 3، يظهَرُ اللهُ في هيأةِ شجرةٍ تحترقُ وهوَ يأمرُ موسى بإخراجِ بني إسرائيلَ مِنْ مصرَ

- الشاهدُ الأكثرُ شهرةً على ملاك يُعرَّف بأنَّه اللهُ يقعُ في سِفْرِ الخروج ٣ في الشُجيرة المحترقة. وهنا, مَنْ يُخاطِبُ موسى هو (ملاك الرَبِّ) الذي فيما بَعدُ يُدعى (الربَّ).
- ملاكُ الربِّ هذا يظهر كذلك أحياناً للبشَر في هيأةِ إنسان. نرى مثالاً لذلك في سِفْرِ التكوين ١٦, عندما يتحدَّث ملاك الربِّ معَ امرأة، وينقذ هذهِ المرأةَ التي اسمها هاجر مِنْ موتٍ وشيك بسبب العطش والحرِّ.
- في مقاطع أُخَر مِنْ الكتاب المقدَّس, نُخبَر بأنَّ الملاكَيْن هُما إمَّا ابنا اللهِ, أو اللهُ نفسُهُ وأنَّهما صارا بشرَيْنِ.
- يأتي هذا الكلامُ مُضَّمناً في مقطعٍ مشهور في سِفْرِ أيوب ١ عندما يظهر ابنا اللهِ أمامَهُ في مجلسهِ المقدَّس.
- يُدعى الملائكةُ على نحو صريح آلهةً في سِفْر المزامير ٨٢.
- في مأثوراتٍ يهوديَّةٍ أُخَر, حُكيَ عَنْ ملائكةٍ يصيرون بشراً, كما في نَصِّ معروف باسم صلاة يوسف.
- أضِفْ لِما تقدَّم, وعلى نحوِ مساوٍ في إثارة الاهتمام,

تخبرُنا بعضُ النصوص اليهوديَّة بأنَّ بإمكان البشَر أنْ يصيروا ملائكةً. وهذا مشروح على نحو واضح في كتاب باروخ الثاني ٥١، وفي كتاب أينوخ الثاني ٢٢.(١)

• الخلاصةُ, في التراث اليهوديّ ثَمَّةَ كائناتٌ إلهيّة غيرُ الله وهي تُدعى آلهةً, هذهِ الكائناتُ الإلهيّة يمكنها أنْ تصير بشَراً; اللهُ نفُسهُ يظهر أحياناً في هيأة إنسانٍ مؤقتاً; والبشَرُ أنفسُهم يمكنهم أحياناً أنْ يصيروا ملائكةً.

كائنات وُلِدَت منْ إتّحادٍ إلهيّ

• أكثرُ منْ هذا, لدينا أيضاً قَصَص في التراث اليهوديّ عنْ كائناتٍ وُلِدَتْ منْ اتحاد آلهةٍ معَ بشرٍ.

• وهذا هو مضمون المقطع الغريب في سِفْر التكوين ٦, حيث يتَّخذ (أبناءُ اللهِ) لهم زوجاتٍ من (بناتِ البشَرِ)، وتلد النسوةُ نسْلاً منْ أنصاف الآلهة. تُوسِّعُ هذهِ القِصَّةُ في كتاب أينوخ الثاني. وهو نصٌّ يهوديّ متأخِّر فَهَمَ هذا النسلَ على أنَّهم عمالقة سيِّئون.

• وفكرةُ أنَّ الكائناتِ الأُخَرَ الى جانب اللهِ الواحدِ الحقيقيّ يمكن أنْ تُدعى آلهةً موجودة (هذه الفكرة) ليس في التراث الوثنيّ فحسْبُ, بلْ أيضاً, في التراث اليهوديّ, وتماماً, كما اعتقد الوثنيّون أنَّ الآلهة يمكن أن تصير مؤقتاً بشراً، وأنَّ بعض الناس قدْ وُلِدوا من اتحاد كائنات إلهيَّة معَ كائنات

---

(١) الكتابان لا يُعتَدُّ بهما لدى اليهود والمسيحيِّين. (المترجم)

الفصل الخامس

قُدامى اليهود الذين كانوا آلهة

بشريَّـة, كذلـك أيضـاً, اعتقـد العديـدُ مـن اليهـود في أيـام يسـوع.

رأينـا أنَّ اليهـود, عـلى غـرار الوثنيِّـين, فهمـوا أنَّ العالـم الإلهـي كان مأهـولاً بكائنـات فوق-بشريَّـة الى جانـب اللـهِ الـربِّ القديـر, وأنَّ هـذهِ الكائنـاتِ السـماويَّة قَـدْ دُعيَـت آلهـةً أحيانـاً, وأحيانـاً, هـذه الآلهـة الأُخَـر- أو حتَّـى اللـه الواحـد- كان يظهـر عـلى الأرض متَّخـذاً هيـأة البـشر. في هـذه المحـاضرة, سـنرى أنَّ العكـس صحيـحٌ أيضـاً: حتَّـى وسْـط اليهـود كان ثَمَّـةَ اعتقـادٌ بـأن البـشر يمكـن تصييرُهـم كائنـاتٍ إلهيّـةً وأنَّـه في بعـض الأحيـان قـد دُعـيَ البـشرُ آلهـةً.

ابن الإنسان

- واحـدٌ مـنْ الشـخصيَّاتِ الإلهيَّـة الأكثـر إثـارةً للاهتمـام في اليهوديَّـة القديمـة كان يُعـرَف باسـم (ابـن الإنسـان).

نواجــه أَوَّلاً نســخةً مــا لهــذهِ الشــخصيَّةِ في الرؤيــا الغريبــة في سِــفْر دانيــال. وهنــا يعيــش النبــيُّ رؤيــا ليليَّــة, يــرى فيهــا أربعــةَ وحــوش رهيبــة تخــرج مــنْ البحــر وتعيــث في الأرض فســاداً, تُدمِّرُ الشــعوبَ والممالــك. بعــد ذلــك، يصــل (شــخصٌ مثــل ابــن اللــه) مــنْ الســماء تُمنَــح لــه كلَّ الســلطة والقــوَّة الى الأبــد.

- في رؤيــا دانيــال, هــذا (الشــخصُ الــذي هــوَ مثــلُ ابــنِ اللــهِ) يُحتَمَــل وجــوبُ فهمــهِ باعتبــاره أمَّــةَ إسرائيــلَ نفسَــها. في الآخِــر, وصــل الأمــر الى الاعتقــاد بأنَّــه كائــنٌ ملائكــيٌّ, فَــرْدٌ أُرسِــلَ مــنْ الســماء كحاكــمٍ لــلأرض.
- نشــاهدُ هــذا الفَهْــمَ في نــصٍّ يهــوديٍّ متأخِّــر يُدعــى كتــاب أينــوخ الثانــي يُحتَمَــل أنَّــهُ كُتِــبَ قبــلَ العهــد الجديــد ببضعــة أعــوام. في فصــل مــنْ هــذا الكتــاب يُعــرَف باســم الأشــباه نعثــر عــلى مجموعــة واســعة مــن التأمُّــلات حــول ابــن الإنســان, الــذي يجلــس حقَّــاً عــلى عــرش اللــه ويُدعــى حاكــمَ الأرض.
- ثَمَّــةَ شــخصيَّاتٌ أُخَــر اعتقــد النَّــاس أنَّهــا شــاركتْ اللــهَ عرشَــه في الســماء كنــوعٍ مــنْ اللــه الثانــي; يتحــدَّث حاخامــات منْ أزمنــة متأخِّــرةٍ حــولَ يهــود يحملــون مِثــلَ هــذهِ الآراء المتضمّنــة لنــوعٍ مــنْ الملائكــة تحكــم العالــم الى جانــب اللــهِ.
- تتحــدَّث بعــضُ النصــوص حــول (قوَّتــين في الســماء); وهــذا الكائــنُ الإلهــيُّ الثانــي وُضِــع في مســتوى اللــهِ نِفســهِ.
- أحيانــاً تُذكَــر هــذه الفكــرة لِتبيــان مَــنْ يتحــدَّث اللــه معــهُ في سِــفْر التكويــن ١: ٢٦, عندمــا كان يقــوم بخلــق الإنســان في قولــه: (لِنخلــقْ إنســاناً في صورتنــا).

- أضِـفْ الى ذلـك, اعتـبرَ بعـضُ اليهـود الصفـات الإلهيَّـة الخاصَّـة باللـه كائنـاتٍ إلهيَّـةً غـيرَ اللـه. والكلمـة التـي اسـتعملها العلمـاء لهـذه الصفـات الإلهيَّـة هـي (أقانيـم), جمـع أقنـوم.
- الفكـرةُ الرئيسـةُ هنـا أنَّـه يمكـن لصفـات معيَّنـة للـه أنْ توجـد خارجَـهُ, لكـنْ, لأنَّهـا صفاتـه الخاصَّـة, فإنَّهـا آلهـةٌ عـلى غـراره.
- والحقيقـةُ القائلـة بـأنَّ اللـهَ حكيـمٌ تعنـي أنَّـهُ يمتلـك الحكمـةَ. لكـنْ, لأنَّ الحكمـةَ هـي شيء (يملكُـهُ) اللـهُ, إذاً, هـي شيءٌ يوجـد أيضـاً في معْـزلٍ عنْـه. ولكونهـا حكمـةَ اللـه فهـي إلـهٌ.
- وعـلى هـذا النحـو, كان الاعتقـاد أحيانـاً بـأنَّ (كلمـةَ) اللـهِ هـي كذلـك إلـهٌ, كمـا أُسِّـسَ عـلى سِـفْر التكويـن أو كمـا يُشـاهَد في شروحـات الفيلسـوف اليهـوديّ الكبـير مـن القـرن الأول الميـلادي (فيلـون) الـذي اعتقـد بـأنَّ الكلمـةَ وُجِـدَت بمعـزلٍ عـن اللـه لكنَّهـا كذلـك كانـتْ اللـهَ.

الكائناتُ البشريّةُ كإله

- الى جانـب كلِّ هـذه الكيانـات الإلهيَّـة الأُخَـر التـي أُعتُقِـدَ كونُهـا إلهـاً, تشـير النصـوص اليهوديَّـة- حتَّـى في الكتـاب المقـدَّس- أحيانـاً الى كائنـات بشريَّـة باعتبارهـا اللـهَ. وهـذا أمـرٌ صحيـحٌ فيمـا يتعلـق بمـوسى, عـلى سـبيل المثـال.
- في سِـفْر الخـروجِ, يُقـال أنَّ مـوسى قـامَ بوظيفـة اللـهِ لأخيـه هـارون (الخـروج ٤: ١٦).
- في كتابـات فيلـون الإسـكندراني, لا يُدعـى مـوسى بالإنسـان

الأكثر كمالاً في ما مرَّ منْ زمان فحَسْبُ, بلْ, يقال عنهُ بأنَّهُ كان لديه عقلاً إلهيَّاً، وكانِ سيُصبِح في مجرى حياته إلهاً على نحو تدريجيٍّ وفي النهاية, كان (سيُدعى إلهَ ومَلِكَ كلِّ الأمَّةِ).

- ومِثْل ذلك في لفتِهِ النظرَ, أنَّ ملِكَ إسرائيل كان يُدعى أحياناً إلهاً.

- وجذور هذا الرأي موجودة في الوعد لداود في سِفْر صموئيل الثاني ٧: ١٣ : ١٦ بأنَّ ابنه سيكون أيضاً ابن اللهِ.

- رأينا أنَّ الحُكّام في مصر كان يُعتَقَد أنَّهم كائناتٌ إلهيَّة, ويصحُّ هذا الأمر في بعض أجزاء إسرائيل.

- إنَّهُ بلاغُ المزامير ٢:; (وُلِدَ) الملكُ ليكونَ ابنَ اللهِ.

- وأكثرُ منْ ذلك يُدعى الملك على نحو صريح بأنَّهُ (إلهُ) في سِفْر إشعيا ٤٥ وإشعيا ٩.

- في جميعِ هذهِ لَمْ يُعتَقَد بأنَّ موسى, ولا مَلِكَ اسرائيل, ولا ابن الانسان, أو الحكمةَ, أو الكلمةَ همْ اللهُ الربُّ القديرُ نفسُهُ. فهؤلاء دائماً كائنات ثانويَّة قدْ اعتبرت آلهةً الى جانبِ اللهِ الربِّ.

- هذهِ هي البيئةُ التي عاشَ فيها يسوعُ وفيها ماتَ ومنْ خلالها تطوَّرتْ المسيحيَّةُ.

- في وقتٍ قصير جداً بعدَ موت يسوع, بدأ المسيحيّون يسمّونه إلهاً. وما عنى ذلك أنَّهُ اللهُ الربُّ القدير, لكنَّه كان ما يزال, بمعنىً ما, إلهاً. كانَ ثَمَّةَ سابقةٌ أكيدةٌ بيِّنةٍ لهذا الاعتقاد ليسَ وسْطَ الأديان الشِركيّة لذلك الزمان فَحَسْبُ, بل كذلك ضِمْنَ اليهوديَّة.

الفصل السّادس
حياةُ يسوعَ وتعاليمُه

الاعتقــاد المســيحيُّ التقليــديُّ فيمــا يتعلــق بيســوع والموجــود وسْــطَ أغلــب المســيحيّين لأغلــب الطوائــف وعَــبْرَ التاريــخ, هــو أنَّ يســوع إلــهٌ كامــل وإنســانٌ كامــل. العديــدُ مــن المســيحيّين, وحتّى في يومنــا هــذا, يقولــون بــأنَّ هــذا مــا يعتقدونــه, عــلى الرغــم مــنْ أنَّهــم لا يعتقــدون أنَّ يســوع قــدْ خضــع لقيــودٍ يفرضهــا كونُــه إنســاناً فانيــاً. في هــذه المحــاضرة والتــي تليهــا, ســنرى أنَّ هــذا الفهــم ليســوع باعتبــاره إلهــاً لا يرجــع الى زمــان حيــاة يســوع. لَــمْ يــدعُ يســوعُ نفسَــهُ إلهــاً، ولــمْ يعتقــد أنَّــه إلــهٌ. وفي غضــون حياتــه لــمْ يكــن هــذا اعتقــاد أتباعــه فيــه أيضــاً. فكــرةُ أنَّ يســوع إلــهٌ لــمْ تظهْــر الّا بعــدَ موتِــهِ.

تحليلُ الأناجيل

- رأينـا فيمـا سـبق أنَّ لـدى العلمـاء فهمـاً واسـعَ المـدى عمّـا كانَـهُ يسـوع حقّـاً, وعمّـا قالَـهُ, وَفَعَلَـهُ, وجرَّبَـهُ مُـدّة حياتـه عندمـا كان حيّـاً. أكان حاخامـاً كبـيراً, أمْ متمـرداً متحمّسـاً, أمْ مصلحـاً اجتماعيّـاً, أمْ فيلسـوفاً كلبيّـاً, أمْ نبيّـاً يبـشّر بنهايـة العالـم وقيـام السـاعة أمْ شـيئاً آخـر؟
- وسـبب وجـود العديـد مـن الاختلافـات حـول يسـوع هـو أنَّ مصادرنـا المبكـرة حـول حياتـه– أناجيـلَ العهـد الجديـد– ليسـتْ عروضـاً دقيقـة لكلماتـهِ وأفعالـهِ، وهـي بدرجـةٍ إشـكاليَّةٍ عاليـة عنـد محاولـة إعـادة بنـاء أحـداث حياتـه.
- لا مصادرَ مبكرةٌ أُخَر تفيدُ في معرفة يسوع.
- عـادةً يعـودُ تاريـخُ الأناجيـل الى خمسـة وثلاثين, وخمسـة وسـتين عامـاً بعـدَ موت يسـوع.
- لـم تُكتَـب هـذهِ الأناجيـل بيـدِ شـهود عيـان, بـلْ, بيـد مسـيحيِّين ناطقـين باليونانيَّـة كانـوا يعيشـون خـارجَ فلسـطين لعقـودٍ مـنْ الزمـان بعـدَ موتـهِ.
- مـنْ المؤكَّـد تقريبـاً أنَّ مؤلفـي الأناجيـل دوَّنـوا قَصَصـاً قـدْ كانـتْ لمـدَّة طويلـة جـزءاً مـنْ روايـة شـفهية. وإذْ إنَّ هـذهِ القَصَـص كانـتْ قـدْ انتـشرت بوسـاطة كلمـة تنطقهـا الأفـواه عـبر عقـود مـن الزمـان منـذُ مـوت يسـوع فقـد حُرِّفَـتْ– وأحيانـاً يكـون هـذا التحريـف جذريّـاً– وبعضُهـا كانَ مبتَدَعـاً.
- وهـذهِ هـي عِلَّـةُ وجـود العديـد مـنْ التناقضـات في الأناجيـل, في تفاصيلِهـا الصغـيرة, وفي مزاعمِهـا الرئيسـة, وفي صورِهـا الشـاملة لِمـا كانَـهُ يسـوع. والنتيجـةُ, كان عـلى العلمـاء

أنْ يضعـوا معايـيرَ صارمـةً تسـاعد في تقييـم الأناجيـل باعتبارهـا مصـادرَ مـنْ أجْـلِ تحديـد مـا يمكننـا معرفتـه حقّـاً حـولَ حيـاة يسـوع التاريخيَّـة.

- أولاً, لأنَّ قَصَـص يسـوع كانـتْ تنتـشر لُـدَّة عقـود مـنْ الزمـان– وكانـتْ قـدْ غُـيِّرتْ وحـدَث فيهـا ابتـداع– فـإنَّ مـا وُجِـد مـنْ قَصَـصٍ في عـددٍ مـنْ المصـادر المسـتقلة التـي لـم يُعَـزِّزْ بعضُهـا بالبعـضِ الآخَـر يُعتَـبَر أرجـحَ في دِقَّتـه التاريخيَّـة مـنْ تلـك القَصـص التـي لـمْ توجـد إلّا في مصـدر واحـد غـيرِ معـزِّزٍ ومثبَـتٍ.

- قَصَـصُ يسـوع وأقوالُـه التـي لا توضـح ببسـاطة مـا كان يريـد أنْ يقولـه الـراوي المسـيحيُّ حـولَ يسـوع, أو حتَّى, تلـكَ التي تناقـض مـا قالـه المسـيحيُّون المتأخـرونَ عنْـهُ هـي أكثـر رجاحـةً في موثوقيَّتهـا والاعتمـاد عليهـا– لأنَّ تلـكَ القَصـص والأقـوال مـا كانـتْ قـدْ أُبتُدِعـتْ أو اختُلِقـتْ.

- أيَّـةُ قِصَّـةٍ وأيُّ قـولٍ ليسـوع يجـبُ أنْ يناسـب بوضـوحٍ السـياقَ التاريخـيَّ الـذي عـاش فيـه– فلسـطين القـرْن الأوَّل– إنْ أُريـدَ لهـذه القَصَـص والأقـوال أنْ تُقبَـل باعتبارهـا دقيقـةً تاريخيَّـاً.

- الذيـنَ طَبَّقـوا هـذه المعايـير مِـنْ العلمـاء قـدْ وصلـوا الى نتائـج مختلفـة, كمـا رأينـا. لكـنَّ فهمـاً واحـداً ليسـوع التاريخـيِّ سـادَ المناقشـاتِ البحثيَّـةَ لأكثـر مـنْ قـرْن في العـصر الحـالي– ولسـببٍ وجيـهٍ. وهـذا هـو الفَهـم بـأنَّ يسـوع كان نبيَّـاً مُبَـشِّراً بنهايـة العالـم, وقـدْ فَهَـمَ نفسَـهُ عـلى هـذا النحـو.

النهايوية Apocalypticism[1]

كانــتْ النهايويّــةُ, أو الايمــان بنهايــةٍ وشــيكةٍ للعالَــم, لاهوتــاً يهوديَّــاً أصرَّ عــلى كــون العالــم تســيطر عليــهِ قــوى الــشرِّ لكــنَّ اللــه كانَ ســيتدخَّل قريبــاً في التاريــخ وســيطيحُ بهــذه القــوى، ويبــدأ تأســيسَ مملكــة الخــير وهــي مملكــة لا ألــمَ فيهــا ولا تعاســةَ أو أوجــاع.

- تُدعــى وجهــةُ النظــر هــذهِ apocalyptic مــنْ الكلمــة اليونانيَّــة apocalypsis التــي تعنــي (الوَحْــي) أو (الكَشْــف).
- اعتقــد النِهايويّــون اليهــود أنَّ اللــه قــدْ أوحــى لهــم الأسرار الســماويَّة المتعلقــة بمــا يوشــك أنْ يحــدثَ عــلى الأرض إذْ ســيدمِّر اللــهُ مَــنْ عــارض إرادتَــهُ, ويأتــي بمملكتــه.
- هــذهِ الرؤيــةُ للعالــم كانــتْ ســائدةً في يهوديَّــة القــرْن الأوَّل حيــثُ نعــرف ذلــكَ مــنْ كتابــاتٍ يهوديَّــةٍ كثــيرة العــدد مــنْ ذلــك الوقــتِ تشــتمل عــلى لُفافــات البحــرِ الميِّــت ومجموعــةٍ وثائــقِ اكتُشِــفَت في العــام ١٩٧٤, وكان قــدْ كتبهــا يهــود كانــوا يعيشــون ليــس بعيــداً جــداً عــنْ المــكان الــذي عــاش فيــه يســوع وفي زمــان يســوع تقريبــاً.
- ثَمَّــةَ أربعــةُ مكوِّنــاتٍ رئيســةٍ لهــذهِ النظــرة الى العالــم وأوَّلُهــا الثُنائيَّــة.

---

(١) وتترجم بالآخروية أو الرؤيوية. (المراجع)

- آمــن النهايويّــونَ بوجــود قوّتَــيْن في هــذا العالــم: الخَــيْرِ والــشرِّ. وكلُّ شيءٍ, وكلُّ شــخصٍ (بمــا في ذلــك القــوى فــوق-الطبيعيَّــة تكــونُ إمّــا مــعَ الخــيرِ أو في صَــفِّ الــشرِّ).
- هــذهِ الثُنائيَّــةُ الكونيَّــة ُلهــا مكــوِّنٌ تاريخــيٌّ وهــو أيضــاً ثنائــيٌّ: يســيطرُ عــلى العــصر الحــالي قــوى الــشرِّ, لكــنْ ثَمَّــةَ مملكــةٌ للخــير قادمــةٌ يســيطرُ عليهــا اللــهُ ووكلاؤه.
- كان المكــوِّنُ الثانــي للنهايويَّــة هــو النِزعــةُ التشــاؤميَّةُ حــول إمكانيّــات الحيــاة في هــذا العــصر, مــعَ الأخــذ بنظــر الاعتبار كــون هــذا العــصر تســيطر عليــه قــوىً شرّيــرة.
- وكان المكــوِّنُ الثالــثُ هــو الحمايــة والدفــاع. كانَ اللــهُ عــلى وشــك الإطاحــة بقــوى الــشرِّ فيحمــي اســمه وعالَمَــهُ وشــعبَهُ.
- كانَ اللــهُ ســيتدخل في التاريــخ بإرســالِهِ مخلّصــاً مــنْ الســماء يُدعــى أحيانــاً ابــن اللــه الــذي كان ســيُدمِّر كلَّ مَــنْ نــاوَأَ اللــه, وســيحكم كلَّ شــعوب الأرض, ويُعاقــب أعــداءَ اللــه, ويثيــبُ أنصــارَهَ.
- ومــا كانَ هــذا الحُكــم ســيحلُّ بمَــنْ كانــوا أحيــاءً في ذلــك العــصر فحسْــبُ, بَــلْ كذلــك, ســيحلُّ بمَــنْ كانــوا قــدْ ماتــوا مِــنْ قبــلُ. طَــوَّرَتْ النهايويّــةُ وعــزَّزتْ فكــرةَ بعــث الموتــى, حيــثُ في نهايــة هــذا العــصر, كلُّ مَــنْ كانــوا قــدْ ماتــوا ســابقاً يعــودون فيدخلــون أجســادهم ليواجهــوا الحُكْــم.
- أخــيراً, كانَ المكــوِّنُ الرابــع للنهايويَّــة هــو الوقــوع القريــب جــداً – كلُّ هــذا كان ســيقع في القريــبِ العاجــل. اعتقــد النهايويّــون بأنَّهــم كانــوا يعيشــون تمامــاً في نهايــة العــصر، وأنَّ هــذا العالَــم

حالاً سيتوقف منهاراً.

على شاكلةِ اليهودِ الأخرينَ في عصرِه, كانَ يسوعُ مُتنبِئاً مؤمناً بنهايةِ العالَمِ, ومعتقِداً بالحلولِ الوشيكِ لملكةِ اللهِ

يسوعُ كنبيٍّ

- يبدو أنَّ يسوعَ الناصريَّ قدْ حملَ مثلَ هذه الآراء, وهي الأفكار التي أعلنها في مصادرنا المبكرة التي نجتْ منْ الضياع, خصوصاً, أناجيلنا الأولى الثلاثة, إنجيل متي, وإنجيل مرقص, وإنجيل لوقا.
- تركّزُ مواعظُ يسوع على مملكةِ اللهِ القادمة, مملكةٍ حقيقيَّةٍ على الأرض حيثُ يكافَأ الصالحُ ويُستبَعد الطالحُ. وكان مَنْ سيأتي بمملكة الله هو ابنُ الإنسان, حاكمٌ كونيٌّ منْ السماء.
- مِنْ المؤكَّد تقريباً أنَّ يسوعَ لمْ يعتقدْ نفسَه ابنَ الانسان. وقدْ صَحَّ أنَّه في الأناجيل يدعو نفسَه بهذا الاسم, لكنْ, يجب أنْ ننتبهَ الى أنَّ الأناجيلَ نصوصٌ مسيحيَّةٌ كَتبَها مؤلِّفون مسيحيّون. وهؤلاءِ المؤلِّفون قدْ سمعوا قصَصَهم حولَ يسوع منْ قَصّاصين مسيحيّين, وكانتْ هذهِ القَصَص, بما فيها الأقوال, قدْ غُيِّرَتْ عبْر عقودٍ منْ الزمان.
- لأسبابٍ سنراها في محاضرةٍ لاحقةٍ, اعتقدَ القصّاصون المتأخرون بأنَّ يسوع كانَ ابنَ الإنسان, وعلى هذا, منْ

الطبيعـيٌّ أنَّهـم عندمـا قَصُّـوا قصَصهـم عـنْ تعاليـم يسـوع, فأنَّـه يُسـمِّي نفسَـه بهـذا الاسـم. لكـنْ في بعـض تعاليـم يسـوع, يبـدو أنَّـه يتحـدَّث عـنْ شـخصٍ آخَـر. وتلـكَ الأقـوال حـولَ ابـنِ الانسـان هـي مـا يبـدو عائـداً الى يسـوع نفسِـهِ, وليـس الى أتباعـهِ المتأخِّريـن.

- في هـذهِ الأقـوال, يتحـدَّث يسـوعُ عـنْ حاكـم كونـيٍّ لـلأرض كانَ سـيأتي بالدَّمـار قبـلَ ظهـور مملكـة اللـه.
- في هـذهِ المملكـة, كانَ سـيكون ثَمَّـةَ انقـلابٌ في الحظـوظ: الأخـيرُ سـيصبح أوَّلاً والأوَّلُ أخـيراً.
- ولدخـولِ المملكـة, يجـبُ عـلى النَّـاس إطاعـة إرادة اللـه كمـا عُـبِّرَ عنهـا في الكتـاب المقـدَّس, بوسـاطة محبَّـة جيرانهـم كمـا يحبّـون أنفسـهم, وبالثقـة باللـه كمـا يثـق الطفـل بأبويـهِ.
- والتلامـذةُ الاثنـا عـشر سـيكونون حُكَّامـاً في مملكـة المسـتقبل.
- وكانَ ابـن الانسـان سـيظهر عاجـلاً; مملكـةُ الـربِّ كانـتْ وشـيكةً.
- وأولئـك الذيـن اتبعـوا تعاليـم يسـوع عـنْ الحـبِّ والرحمة والعدالـة والعطـف كانـوا بـدأوا يـرَوْن مـا سـتكون عليـه المملكـة في هـذا المـكان وهـذا الأوان.
- باختصـار, كان يسـوع متنبئـاً بنهايـة العالـم وإقامـةِ مملكـة الـربِّ, كانَ شـخصاً قـدْ توقَّـع نهايـةَ التاريـخ الوشـيكة كمـا نعرفُهـا. والوصـولَ الإعجـازيّ لحاكـم مـنْ السـماء, كانَ سـيأتي بمملكـة اللـه الطوباويَّـة هنـا والآن.

الفصل السّابع

هلْ اعتقدَ يسوع أنَّهُ إلهٌ؟

في واحدٍ منْ الأناجيل فحسْبُ, وهو إنجيل يوحنّا, آخِرُ إنجيل كُتِبَ منْ الأناجيل الأربعة, يعلنُ يسوع عنْ نفسه إلهاً. في الأناجيل الثلاث والتي تُسمى السينوبيَّة[1], وهي أناجيل: (متى, ومرقص, ولوقا), كما شاهدنا, يعظُ يسوع حولَ مملكة الله القادمة, التي سيأتي بها حاكم كونيّ يُدعى ابنُ الإنسان. حتَّى هذهِ التعاليم الأخلاقيَّة في هذه الأناجيل يجبُ وضعها في هذا السياق النّهايويِّ: كانَ همُّ يسوع أنْ يسلك النَّاس طريقاً يريدها الله لعلَّهم يدخلون الملكة الآتية. وقلَّما تحدَّث يسوع في حديث عامٍّ عنْ نفسه, وتصريحاته العامة تُظهِر أنَّه قدْ اعتبرَ نفسَهُ نبيَّ الله نفسَه.

---

(١) أو السينوبتيكية: يُقصَد بِها أناجيل مَتَّى، مَرقُس، ولُوقا. هذهِ الأناجيل الثَّلاثة تَحتَوي على الكَثيرِ مِنَ المَعلومات المُشتَرَكة المُصاغَة بِنَفس التَّرتيب وبِكَلِماتٍ مُتَشابِهَة. (المراجع)

يسوع في إنجيل يوحنّا

- في آخِر إنجيلٍ كُتِبَ مِنْ أناجيل العهد الجديد, إنجيلِ يوحنّا (٩٠-٩٥م), يطلق يسوع سلسلةً مِنْ التصريحات الصاعقة حولَ نفسِهِ، وفيها يُشير الى أنّه وُجِدَ في الماضي السرمديِّ في مجْدِ الله، وأنّهُ هو نفسُهُ مساوٍ لله.
- وهذا أمرٌ مختلف جداً عن كلِّ شيء يقوله يسوع حولَ نفسه في الأناجيل الأبكر: إنجيل متّي, ومرقص, ولوقا. وتُدعى هذه الأناجيل الثلاث بالأناجيل السينوبيَّة (synoptic) لأنَّها يشبه الواحد منها الآخر فيمكن (النظر اليها معاً)- وهو المعنى الحرفي لكلمة (synoptic).
- إنجيل مرقص هو الإنجيل الأبكرُ (٦٥-٧٠م). وقدْ استعملهُ متّي ولوقا مِنْ أجْلِ رواية العديد مِنْ القَصَص حول يسوع (٨٠-٨٥م).
- كان لدى متّي ولوقا مصادر أُخَر تحتَ تصرُّفهم الى جانبِ إنجيل مرقص, وقدْ اصطلح العلماء على تسمية هذه المصادر على النحو الآتي:
- (Q): هو مصدر افتراضي استعمله كلٌّ مِنْ متّي ولوقا لمادَّتهم غيرِ الموجودة في إنجيل مرقص; و(M): وهو مصدر توفّر لمَتّي وحدِهِ; و(L): وهو مصدر توفّر للوقا وحدِهِ.
- المثير للدهشة أنَّ يسوع لمْ يزعمْ قطُّ أنّهُ إلهٌ في أيِّ واحد من هذه الأناجيل الأبكر، أو في مصادرها. وكيف يمكن أنْ يكون هذا إنْ كان إنجيل يوحنّا- الإنجيل الأخير-

صحيحاً في أنَّ مسألة إلوهيَّة يسوع كانتْ المسألة الرئيسة في عموم رسالته؟ هل اختارت الأناجيل الأقدم ومصادرها، بكلِّ بساطة، أنْ لا تذكر إلوهيَّة يسوع.

• استنتج مؤرخو الأناجيل منذُ زمن طويل أنَّ فكرةَ كون يسوع قدْ دعا نفسه إلهاً هي فكرة غيرُ تاريخيَّة (أيْ، لا يدعمها التاريخ)، ولو كانتْ تاريخيَّةً لكانتْ وردتْ في الأناجيل الأقدم. إنَّ فكرة الألوهيَّة فكرةٌ خاصَّةٌ بإنجيل يوحنّا، آخِرِ ما كُتِبَ مِنْ الأناجيل.

في أقدمِ الأناجيلِ وأوثقِ المأثوراتِ حولَ يسوعَ، لمْ يدعُ يسوعُ نفسَهُ إلهاً، بَلْ على العكْسِ، قدَّمَ نفسَهُ باعتباره بَشَراً نبيّاً

يسوع في الأناجيل السينوبيّة

• كما شاهدنا في الأناجيل السينوبيّة، يعظُ يسوع عنْ مملكة الله القادمة، التي يأتي بها حاكم كونيّ يُدعى ابنُ الانسان. وفي هذه الأناجيل، نادراً ما يتحدَّث يسوع عنْ نفسِهِ.

• وهو أيضاً، يتحدَّث حولَ الكيفيَّة التي يجب أنْ يعيش عليها الناس. غالباً ما يُنظَر الى يسوع كمُعَلِم أخلاقيّ عظيم؛ واحدٍ مِنْ أعظم المرشدين الأخلاقيّين في تاريخ العالم. لكنْ مِنْ المُهمِّ أنْ ندرك الخصيصة النهايويَّة لتعاليم يسوع الأخلاقيَّة.

- لـمْ يَعِـظْ يسـوعُ في الأخـلاق مـنْ أجـل أنْ يعـرفَ النَّـاس كيفيّـة التعايـش لأمـدٍ طويـل. في رأي يسـوع مـا كانَ ثَمَّـةَ أمـدٌ طويـل[1].
- بَـلْ وَعَـظَ يسـوع في الأخـلاق مـنْ أجْـلِ أنْ يدخـل النَّـاسُ الذيـن عاشـوا الحيـاة كمـا أراد اللـه المملكـةَ القادمـةَ.
- باختصـار, يبـدو يسـوع كأنَّـهُ كانَ قـدْ رأى نفسَـهُ كنبـيٍّ للملكـة القادمـة, وليـس كإلـهٍ عـلى الأرض. احتـجَّ بعـضُ النَّـاس بـأنَّ بعـضَ أفعـال يسـوع تُظهِـر أنَّـه قـدْ اعتقـد أنَّـه إلـه, لكـنْ, في كلِّ الحـالات الـواردة, يمكـن تفسـير هـذهِ الأفعـال عـلى وجـوهٍ أُخَـر.
- هـل حقـاً أنَّ يسـوع جـاء بمعجـزات؟ وحتَّـى إنْ فَعَـلَ ذلـك, فـإنَّ هـذا الأمـر مـا كان سـيجعل منـه إلهـاً في فرصـة أفضـل ممّـا كان سـيحدث مـع صانعـي المعجـزات مـنْ غـيرِهِ– مـنْ النبـيّ أليجـا في الكتـاب اليهـوديّ المقـدَّس حتَّـى معـاصر يسـوع (حنينـا بـن دوسـا)[2] والى (أورال روبيرتـس)[3].
- هـل حقّـاً أنَّ يسـوع قـدْ غفـر ذنوبـاً؟ وحتَّـى إنْ فعـلَ ذلـكَ, مـا كان هـذا ليمنحَـهُ الألوهيَّـة أكثـر مـنْ الكهنـة اليهـود الذيـن غفـروا ذنوبـاً باسـم الـربِّ.
- وهـل صحيـحٌ أنَّ النَّـاس في بعـض الأحيـان انحنـوا أمـام

(١) فالنهاية وشيكة. (المترجم)

(٢) هو يهودي من القرن الأوّل نُسِبَتْ اليه معجزات. (المترجم)

(٣) هو واعظ ديني أمركي. وُلِدَ في العام ١٩١٨. (المترجم)

يســوع في هيــأة عبــادة؟ حتَّــى إنْ كانــوا فعلــوا ذلــك, مــا كان هــذا ليجعــلَ منــه إلهــاً أكثــرَ مــنْ أن يكــونَ ذلــك لآلاف الملــوك في العــصر القديــم الذيــن كان النَّــاسُ ينحــون أمامهــم دائمــاً.

المسيح المخلّص

- وبــدلاً مــنْ أنْ يكــون وغْــظُ يســوع حــولَ ألوهيَّتــهِ, كانَ وعْظُــه حــولَ مملكــة اللــهِ القادمــة, وحــولَ مَلِــك اللــه القــادم.
- في الــتراث اليهــوديِّ القديــم كان ثَمَّــة مصطلــحٌ لَمِلِــك إسرائيــل المســتقبليّ, هــو المســيح المخلِّــص. ومــا كان يُفــتَرَض في المســيح أنْ يكــون إلهــاً, بَــلْ, بَــشَراً.
- ترجــعُ جــذورُ فكــرة أنَّــه كان ســيكون هنــاك مســيح مُخلِّــص مســتقبليّ الى السِــفْر الثانــي لصموئيــل ٧: ١٣-١٦, وهــو يتعلــق بوعــدِ اللــهِ داودَ بــأنْ ســيكون لــه دائمــاً مَلِــكاً مــنْ نسـلهِ.
- وقــد نُقِــضَ هــذا الوعــدُ بعــدَ خمســمائة عــامٍ عندمــا دُمِّــرت دولــة يهــودا, وأُزيــل الملــك المنتســب الى داود مــن العــرش, ولــمْ يجلــسْ عليــهِ قــطُّ.
- فيمــا بعــدُ اعتقــد اليهــودُ أنَّ اللــهَ ســينجز وعــدَه داودَ, وأنَّــه في المســتقبل, مَــرَّةً أخــرى ســيضع واحــداً مــنْ نسْــل داود عــلى العــرش. وكان هــذا ســيكون مِلِــكاً بــشَراً, تمامــاً كمــا قــدْ كانَ داودُ بــشراً.
- كان ملــوك إسرائيــل يُدعَــوْنَ أحيانــاً باســم (الذيــن مَسَــحَهم اللــه). في اللغــة العِبْريَّــة كلمــة (المســيح) هــي (mashi-ach), ومنهــا حصلنــا عــلى (messiah). والشــكل اليونانــيّ لتلــك

الكلمــة هــي (christos) ومنهــا حصلنــا عــلى كلمــة (Christ).

- لــدى أغلــبِ اليهــود, المســيحُ القــادم (messiah / Christ) مــا كان ســيكون إلهــاً, بــلْ, شــخصيَّة بشريَّــة. ويجــب ملاحظــة أنَّــه لــمْ يعتقــدْ يهــوديٌّ قــطُّ بــأَنَّ المســيحَ كانَ إلهــاً.
- فضــلاً عــنْ ذلــك, ليــس بــين أيدينــا أيُّ ســجلٍ لأيِّ يهــوديّ كانَ يعتقــد بــأنَّ المســيحَ كان شــخصاً ســيموتُ مــنْ أجْــلِ الآخرين, ثــم يُبعَــث مــنْ المــوت. إنَّمــا قــالَ ذلــك المســيحيّون فيمــا بعــدُ فيمــا كان يُفــتَرَض في المســيح أنْ يفعــل, عــلى أســاسٍ مــنْ رأيِهــم في كــون يســوعَ هــو المســيحُ الــذي كان قــد مــات وبُعِــث.
- لكــنْ, قبــلَ المســيحية, مــاكان أيُّ يهــوديّ قــدْ قــالَ بذلــك الــرأي. ولــمْ تــرِدْ في أيِّ موضــع مــنْ الكتــاب العِــبْريّ قــدْ ذُكِــرَ فيــه المســيح اشــارةٌ الى مــوتٍ وبعــثِ المســيح. كمــا لــمْ يــردْ عنــد مفــسّريِّ الكتــابِ العــبريِّ أيُّ معنــى يقــول بــأنَّ هــذا هــو قــدر المســيح. كانَ المســيحُ ســيكون شــخصيَّةً عظيمــةً قويَّــة تهــزم العــدوَّ وتؤسّــس مملكــةَ اللــه عــلى الأرض.
- يســوعُ, أيضــاً توقَّــعَ شــخصيَّةً مســتقبليَّةً تكــون المســيحَ, حاكمــاً بشريــاً لمملكــة اللــه, ولــم يَــرَ نفسَــه إلهــاً, بــلْ, نبيَّــاً في آخــر الزمــان, يتنبَّــأ بــأنَّ المســيحَ كان عــلى وشــك الظهــور.

الفصل الثامن
موت يسوع: يقينيات تاريخيَّة

يقينيّات تاريخيّة

مُـدَّةُ حيـاةِ يسـوع الأكثـرُ توثيقـاً هـي الأيـامُ التـي سـبقتْ صلبَـه, والمفتـاحُ الرئيـس لفهمـهِ هـو معرفـةُ الأحـداث التـي أدَّتْ الى موتـه. في هـذه المحـاضرة, سـنناقش مـا نعرفـهُ في يقـين نفـسيٍّ حـولَ هـذه الأحـداث, وفي المحـاضرة التـي تليهـا سـنناقش قضيـة تُسـاويها في الأهميَّـة وهـي ببسـاطة مـا لا يمكـن أنْ نعرفـه. وفي البـدءِ, يمكننـا القـول بـأنَّ ثَمَّـةَ حقيقتَـيْنِ مؤكَّدتَـيْنِ عمليًّـاً تتعلقـان بمـوت يسـوع الـذي وقـع في حـوالي ٣٠م، وهاتـانِ الحقيقتـانِ همـا: (١) كان يسـوع قـدْ صلبـه الرومـانُ بأمـرٍ مـنْ الحاكـم الرومانـيِّ لمدينـة يهـودا, بيلاطـس البنطـي؛ و(٢) كانـتْ التُهَـم الموجهـةُ إليـه تُهَمـاً سياسـيَّة– إذْ أُتُّهِـمَ بأنَّـه كان يدعـو نفسَـهُ ملـكَ اليهـودِ.

يسوعُ في عيدِ الفِصْحِ

- في تأمُّل الأحداث التي أدَّت الى صلب المسيح, مِنْ المهمِّ تذكُّرُ أنَّ المؤرخينَ لمْ يستطيعوا قطُّ وببساطة أنْ يأخذوا ما قيل في واحد منْ الأناجيل- خصوصاً إنجيل يوحنّا على ظاهره باعتبارِهِ يُقدِّم معلوماتٍ تاريخيَّةً موثوقةً. نحتاج الى النظر على نحو خاصّ في الأقدم منْ مصادرنا- الأناجيل السينوبيَّة, والى تطبيق معاييرَ تأريخيَّةٍ عليها، وهو ما ناقشناه في المحاضرة السادسة. بعد هذا, سنفهمُ الكثير حولَ أيام يسوع الأخيرة.
- إنَّهُ لَأمرٌ أكيدٌ عمليّاً أنَّ يسوع قضى خدمتَهُ العامةَ تقريباً في الجزء الشمالي من البلاد, في الجليل, مُعلناً قدومَ مملكة الربِّ. كذلك, منْ المؤكد عمليّاً أنَّه في الأسبوع الأخير منْ حياته, قام برحلة الى أورشليم مع تلامذتهِ للاحتفال بعيد الفصح.
- كانَ عيدُ الفصح- ولا يزال- عيداً سنويّاً يحتفل به اليهود في إحياء ذكرى حدث تكوينيّ للإسرائيليّين: ذكرى نجاتهم منْ العبوديّة في مصر تحتَ قيادة موسى.
- يتضمَّنُ هذا الحدث وجبةً خاصة مؤلَّفة من أطعمة رمزيَّة تساعد المشاركين في الوليمة على تذكُّر القصَّةِ- قصَّةِ خروجهم منْ مصر- كما رُويتْ في سِفْر الخروج من الكتاب اليهوديّ. آمن العديد من اليهود بأنَّ الاحتفال بهذا على النحو الصحيح يتطلب منهم المجيء الى أورشليم والمشاركة في

أضحيـة حمـلان الفِصْـح في المعبـد, وهـذه الحمـلان كانـت تؤخـذ الى المنـازل وتـؤكل في وجبـة الفصـح.

- غصَّـتْ سـاحة أورشـليم مـراتٍ عديـدة في مـدَّة عيـد الفِصْـح, وكانَ وقتـاً للتوتُّـر والخطَـر, وعـلى نحـوٍ خـاصٍّ بالنسـبة للرومـان المحتلّـين لإسرائيـل.

- أحيـا العيـدُ ذكـرى المـرَّةِ التـي كان اللـهُ قـدْ أنقـذ فيهـا بنـي إسرائيـل مـنْ ظلـمٍ أجنبـي, وشـارك العديـد مـن اليهـود في العيـد ليـس لمجـرَّد اسـتذكار المـاضي, لاسـتذكار مـا فعـل الـربُّ تحـت قيـادة مـوسى, بـلْ أيضـاً, فيمـا كان سـيفعله اللـهُ لإنقاذهـم مـنْ الرومـان.

- فهـمَ الرومـانُ هـذا الأمـر عـلى نحـوٍ تـامٍّ. وكانـتْ هـذهِ هـي المـرَّة مـنْ العـام حيـث كان يأتـي الحاكـم الرومانـيُّ الى المدينة مـنْ محـلِّ إقامتـه في قصاريـا[1], جالبـاً معـهُ قـواتٍ عسـكريَّةً تنـزل في محيـط المدينـة للقضـاء عـلى أيَّـة محاولـة شَـغَبٍ.

- في مصادرنـا كلِّهـا, في الأسـبوع الأخـير مـنْ حيـاة يسـوع, ذهـب يسـوع الى أورشـليم للاحتفـال بالفصـح, لكـنْ لِـمَ ذهـبَ؟

- هـلْ ذهـب ليمـوت مـنْ أجـل خطايـا العالـم؟ وجـواب هـذا سـيكون جوابـاً لاهوتيّـاً.

- ليـس مـنْ الصعـب الحصـول عـلى جـواب تأريخـيٍّ. كان يسـوع مسـتمّراً بالتصريـح عـنْ رسـالته في المناطـق الريفيّـة

---

(١) أو كيسـاريا، قيسـارية: مدينـةٌ فلسـطينية. بناهـا الكنعانيـون وسـموها (بـرج سـتراتون), وقـد أطلـق عليهـا هـيرودوس الرومـي اسـم (قيصريـة) نسـبة إلى القيصـر الرومـاني (أغسـطس قيـصر). (المراجـع)

البعيدة منْ الجليل; وفي هذه اللحظة, كانَ يأتي بهذه الرسالة الى قلبِ الأمّة الإسرائيليّة, والشعبِ الإسرائيليّ, والدينِ اليهوديّ- الى أورشليمَ في عيد الفصح.

• والدليلُ على أنَّ هذا هو مقصدُهُ نجدهُ في الأناجيل; إنَّه في خلال هذا الأسبوع تحدَّث يسوع برسالتِهِ على النحوِ الأكثرَ قوَّةً, رسالتِهِ المتعلقةِ بالخراب القادم الذي سيأتي على يد ابن الإنسان قبْلَ ظهور مملكة الرّب المستقبليَّة.

أحداثٌ في أورشليمَ

• أيضاً, ثَمَّةَ شكٌّ قليلٌ حولَ ما فعله يسوع أوَّلاً عندما وصل مدينة أورشليم في أوَّل الأمر, وحولَ ما كان يمكن أنْ يزورَ أولاً. دخَلَ يسوع بناياتِ المعبد الكثيرة, ورأى ما كان يجري هناك مثيراً للإزعاج والاضطراب, وبدأ يقلب الطاولاتِ ويهاجم بعضَ اليهود الذين كانوا يساعدون في إدارة شؤون العبادة في المعبد.

• هلْ كانَ يسوع منزعجاً لأنَّ بعضَ اليهود كانوا يستعملون طقوس المعبد ليجنوا المال من الدِينِ؟

• اعتقد بعضُ العلماء أنَّ أفعالَ يسوع في المعبد كانتْ نوعاً منْ الحكاية التمثيليَّةِ, تُبيّن ما كانَ سيحدث عندما يصل ابنُ الإنسان: سيدمِّر كل هذا الذي يجري خلافاً لمشيئة الله- بما في ذلك قيادة اليهود في أورشليم-.

• فلا عجبَ أنَّ قادة اليهود هؤلاءِ- الذين يرجح أنَّهم ما كانوا قدْ سمعوا بيسوع منْ قبلُ- لمْ يتعاطفوا مع

يسوع ولا مع رسالتِه. ولا شكَّ أنَّهم رأوا أنَّ أفعالَهُ يمكن أنْ تُحدث الآتي: أنْ تكونَ الجماهيرُ متشوقةً الى سماع كيف سيتدخَّل اللهُ سريعاً في حالتهم.

• وهكذا, فإنَّ الزعماءَ اليهود- الكهنةَ الكبار وأعضاءَ مجلس الحكم (السانهدرين)[1]- راقبوا يسوع عنْ قرب. ورأوْا, أخيراً, أنَّهم يجبُ أنْ يعملوا على إزالته منْ أمام عيون العامَّة. لكن أنّى لهم هذا دونَ التسبُّبِ في اضطراب يمكن أنْ يؤدي الى المزيد منْ المشكلات؟

الوشاية بيسوع

• مصادرنا منسجمة في القول بأنَّ السلطاتِ اليهوديَّةَ قدْ رشتْ واحداً منْ أقرب تلامذة يسوع, يهودا الأسخريوطي, للوشاية به. وهذا الرأي نجح في فحص معاييرنا التاريخيَّةِ المتنوعةِ لهُ, لكنْ يظلُّ سؤالٌ: هلْ أخبر يهودا, ببساطة, السلطاتِ عنْ مكان يسوع عندما كان الجمهور غائباً؟ يبدو أنَّه رُبَّما كان هناك الكثير ممَّنْ تورط في الوشاية بيسوع.

• يجب علينا أنْ نأخذ بعين الاعتبار العديد من المعلومات اللافتة للانتباه.

---

(١) أو السنهدرين، السنهدريم: كلمة عبرية، ومعناها حرفياً (الجالسون معًا). وقد تعني مجمع مشيخة أو مجلساً استشارياً. وقد أطلق هذا الاسم من قبل اليهود في فترة وجود المسيح على الأرض باعتباره المحكمة العليا للأمة اليهودية، وكانت المتحدث الرسمي باسم الشعب اليهودي أمام الرومان. ويتكون من واحد وسبعين عضواً؛ سبعون منهم مثل عدد الشيوخ الذين عاونوا موسى، والحادي والسبعون هو رئيس الكهنة أو الكاهن الأعظم. وتوقف العمل به بعد عام ٧٠م بعد خراب أورشليم والشتات اليهودي. (المراجع)

يبدو راجحاً أنَّ يهودا قدْ أخبرَ السلطاتِ الرومانيّةَ بما هوَ أكثرُ منْ مكان يسوع؛ رُبَّما كانَ قدْ كشفَ لهمْ عنْ تعليماتٍ كانَ يسوعُ قدْ أسرَّها الى تلامذتِهِ على نحْوِ الخصوصِ

- أوَّلاً، لاشكَّ أن يسوعَ قدْ قتلهُ الرومانُ، وليس اليهودُ، وأنَّ قَتْلَه كان لسببٍ سياسيٍّ- بسبب تسميتهِ نفسَهُ ملكَ اليهود.
- لمْ يكنْ يسوعُ اليهوديَّ الوحيدَ منْ العصر القديم الذي زعم أنّه المسيح؛ ردَّ الرومان بعنفٍ على هذه المزاعم، وعادةً بقتلِ مَنْ يزعم كونَه المسيحَ خِشْيَةَ العصيان.
- لكنَّ اللافتَ للانتباه هو أنَّ يسوع لم يُسَجَّل عنْهُ زعمُهُ أنَّه ملك اليهود في كلِّ تصريحاته العامَّة، فَلِمَ كانَ سَيُصلَب بسبب شيء لمْ يزعمْهُ إطلاقاً؟!
- تخبرنا الأناجيلُ، بتكرارٍ، بأنَّ يسوع قدْ عَلّم تلامذتَه على نحو خاصٍّ- ولدينا مؤشّرٌ جيدٌ على شيء واحدٍ قدْ علمَّهم إيّاه: قولٍ لهُ في إنجيل متّي وإنجيل لوقا (أي إنَّه يأتي من المصدر القديم Q) الذي ما كان لمسيحيٍّ متأخِّرٍ أنْ يصنعَه: وعلى هذا، فإنَّ هذا الذي علّمَه يسوعُ تلامذتَه تاريخيٌّ على نحوٍ مؤكَّد تقريباً. أخبر يسوعُ تلامذته بأنَّهم سيصبحون حُكّاماً لقبائل بني إسرائيل في مملكة المستقبل.
- لكنْ، إنْ كانَ التلامذة حُكّاماً فَمَنْ سيحكمهم؟ وكانَ الجواب أنَّ يسوع هو زعيمهم الآن. لقدْ كانَ الشخص الذي

قـدْ دعاهـم. وباتِّباعهـم تعاليمَـهُ كانـوا سـيدخلون المملكـة.

- يبـدو أنَّ يسـوع قـدْ أفهم تلامذتـه بأنّـه كمـا كانَ يحكمهم ذلـك الوقـت, كذلـك أيضـاً سـيحكمهم فيمـا بعـدُ- عندمـا يصـل ابـنُ الإنسـان كان يسـوع سـيُنصَّب ملـكاً للمملكـة القادمـة. إنَّ هـذا كانَ سـيقع في مُـدَّة حياتهـم, في زمـنٍ فيـهِ يسـوعُ هـو مسـيحُ المملكـة.
- هـذا هـو السِّرُّ الـذي أفشـاه يهـودا. أبلغَ يهـودا السـلطاتِ بـأنَّ يسـوعَ كان يدعـو نفسَـهُ الملِـكَ القـادم لليهود.
- لهـذا السـبب, حـينَ خافـتْ السـلطات الشـغَب, قامـتْ بنقـل يسـوع تحـتَ سـيطرتهم وسـلَّموه الى بيلاطـس البنطـي ليُحاكَـم.
- مـا كانَ بيلاطـس لِيهتـمَّ إنْ كان يسـوع قـدْ اختلـف مـع السـلطات اليهوديَّـة في قضيَّـة تخـصُّ الديـن اليهـوديَّ أو إنْ كانَ قـدْ ارتكـب تجديفـاً دينيّـاً. كان بيلاطـس حاكمـاً رومانيّـاً لمقاطعة رومانيَّـة، ولـمْ يكـن يهتـمُّ الّا لتهديـدات تواجههـا رومـا.
- كانـتْ التهمـةُ التـي واجههـا يسـوع هـي أنّـهُ كانَ يطالـب بانتـزاع السـلطة مـنْ الرومـان، ويطلـب أنْ يكـون المَلِـكَ القـادمَ، في حـينِ إنَّ الرومـان هـمْ الوحيـدون الـذي يسـتطيعون تنصيـب الملـك.
- سـألَ بيلاطـسُ يسـوعَ عـلى نحـوٍ واضـح إنْ كان قـدْ دعـا نفسَـهُ مِلِـكَ اليهـود, ويسـوع إمَّـا لـمْ يُجِـبْ, أو أجـاب بصـدقٍ بأنّـه كان سـيكون ملـكَ اليهـود.
- وكان ذلـك كلُّ مـا يحتـاج بيلاطـس الى معرفتـهِ. أمـرَ

بيلاطس بصلْب يسوع. جُلِدَ يسوع وأُخِذَ الى الصليب, وفقاً الى أقدم سجلاتنا, كان ميّتاً في غضون ستِ ساعات.

بعدَ ذلكَ

- لابُدَّ أنَّ موتَ يسوع قدْ هزَّ، على نحوٍ جذريٍّ، ثقةَ التلامذة فيما كانوا قدْ اعتقدوه بخصوصِهِ.
- أمرٌ مهمٌّ أنْ نُدرِكَ أنْ لا يهوديَّ قدْ تخيل أنَّ المسيح كان سيكون شخصاً يموت منْ أجل الآخرين. بلْ, كانَ المسيحُ سيكون المنقذَ العظيمَ والقويَّ لشعبِهِ منْ ظالميهِ الأجانب.
- خلالَ مُدَّة حياة يسوع, رُبما كان تلامذته قدْ اعتقدوا أنْ يكون ملكَ المملكة القادمة- المسيحَ العظيم القوّي- لكنْ, بعدَ موته, بدا واضحاً أنَّهُ ليس ذلك الملك فما كان قدْ هزم العدوَّ, بلْ العدوُّ هو من حطَّمهُ. وما كان قدْ أسَّسَ مملكة جديدة, بلْ, أعدمَهُ حكَّامُ المملكة القائمة.
- لابدَّ أنَّ موتَ يسوع قدْ ألقى اليأسَ في قلوبِ أتباعه, وهو يأسٌ ما كان سيذهب إلّا- على نحو تمجيديٍّ- عندما يصلون الى الاعتقاد بأنَّ الله قدْ رفعه منْ الموتى.

الفصل التاسع

موت يسوع: ما لا يستطيع المؤرخون معرفته

في المحــاضرة الســابقة, ناقشْــنا مــا يمكــنُ للمؤرّخــين معرفتُــه بيقــينٍ معقــولٍ حــولَ مقتــل يســوع. في هــذهِ المحاضرة, سـنتفحَّص الجانــبَ الآخَــر مــنْ العمليّــة, مــا لا يمكننــا معرفتُــهُ حــولَ مــوت يســوع. ســينفعنا هــذا النقــاش كتمهيــدٍ للمحاضرتَــيْن التاليتَــيْنِ اللتَــيْنِ تعالجــانِ مــا يمكننــا, ومــا لا يمكننــا معرفتــه, حــولَ بعْــث يســوع. هاتــانِ المحاضرتــانِ همــا مفتــاح عمــوم الدراســة; فيهمــا, ســنرى, عــلى وجــه الدقــة, أنَّ الاعتقــاد بــأنَّ اللــهَ قــدْ أنهــض يســوع مــن الموتــى هــو مــا أدّى بأتباعــهِ الى الزعْــم بأنَّــه إلــهٌ حقّــاً.

تناقضات المصادر

• بعــضُ الأحــداث المؤدّيــة الى مــوت يســوع لا يمكننــا أنْ نعرفهــا, وســببُ ذلــك أنَّ المصــادر مليئةٌ الى حــدٍّ كبــير بالتناقضاتِ, تناقضــاتٍ كبــيرة وأُخَــر صغــيرة. وليــسَ في هــذا مــا يُدهِــش, لأنَّ كلَّ هــذهِ المصــادر قائمــة عــلى تــراثٍ شــفهيٍّ كان رائجــاً لعقــودٍ.

- بعـض هـذه التناقضـات مهـمٌ وصعـبٌ عـلى التوفيـق. عـلى سـبيل المثـال, في أيِّ يـومٍ صُلِـبَ يسـوعُ؟
- إنجيـلُ مرقـص واضـحٌ جـداً في هـذا الموضـوع. صُلِـبَ يسـوع في اليـوم الـذي تـلا اليـوم الـذي أُكِلَ فيـهِ طعـامُ عيـدِ الفصْـحِ.
- إنجيـلُ يوحنـا, أيضـاً, واضـحٌ جـداً. صُلِـبَ يسـوع في اليـوم الـذي سـبقَ يـومَ أكْلِ طعـامِ عيـدِ الفصْـحِ.

- لِـمَ يهـمُّ اليـومُ؟ لأنَّ يوحنَّـا قـدْ غَـيَّرَ عـلى نحـوٍ واضـح حقيقـةً تاريخيَّـةً مـنْ أجـلِ مسـألةٍ لاهوتيَّـةٍ. بالنسـبة إليـهِ (وإليـهِ فَحَسْـبُ) كان يسـوع (حَمَـلَ اللـهِ الـذي يذهـبُ بخطايـا العالـم) (إنجيـل يوحنّـا ١: ٢٩). وهكـذا, ليـسَ صُدفـةً أنَّـه في كلام يوحنّـا, يُقتَـل يسـوعُ في اليـوم نفسِـهِ عـلى يـد النَّـاس أنفسِـهم الذيـن قتلـوا حمـلان الفصْـح.
- هـذهِ هـي مشـكلةُ المصداقيَّـةِ التاريخيَّـةِ للأناجيـل باختصـار: هـؤلاءِ المُؤلِّفـون, والقَصّاصـون الذيـن سـبقوهم, أقـلُّ اهتمامـاً بالحقائـق الدقيقـة تاريخيّـاً الموجـودةِ منْهـم بالقَصَـص القائمـة المفـسَّرةِ لاهوتيّـاً. وهـذا سـببٌ يوجـبُ عـلى المؤرّخـين اسـتعمال هـذا الـكلام بحـذر وإخضاعـه لمعايـيرَ تاريخيَّـةٍ صارمةٍ.
- ثَمَّـةَ قضايـا أُخَـر في قَصَـص الإنجيـل عـنْ حـوادث أدّتْ الى مـوت يسـوع, وهـي شـائعة, لكنَّهـا عـلى درجـةٍ عاليـةٍ مـن الإشـكاليَّة مـنْ وجهـة نظـرٍ تاريخيَّـة. مثـالٌ جيِّـدٌ عـلى ذلـك هـو دخولـهُ المنتـصر المفـترض الى أورشـليم الى حَـدٍّ هتـاف الجماهـير

لـه بأنّـهُ كان القـادمُ (باسـمِ الـربِّ).

• وهــذا في الواقــع كانَ هتافــاً بــأنَّ يســوعَ هــو المســيحُ القــادم.

• إنْ كانَ فِعـلاً قـدْ حَـدَث مثـلُ هـذا الأمـر, فمِـنْ الصعـبِ أنْ نفسِّر أنَّ الرومـان لـمْ يُلقـوا القبـض عليـهِ في المـكان نفسِـهِ. بعـدَ كلِّ هـذا, كانـتْ القـوّات الرومانيَّـة قـد جُلِبَـتْ الى المدينـة تحديـداً لِمنْـعِ أيِّ نـوع مـنْ قبيـل هـذهِ الهتافـات التـي يمكـن أن تـؤدي الى اضطرابـات أهليَّـة.

دَفْنُ يسوعَ

• رُبَّمـا تكـونُ المشـكلةُ التاريخيَّـةُ الأكثـرُ أهميَّـةً في روايـة مـوتِ يسـوع هـي قضيَّـةُ دفنـهِ عـلى نحـو لائـق.

• في كُلِّ الأناجيـل الأربــع, يُقــال إنَّ يســوع دَفَنَــهُ زعيــم يهـوديّ اسـمه جوزيـف مـنْ مدينـة أريماثيـا[1]، وهـو عضـو في السـانهدرين.

• وحقّــاً ثَمَّــةَ روايــاتٌ أُخَــر عــنْ كيفيَّــة دفــن يســوع, ويتضمَّـن أعمـال الرسـل ١٣: ٢٨–٢٩, الـذي رُبَّمـا يحتفـظ بواحدة مـنْ أقــدم الروايــات. وإذْ تطــورتْ الرُوايــةُ, جــاءَ القَصّاصــون (فوضعــوا أســماءً لِمَــنْ لا أســماءَ لهــم).

• أمـرٌ مهـمٌّ أنْ نتأمَّـل لِـمَ أراد القصّاصـون التأكيـدَ عـلى أنَّ يسـوع قـدْ حَظـيَ بمراسـم دفـن لائقـة, ودُفِـنَ في قـبْر معـروف.

---

(١) أو الرامـة، الرملـة: تقـع الى شـمال السـامرة في فلسـطين. تحتـوي عـلى ضريـح القديـس يوسـف والقديـس ماليـل. (المراجـع)

ادَّعى القَصّاصونَ المسيحيُّونَ الأوائلُ أنَّ يسوعَ كانَ قدْ دُفِنَ في قَبْرٍ خاصٍّ لِكَيْ يدعموا الزعْمَ بأنَّهُ كانَ قدْ بُعِثَ مِنْ الموتِ.

• لَوْ لمْ يكن ليسوع قبرٌ معروفٌ لَما استطاع أحدٌ أنْ يزعم فيما بعدُ بأنَّ القبرَ كان خالياً, ولَما أصبح الزعْم بالقبر الخالي من الناحية العمليَّةِ جانباً مركزيَّاً للادّعاء المسيحيِّ بأنَّ يسوع كانَ قد بُعِثَ مِنْ بَيْنِ الأموات, وكان خلوُّ القبر مِنْ الجسد جُزءاً مِنْ البرهان على البعْث. لكنْ, كيف يكون الأمرُ إنْ لمْ يكن قدْ وُضِعَ في قبرٍ قطُّ؟

• كانَ مخالفاً للتصرُّفات الرومانيَّة أنْ يُسمَح بدفن المجرمينَ المصلوبينَ على النحو اللائق. بلْ, كانوا يُترَكون تتعفن أجسادهم لأيام على صلبانهم كجزء مِنْ العقاب.

• كانَ الرومانُ عادةً يدفنون المجرمين العاديّين بأنفسهم- بدلاً مِنْ السماح لآخرين أنْ يقوموا بذلك- في قبورٍ مشتركة. بطريقة الدفن هذه, إنْ لم تكن الجثث قدْ تحللتْ فلا يمكن معرفة هويّتها فسيكون تحلّلها في غضون أيام.

• لمْ يكنْ بيلاطس البنطي، على وجه الخصوص، حاكماً متساهلاً يتعامل بالرحمة مع مَنْ يطلبها منه.

ما يمكنُ أنْ نعرفهُ وما لا يمكن أنْ نعرفهُ

• في النهايةِ, كمؤرّخين, علينا أنْ نُدرِك أنَّ ثَمَّةَ في الأناجيل العديدُ مِنْ الأحداث التي لا نستطيع معرفتها أو لا نستطيع

قبولها كأمرٍ أكيدٍ تاريخيّاً.

- ما هو أكيدٌ هو أنَّ يسوع قدْ أعدمه بيلاطس بسبب دعوتهِ نفسَهُ مَلِكَ اليهود. ولابدَّ أنَّ هذه الانعطافة غير المتوقعة للأحداث قدْ ألقتْ تلامذة يسوع في يأسٍ عميق حتَّى وصلوا الاعتقاد بأنَّ الله كان قدْ قلب حُكمَ العالم فبعث يسوع من الموت. وهذا القلب أدَّى بالتلامذةِ الى أنْ يبدأوا في إعلان أنَّ يسوع, وبعيداً عنْ كونه مسيحاً فَقَدَ المصداقيَّةَ, كانَ قدْ صُيِّرَ إلهاً.

الفصل العاشر

البعث: ما لا يستطيع المؤرِّخون معرفته

دونَ شكٍ, يمثِّلُ بعثُ يسوع عنصراً جوهريّاً في عموم الإيمان المسيحيّ. لو لمْ يكنْ قدْ آمن أحدٌ بأنَّ يسوع كان قدْ بُعِثَ من الموت, لَكانَ منْ المحتمل أنْ لا يكونَ للمسيحيَّة وجودٌ. ولثبوت الأهميَّة الأساسيَّة للبعْث بالنسبة الى بداية المسيحيَّة, وبالنسبة الى فهم يسوع باعتباره شخصيَّةً إلهيَّةً, منْ الضروري أنْ نسأل ما يمكننا أنْ نعرفه عن البعْث في المستوى التاريخيِّ؟ ما يمكن أنْ يقوله المؤرّخون حول ما حدث لجعلِ التلامذة يصلون الى الاعتقاد بأنَّ يسوع قد بُعِثَ منْ بيْن الموتى؟ وما الأمْر الذي لا يمكن أنْ يقوله المؤرّخون حولَ هذهِ الحادثةِ المفتاحِ التي انتهتْ بتغيير تاريخ العالم.

مركزيّة البعث

- بعْثُ يسوع أمرٌ مركزيٌّ على نحوٍ واضح في الإيمان المسيحيِّ, والحقُّ, لو لمْ يعتقد أحدٌ ببعث يسوع فالمحتمل

أنْ لا تكـونَ هنـاك مسـيحيَّة.

- في مُـدَّةِ حياتـه, كان يسـوع نفسُـهُ يهوديّـاً, وكان أتباعـه يهـوداً. حمـل يسـوعُ رسـالةً قائمـة عـلى أسـاسٍ مـن فهمـه للكتـاب المقـدَّس اليهـوديِّ وللـربِّ اليهـوديِّ. وأعلـن بـأنَّ في جيلـه سـيتدخل اللـهُ في التاريـخ ليدمِّـر قـوى الـشرِّ، ويقيـم مملكتـهُ التـي طـال انتظارهـا عـلى الأرض.
- لـو كانَ يسـوع قُبِـضَ عليـه وصُلِـبَ لجرائـم ارتكبهـا ضدَّ الدولـة، ولـمْ يعتقـد أحـدٌ أنَّ اللـه قـدْ بعثـه مـنْ المـوت, لـكانَ في أفضـل الأحـوال هامشـاً في التاريـخ اليهـوديِّ, نبيَّـاً قليـلَ الحكمـة تنبّـأ بأمـور لـمْ تحـدث قـطُّ ودفـع حياتـه ثمنـاً لهـا, ولـكانَ أتباعـه مجـرَّدَ طائفـة صغـيرة ضمـن اليهوديَّـة كانـتْ سـتنقرض بمـرور الزمـن.
- لقـدْ كان الاعتقـاد بالبعـثِ هـو مـا غـيَّر كلَّ شيءٍ. مـا إنْ اعتقـدَ تلامـذة يسـوع بـأن اللـه قـدْ بعثـه مـن المـوت حتّـى فهمـوا كلَّ شيءٍ كانَ قـدْ قالـهُ وفعلـهُ عـلى نحـوٍ جديـد.
- فَلْنتذكـرْ أنَّـه في العالـم القديـم مَـنْ يُرفَـع الى السـماء ويجلـسُ عـلى عـرْش الى جانـب الـربِّ كان يُنظَـر اليـه كإلـهٍ. وهـذا مـا رآه التلامـذة مبـاشرة في يسـوع- رأوْا فيـه كائنـاً إلهيَّـاً.
- كانَ يسـوع قـدْ بَـشَّر بـأنَّ ابـن الإنسـان سرعـانَ مـا سـيأتي مـنْ السـماء الى الأرض; بعـدَ موتـه قـال تلامذتُه أنَّ يسـوع هـو ابـنُ الانسـان ذاك.
- كانَ يسـوع قـدْ قـال بأنّـه سـيكون ملـكَ مملكة المسـتقبل, المسـيحَ; وبعـدَهُ, قـال التلامـذة بأنَّـه كان, أصـلاً, الملـكَ, ليـس

لبنـي إسرائيـل فحَسْـبُ, بـلْ لعمـوم العالـم, وهـو ربُّ السـماءِ والأرضِ.

- كانَ يسـوعُ قـدْ قـدَّمَ نفسـه باعتبـاره نبيًّـاً يعـرف إرادةَ اللـه; بـدأ تلامذتُـهُ القـولَ بأنَّـه أكثـرُ مـنْ هـذا بكثـير- بـأنَّ اللـهَ كانَ قـدْ رفعـه الى السـماء, وأنَّـه كانَ يجلـس عـلى عـرش اللـه كإلـهٍ.
- وكانَ هذا بداية الإعلان بأنَّ يسوعَ إلهٌ.

التاريخ مقابل الماضي

- مـع وجـود الأهميَّـة الأساسـيَّة للبعـث, مـا يمكننـا قولـه حـول البعـث كمؤرّخـين؟ للجـواب عـلى هـذا السـؤال, نحتـاج الى النظـر في المنهـج التاريخـيِّ وفي مـا يمكـن للمؤرّخـين, ومـا لا يمكنهـم, أنْ يُظهـروه حـولَ المـاضي.
- رُبَّمـا تكـون المسـألة التـي يجـب أنْ نلحظهـا مربكـةً قليـلاً, لكنَّهـا مركزيَّـةً في أهميَّتهـا: التاريـخُ ليـسَ المـاضي.
- عندمـا نتكلـم عـنْ (المـاضي) فنحـنُ نعنـي كلَّ شيء قـدْ حـدث قبـلَ اللحظـة الحـاضرة. عندمـا نتكلـم عـنْ (التاريـخ) فنحـنُ نعنـي كلَّ شيءٍ يمكـنُ أنْ نبـيِّنَ أنَّـهُ قـدْ حـدث قبـلَ اللحظـة الحـاضرة. وهـذانِ الأمـرانِ ليسـا متطابقَـيْن كمـا هـو واضـح, لأنَّ أغلـبَ المـاضي لا يمكـنُ تِبيـانُ حدوثِـهِ ببرهـان.
- في بعـض الحـالات تنقصنـا المصـادرُ الكافيـة. عـلى سـبيل المثـال, لا يمكننـا التِبيـانُ تاريخيًّـاً مـا يتناولـه جـديٌّ عـلى العشـاء في الثالـث مـنْ مـارس مـن العـام ١٩٥١. فالحادثـة في المـاضي

وتقريباً قد حدثت على نحوٍ أكيدٍ, لكن ليس اليها من سبيلٍ.

- ثَمَّةَ أمورٌ أُخَر لا يمكن إبانتُها على النحو التأريخيِّ, ببساطة, لأنَّها ليست من النوع الذي يمكن للتاريخ إبانتُه. مثلاً, لا يمكن للتاريخ أن يُبَيِّنَ أنَّ الجذر التربيعي للرقم (١٤٤) هو (١٢). تلكَ قضيَّة رياضيَّة وإنْ عرفتَ أنَّها صحيحة فليس لأنَّكَ قد قمتَ ببحث تأريخيٍّ, بَلْ, لأنَّكَ درستَ الرياضيات. فضلاً عنْ ذلك, لا يمكن للتاريخ الولوجُ الى الحالات الانفعاليَّة الداخليَّة.

- وهكذا, الماضي هو كلُّ شيءٍ حدثَ (ما أكله جدي في وقتٍ ما, قضيَّةُ كونك قدْ أجبتَ عنْ مسألة رياضيَّة على نحوٍ صحيح), والتاريخُ هو ما يمكن تِبْيانُ حدوثِهِ في الماضي.

افتراضاتُ المؤرّخين

- مِنْ بَيْنِ الأمور التي لا يمكن أنْ يبيِّنَ التاريخُ حدوثها في الماضي هي المعجزات ومنها معجزة البعث, وليس هذا لأن المؤرّخين يجب أنْ يكونوا إنسانيّينَ علمانيِّينَ منحازينَ ضدّ ما هو فوق الطبيعي, كما يزعمُ بعض المدافعين المسيحيِّين أحياناً.

- بَلْ ثَمَّةَ سببانِ لعدم استطاعة المؤرّخين تِبيانَ حدوث المعجزات- وإنْ كانتْ قدْ حدثتْ. السببُ الأوَّلُ يتعلق بالافتراضات المسبقة التي يستعملها المؤرّخون في عملهم عندما يعملونَ كمؤرّخين.

- كُلُّنا لدينا افتراضاتٌ, والسؤالُ هو: أيُّ نوع منْ الافتراضات يناسب المهمَّةَ التي هي قيْدَ العمل؟ وعندما يتعلق الأمر بإعادة تركيب الماضي- الذي هو عمل المؤرِّخ- يكون بعضُ الافتراضات مقبولاً وبعضُها الآخَر غيرَ مقبول.
- افتراضاتٌ أُخَر ليستْ مناسبةً للمؤرِّخين لسببٍ بسيط هو كونها لا يشترك في الأخذ بها المؤرِّخون الآخرون الذين ينشغلون بالبحث نفسه.
- على سبيلِ المثال, المؤرِّخون- عندما يكونون منشغلين في البحث التاريخيِّ- لا يمكن أنْ يستنتجوا أنَّ دين المورمون[1] بدأ عندما ظهر الملاك موروني لجوزيف سميث[2]، وكشفَ له عنْ الألواح الذهبيَّة[3]. رُبَّما وقع ذلك الحدث, لكنَّ الاعتقاد بوقوعه يقتضي أنَّ المؤرِّخ يعتقد بوجود الملائكة, وبأنَّ جوزيف سميث قدْ تلقَّى وحْياً من الملاك والى غير ذلك من الأمور. وتلك هي اعتقادات لاهوتيَّة لا يتشاركها الجميع، وعلى هذا, لا يمكن أنْ تكون ضِمنَ افتراضات المؤرِّخ.

---

(١) مجموعة دينية وثقافية متعلقة بالمورمونية، وهي ديانة أمريكية نشأت خلال أواسط القرن ١٩. الغالبية العظمى من المورمون أعضاء في كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة، بينما أقلية أعضاء الكنائس المستقلة الأخرى، يعتبر المورمون أنفسهم جزءًا من الديانة المسيحية. كما يشمل المصطلح كذلك على المورمون من غير المتدينين أو الممارسين. التأثير الثقافي للمورمون متركز في ولاية يوتا، رغم أن أغلبية المورمون يعيشون خارج امريكا. (المراجع)

(٢) مؤسس المذهب المورموني. (المترجم)

(٣) النص الأصلي للكتاب المقدَّس المورموني. (المترجم)

• ينطبق الأمرُ ذاتُه على الاعتقاد ببعث يسوع منْ الموتِ, معَ كونه حدثاً ماضياً, لمْ يمكن حسمُ أمرِهِ في المستوى التاريخيِّ لأنَّه يفترض قضايا اعتقاديَّةً لا يتشاركها كلُّ الباحثين.

الاحتمالُ التاريخيُّ

المشكلةُ الثانية في محاولة الإثبات على أرضيَّةٍ تاريخيَّةٍ بأنَّ معجزةً قدْ حدثتْ هيَ أنَّ واحداً منْ الافتراضاتِ الملائمةِ للبحث التاريخيِّ هو افتراضٌ يمكنه حسْمُ ما يُحتَمَل حدوثه في الماضي فحَسْبُ.

• لا يمكننا إثبات الماضي بالطريقة نفسها التي نثبت بها معطياتِ تجربةٍ علميَّةٍ. وعلى هذا, يضع المؤرِّخون مستوياتٍ من الاحتمال للماضي تقوم على الدليل الموجود. بعضُ الأحداث عاليةٌ جداً في الاحتمال بحيث يمكن أنْ نسميّها يقينيَّة; والبعضُ الآخر محتَملٌ جداً, ومحتَملٌ نوعمّا, وممكنٌ, وغير راجح والى آخِر ذلك.

• والمشكلة في المعجزات هي أنَّها, تعريفاً, إنْ لمْ تكن مستحيلةً, فإنَّها ممكنةٌ في الدرجة اللامتناهية في الصغر. وإلّا فلا تكونُ معجزةً. يعتقد الكثيرُ منْ النَّاس بأنَّ يسوع قدْ مشى على الماء, لكنهم يقرّون كذلك بأنَّ مثل هذا الحدث نادراً ما يحدث، ولذا يجب أنْ يسمى إعجازيّاً.

• على الرغْم منْ ذلك, لا يمكن للمؤرّخين الإقرارُ بما حدث في الماضي على وجه الاحتمال فَحَسْبُ, وإنْ كانتْ

المعجزاتُ, بالتعريف, هي الحدَثُ الأقلُّ وقوعاً, إذاً, لا يمكن للمؤرِّخين أنْ يبيّنوا أنَّ هذهِ المعجزات قدْ حدثتْ.

- لا يعني هذا أنَّ المؤرِّخين يجبُ أنْ يكونوا غيرَ مؤمنين, بلْ, يعني هذا أنَّهم إنْ كانوا يؤمنون بالمعجزات فإنَّ هذا الإيمانَ قائمٌ على أساسِ الاعتقاد. وليس على أساس معرفةٍ تاريخيَّةٍ.
- بإجمالٍ, حتَّى إنْ كان يسوعُ قد بُعِثَ من الموت في الماضي فلا سبيلَ للمؤرِّخين الى تِبيانِ هذا على نحوٍ تاريخيٍّ. مَنْ يعتقد بأنَّهُ قد بُعِثَ إنَّما يعتقدُ هذا ليسَ لسببٍ تاريخيٍّ, بَلْ, لأنَّ ذلكَ هو اعتقادهُ.

مأثورُ البَعْثِ

- على الرَّغْمِ مِنْ أنَّنا لا نستطيع أنْ نثبت، على نحوٍ تاريخيٍّ، بأنَّ الله قدْ بعث يسوعَ من الموت, ثَمَّةَ أشياء يمكن قولها حولَ المأثور منْ الروايات عنْ بعث يسوع منْ وجهة النظر التاريخيَّة. بعضُ هذهِ الأشياء غيرُ راجح منْ الناحية التاريخيَّة في حين إنَّ بعضها الآخَر محتَملٌ. أمرٌ واحدٌ هو أكيدٌ منْ الناحية العمليَّة, كما سنرى في المحاضرة التالية, وهو أنَّهُ سواء أكان يسوع, أو لم يكنْ قد بُعِث من الموت, فقدْ آمن بعض أتباعه بأنَّه قَد بُعِثَ.
- مع ذلك, فإنَّ أموراً أُخَر ليستْ بهذه الدرجة منْ اليقين. على سبيل المثال, رأينا سابقاً أنَّ, مِنْ غير الراجح، أنَّ يسوع قدْ دُفِنَ في قبرٍ معروف. وهكذا فإنَّ منْ غير الراجح

أيضاً أنْ يكون القبر الذي اكتشفه أتباعه خالياً.

- كذلك, نحن لا نعلم متى قال التلامذة أوَّلاً بأنَّ يسوع قد بُعِثَ منْ الموت. يشيرُ مأثور الكتاب المقدَّس الى أنَّه كانَ بعد ثلاثة أيام, لكنَّ ذلك أمر تصعبُ معرفته.

ثَمَّةَ عددٌ منْ المرويّاتِ التي تدورُ حولَ بعْثِ يسوعَ التي لا يمكنُ أنْ يؤكّدها المؤرِّخونَ, وتشملُ هذهِ اكتشافَ القبْرِ الخالي, وهويَّةَ النَّاسِ الأوائلِ الذين آمنوا ببعثِهِ

- إنْ كانتْ الأناجيلُ صحيحةً في زعمِها أنَّ التلامذة قدْ هربوا تاركينَ يسوع وقتَ القبضِ عليهِ, فمِنْ الراجح رجوعُهم الى الجليل, في مسير سبعة أيام على الأقدام من أورشليم.
- وإنْ كانوا قدْ وصلوا الاعتقاد بأنَّ يسوع قد بُعِثَ من الموتى حالَ وصولِهم الى الجليل– كما يوضحه إنجيل مرقص (وأشار اليه إنجيل متّي)– إذاً, فقدْ ظهر هذا الاعتقادُ على الأقلِّ بعدَ أسبوع, وربَّما أكثر منْ أسبوعٍ بكثير.
- أيضاً, منْ غير الممكن معرفةُ مَنْ كان الأوَّل في الاعتقاد ببعث يسوع من بين الموتى. توضح مصادرٌ مختلفة كونهم أشخاصاً مختلفينَ, يشيرُ بولصُ الى كونهِ بطرسَ, وترى الأناجيلُ أنَّها كانتْ مريمَ المجدليَّة.
- أخيراً, مِنْ غيرِ الممكن معرفةُ كمْ تلميذاً آمنَ ببعث يسوع. وَفْقاً للأناجيل, هُمْ كلُّ ما تبقى من التلامذة, الى

جانـبِ أتبـاع يسـوع مـنْ النسـاء في الجليـل. لكـنَّ مـا يدهـش أنَّـهُ في كلِّ ظهـور ليسـوع لتلامذتـهِ في الأناجيـل يشـكُّ بعـضُ هـؤلاء التلامـذة. رُبَّمـا يمكـن تفسـير هـذا بسـهولةٍ أكثـرَ عـلى أسـاس أنَّ بعـض الأتبـاع لـمْ يؤمنـوا قـطُّ بالبعـثِ.

- مُجمَـل القـول, لا يمكـن للمؤرِّخـين إثبـاتُ أنَّ اللـهَ قـدْ بعـث يسـوعُ مـنْ بَـيْن الموتـى, عـلى الرَّغـمِ مـنْ أنَّ اللاهوتيّـين, عـلى اختـلاف فرْضياتهـم, رُبَّمـا يـرَوْن أنَّـه قـدْ بعثـه, وأنَّ المؤمنين يعتقـدون بعثَـهُ. لكـنَّ هـذا ليـس زعمْـاً تاريخيَّـاً. أضِـفْ الى مـا تقـدَّمَ, ثَمَّـةَ العديـدُ مـن الجوانـب في قَصَـص بعْـث يسـوع هـيَ مشـكوكٌ فيهـا بدرجـةٍ عاليـة, لكـنْ أيضـاً, ثَمَّـةَ بعـضُ الأمـور التـي هـيَ أكيـدةٌ, وهـي مـا سنناقشـه في المحـاضرة القادمـة.

الفصل الحادي عشر

ما يكشفه التاريخ حول البعث

على الرغْم مِنْ أنَّنا, كمؤرِّخين, لا نستطيع الإتيانَ ببرهانٍ تاريخيٍّ لمعجزة مِنْ قبيل بعث يسوع مِنْ الموت, ثَمَّةَ أمور مؤكَّدة يمكن قولها بخصوص هذا الحدث المِحوَريّ الذي حَدَّدَ بداية المسيحيَّة. فوق كلِّ هذا, يمكننا القول بأنَّه سواء أكان يسوع قد بُعِث مِنْ الموت أمْ لا, فقدْ زعم بعض أتباعه أنَّه قدْ بُعِث. فما دفع بعض أتباع يسوع الى الاعتقاد ببعثه؟ الجواب البسيط هو الجواب الذي تنصُّ عليهِ كلُّ مصادرنا المبكرة: بعضُ أتباع يسوع حدثتْ لهم رؤيا لهُ فرأوْهُ حيّاً بعدَ موته. وهذا تفسير تاريخيٌّ يمكن أنْ يقبله المؤمنون وغيْر المؤمنين على وجهٍ سواء على أرضيَّة تاريخيَّة خالصة.

بداية المسيحيّة

- على خلاف مع ما يمكن أنْ نعتقده, لمْ تبدأْ المسيحيَّة مع حياة ودعوة يسوع. انما انطلقتْ كاعتقادٍ ببعثٍ يسوع؛

لـو كانَ أتبـاع يسـوع قـدْ اتَّبعـوا تعاليمـه ببسـاطة لَظلّـوا مِثْـلَ أيَّـة طائفـة في اليهوديَّـة.

- لا يمكننـا القـولُ بـأنَّ المسـيحيَّة بـدأتْ بمـوت يسـوع، وذلـك لأنَّـه بـدون البعـث كان سـيُنظَر الى موتـه باعتبـاره مـوتَ نبـيٍّ يهـوديٍّ خالـفَ القانـون.
- كمـا لا يمكننـا، ونتحـدث هنـا تقنيّـاً، القـولُ بأنَّ المسـيحيَّة قـدْ بـدأتْ ببعـثِ يسـوع- وسـبب ذلـك هـو أنَّ المؤرِّخـين لا يمكنهـم أنْ يبيّنـوا عـلى أسـاسٍ تاريخـيٍّ بـأنَّ يسـوع قـدْ بُعِـثَ مـن المـوت، وكذلـك لأنَّـه لـو كانَ يسـوع قـد بُعِـثَ ولـمْ يعـرف عـن بعثـه أحـدٌ لَمـا كانَ ثَمَّـةَ إيمـان ببعثـه.
- وعـلى هـذا النحـو، بـدأتْ المسـيحيَّة بإعـلان بعـضِ أتبـاعِ يسـوع بعثَـهُ مـنْ المـوت. مـا الأمـرُ الـذي دفـع هـؤلاء الأتبـاع الى الاعتقـاد ببعثـه؟

الاعتقادُ ببعثِ يسوع

- أمـرٌ مهـم أنْ نؤكِّـد أنَّ بعـث يسـوع لـمْ يكـنْ قائمـاً عـلى أسـاس مسـألة القـبْرِ الخـالي. كمـا رأينـا، إنَّ مسـألةَ القـبر الخـالي، مـنْ وجهـة النظـر التاريخيَّـة، أمـرٌ مشـكوك فيـه. فضـلاً عـنْ ذلـك، مـا كان القـبر الخـالي لِيجعـلَ شـخصاً يعتقـد أنَّ يسـوع كانَ قـدْ بُعِـثَ مـنْ المـوت وذلـك لوجـود تفاسـير أُخَـر أكثـر وضوحـاً لعِلَّـةِ خُلّـوَ القـبْر.
- والأكثـرُ مـنْ هـذا أهميَّـةً، كلُّ مصادرنـا القديمـة متفقـةٌ في القـول بـأنَّ حـالات مـنْ الرؤيـا لشـخْص المسـيح حيَّـاً وليـس

القبر الخالي- هو ما جعلَ أتباعَه يعتقدون أنَّه قد بُعِثَ.

- أقدمُ ما رُوِيَ ممّا لدينا موجودٌ في كتابات بولص:١، الكورينثيّون ١٥: ٣-٨. والمعروفُ على نحو واسع، أنَّ هذه الرواية هي صيغة سابقة للصيغة الأدبية, أيْ, هي قولٌ وُجِدَ قبلَ أن يُدمَج في السياق الأدبي الحاضر. إنَّها نظرة الإيمان التي سبقتْ تأسيس بولص الكنيسة في كورينث(١)، كما يشير بولص نفسه الى ذلك.

- وهكذا, ربما تكون روايةُ بولص السِجِّلَ الأقدم الذي نملك حولَ علَّة كون الناس قدْ آمنوا بالبعث- وهي رواية كُتِبَت قبلَ الأناجيل بعقودٍ منْ الزمان.

- وهذا المقطعُ واضح على نحوٍ تامٍّ: لقدْ كان ما يُدعى (ظهور) يسوع لأتباعه هو ما أدَّى بهم الى الاعتقاد ببعثِه. وليسَ ثَمَّةَ إشارة هنا الى قبرٍ خالٍ.

- ويصدق الأمرُ عينُه على الأناجيل. في إنجيل لوقا (٢٤: ٣, ١١; ١٣-٥٣), لا يدفع اكتشافُ القبر الخالي أيَّ شخص الى الاعتقاد ببعث يسوع; ولمْ يحصل الاعتقاد بالبعث لدى النَّاس الّا عندما ظهر يسوع لهم. ويمكن أنْ نوضح مسألةً مشابهةً حولَ إنجيل يوحنا (٢٠: ١-١٣; ١٤-١٨).

- إذاً, أقدمُ مصادرِنا واضحٌ تماماً: ما سبَّبَ الاعتقادَ ببعث يسوع منْ بَيْنِ الموتى هوَ حالاتُ رؤيا شوهدَ فيها

---

(١) أو كورنث، كورنثة، كورينثوس Corinth: مدينة يونانية تقع في وسط جنوب البلاد. أمضى فيها بولس الرسول ١٨ شهراً عام (٥٢-٥٣)م. حيث كتب الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، والرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس فيها. (المراجع)

يسـوع حيّـاً بعـدَ موتـهِ.

- كيـف يمكننـا قبـول ذلـك كتفسـير تاريخـيٍّ؟ ألا يسـتدعي زعْـمُ رؤيـة التلامـذة يسـوعَ حيّـاً بعـدَ موتـه قبـولَ المـؤرِّخ بمعجـزة البعـث- وهـو أمرٌ لا يمكـن قبولـه عـلى أُسُـس تاريخيَّة؟

- الجـوابُ هـو النفـيُ. عـلى العكْـس, مـنْ الممكـن تمامـاً للمؤرِّخـين القبـولُ بالمقدمـة القائلـة بـأنَّ أتْبـاع يسـوع قـدْ أعلنـوا أنَّ يسـوع كان قـدْ أُعيـد ثانيـةً الى الحيـاة عـلى أسـاس رُؤىً حدثتْ لهـمْ لأنَّ هـذا يحـدث دائمـاً للنَّـاس.

- في بعـضِ الأحيـان تحـدثُ للنَّـاس رؤىً يسـميها المؤرِّخـون صادقـةً, بمعنـى أنَّهـم قـدْ رأوا حقَّـاً مـا اعتقـدوا أنَّهـم رأوه- وفي أحيـان أُخَـر, تكـون الـرؤى كاذبـةً- بمعنـى أنَّ الشـخص الـذي حدثـتْ لـه الرؤيـا كان لديـه هلوسـةٌ.

- بعبـارةٍ أخـرى, أحيانـاً نـرى شـخصاً في غرفـة نومنـا ليـلاً لأنَّ شـخصاً موجـودٌ فِعْـلاً هنـاك, وفي أحيـان أُخَـر نحـن نـرى مجـرَّد أشـياء.

- المؤمنـون ببعـث يسـوع يقولـون بـأنَّ رؤيـا تلامذة يسـوع لـهُ هـي رؤيـا صادقـة; وفي حـين إنَّ غـيرَ المؤمنـين ببعثـه يقولـون بأنَّهـا كانـتْ رؤيـا كاذبـة, لكـنْ, في كلتـا الحالتَـيْن, يمكـن أنْ يقـول المؤرِّخـونَ بـأنَّ هـذه الـرؤى هـي مـا جعـل أتبـاع يسـوع يعتقـدون بأنَّـه لا يـزال حيّـاً.

- علمـاءُ العهـد الجديـد أنفسُـهم منقسـمونَ حـولَ قضيَّـة صـدْقِ الـرؤى وكذبِهـا. البعـضُ منهـم, مـنْ قبيـل (مايـك ليكونا), و(أن. تـي. رايـت) يـصرُّ عـلى أنَّ يسـوع قـدْ ظهـر فِعْـلاً لتلامذتـه

بعدَ موته، والبعضُ الآخَر مِنْ قبيل (مايكل جولدر)، و(جيرد لودمان)، يُصّر على أنَّ التلامذة كانوا في حالةٍ مِنْ الهلوسة.

• وكمؤرِّخينَ، لا نحتاجُ الى حلٍّ هذه القضية. سنتفحَّص ظاهرةَ الرؤى الكاذبة أكثرَ في المحاضرة القادمة أمَّا في الوقت الحاضر، سنكتشف ما يمكن قولُه أكثرَ حول الاعتقاد بالبعث على أساسِ التجارب الرُّؤيويَّة.

يتضمَّنُ إنجيلُ يوحنّا قِصَّةَ تشكيكِ توماسَ الذي طالبَ ببرهانٍ ماديٍّ للبَعْثِ

الرُّؤى المتعلقةُ بيسوعَ

• مِنْ غيرِ الممكنِ معرفةُ عدد تلامذة يسوع الذي حدثتْ لهمْ حقَّاً رؤى لهُ بعدَ موتهِ. طبْعاً، الأناجيلُ تشير الى أنَّ جميع التلامذة الأَحدَ عشرَ الباقين، الى جانبِ العديد مِنْ أتباع يسوع مِنْ النساء قدْ حصلتْ لهم هذه الرؤى، وكنتيجةٍ لذلك، آمنَ جميعهم بالبعث. على كلِّ حالٍ، ثَمَّةَ أسبابٌ تدعو الى إخضاع هذه الروايات للفحصِ والمساءَلةِ.

• والأكثرُ إثارةً للاهتمام هو وجود روايات متماسكة في الأناجيل بأنَّ بعض التلامذة قد (شكَّ) في أنَّ يسوع كان قد ظهر حقَّاً لهم داعياً الى بُرهان مِنْ يسوع المبعوث (متي ٢٨: ١٧; ولوقا ٢٤: ١٠-١١; يوحنا ٢٠; أعمال الرُسُل ١: ٣).

• لِمَ ساورَ الشكُّ التلامذةَ إنْ كان يسوع حقَّاً أمامهم

وهــو يخاطبهــم؟ وهــذا ســؤال مهــمٌّ عــلى نحــوٍ خــاصٍّ, والســبب, كمــا ســنرى في المحــاضرة القادمــة, أنَّ النَّــاس الذيــن تحــدث لهــم رؤيــا للموتــى, تقريبــاً, لا يشــكّون في أنَّهــم رأوا الموتــى.

- واحــدٌ مــنْ تفســيرات الروايــة المشــكّكة هــو أنَّ هــذهِ القَصَــص المشــكّكة قــدْ حُكيَــتْ لإيضــاح عــدم إيمــانِ بعــض التلامــذة بالبعــث.
- وموقــفٌ معقــولٌ هــو: بعــضُ التلامــذة- وليــسَ كلُّهــم- حصلــتْ لهــم هــذهِ الــرُؤى. يقــال عــلى نحــو عــامٌّ بــأنَّ بطــرسَ الرســولَ قــدْ حصلــتْ لــه الرُؤيــا، وكذلــك مريــم المجدليَّــة. ونعرف أنَّ الرســول بولــص قــدْ حصلــتْ لــه الرؤيــا فيمــا بعــدُ أيضــاً.
- هــؤلاءِ التلامــذةُ- بطــرسُ, وبولــصُ, ومريــمُ المجدليَّــة أخــبروا الآخريــن عــنْ رؤاهــم, وصدَّقهــم العديــدُ لكــنَّ آخريــن مــا كانــوا مُطمئنــين جــداً كمــا يُشــاهَد في قَصَــص متأخــرة عــنْ التلامــذة الشــاكّين.
- مــنْ شــأنِ هــذا أيضــاً أن يفسِّرَ الســببَ في وجــود مقاطــع تشــير الى أنَّ بعــض مَــنْ حدثــتْ لــه الرؤيــا لــمْ (يميِّــز) يســوع.

فهمُ البعث

- إنْ كانــت رؤيــا بعــض التلامــذة ليســوع حيَّــاً بعــدَ موتــه قــدْ حدثــتْ, لذلــك, اعتقــدوا أنــه لــم يعــد ميتــاً, إنْ كانَ هــذا قــدْ حــدَثَ, فكيــفَ فهمــوا البعــث؟ والواقــعُ, كانَ لِمختلــف المســيحيّين الأوائــل فهْمــاً مختلفــاً لمــا قُصِــدَ بــه مــنْ القــول بــأنَّ يســوع قــدْ بُعِــث.

- زعَـمَ بعـضُ المسـيحيِّين، وبضمْنهـم خصـومُ بولـص في بعض كنائسـه، زعمـوا، أنَّ جَسَـدَ يسـوع لـم يُبعَـث مطلقـاً، بـلْ إنَّـه قـد بُعِـث رُوْحـاً في حـين إنَّ جسـده عانـى التحلُّـل مثْـل كلِّ الأجسـاد الأُخَر.
- أصرَّ بولـصُ، مخالفـاً، عـلى أنَّ جَسَـد يسـوع كان قـدْ بُعِثَ روحيًّـاً: الجَسَـدُ نفسُـه بُعِـثَ لكنَّـه بُعِـثَ كَجَسَـدٍ (خالـدٍ) ممجَّـد، غـيرِ خاضـعٍ لِحـدود وفشـل وزمانيَّـة الأجسـاد البشريَّـة.
- في حـين أصرَّ مسـيحيّون آخـرون بقـوَّة أكثـر مـنْ بولـص عـلى الطبيعـة الجسـديَّة الحقيقيَّـة لبعـث يسـوع- أصرّوا عـلى أنَّ الجسـدَ الـذي غـادر القـبْرَ كان، عـلى نحـوٍ دقيـق، هـوَ الجسَـدُ الـذي دخلَـه، كمـا يُشـاهَد في قَصَـص البعـث التـي وردتْ في إنجيلَيْ لوقـا ويوحنّـا.
- فما كانَ سيعتقده أقدمُ أتباع يسوع- تلامذتُهُ؟
- أمـرٌ مهـمٌّ أنْ نتذكَّـر أنَّ التلامـذة كانـوا، عـلى غرارِ يسـوع، مؤمنـين بنهايـة العالـم الوشـيكة وإقامـةِ مملكـة الربِّ.
- وهُـمْ، عـلى شـاكلتِه، اعتقـدوا أنَّـه عنـدَ نهايـة الدهـر سـيُبعَث الجميـع مـنْ المـوت بأجسـادهم لِيلقـوا الحسـاب. فمـنْ كانَ قـدْ عمـل شرّاً يُعاقَـب أبديًّـاً، ومـنْ كان قـدْ أطـاع ربَّه سـيُكافأ بنعمـةٍ أبديَّـة.
- مـا كانَ سـيفعله اليهـودُ المؤمنـون بنهايـة العالـم إنْ هـمْ كانـوا قـدْ صدَّقـوا بـأنَّ شـخصاً قـد بُعِـثَ مـن المـوت؟ الجـوابُ الوحيـد هـو أنَّهـم كانـوا سـيعتقدون بـأنَّ نهايـة العالـم وشـيكة جـداً- بـأنَّ البعـث قـدْ بـدأ، وكان هـذا سـيقوّي حماسَـهم

لعقيدتهم, إذْ إنَّهم أعلنوا بحماسٍ أنَّ مملكة الربِّ كانتْ على وشك الظهور على الأرض.

- أضِفْ الى ما تقدَّم, بالنسبة للتلامذة, تَحقُّقُ أنَّ يسوع كان قد بُعِثَ حقَّاً كان سيعني إعادةَ إحياءِ جسدِه وتمجيدِه- كما كان سيحدث لكلِّ الأجساد في نهاية الدهر, وهو ما يبدو أنَّ بولص قدْ آمن به بعدَ ذلك بوقت قريب.

- وعلى هذا النحو, رُبَّما آمنَ أوائلُ المسيحيين وبضمنهم أتباعُ يسوع أنفسُهم بأنَّ جسد يسوع كان قد بُعِثَ ومُنِحَ الأبديَّة. هو نفسُه في الجَسَد كان قدْ جُعِلَ إلهاً.

الفصل الثاني عشر
رؤيا التلامذة حول يسوع

في المحاضرة السابقة رأينا أنّهُ على الرغْمِ منْ أنّ المؤرِّخين لا يستطيعون إثباتَ بعثِ يسوع منْ الموت على أُسس تاريخيَّة, المؤكّدُ نسبيّاً أنّ أتباعه قدْ زعموا أنَّه كان قدْ بُعِثَ, ودعواهم قائمةٌ على أساسٍ منْ تجارب رؤيويَّة حصلتْ لبعضهم. وهذه المزاعم, كما سنرى, ليستْ أساسَ بدايةِ الدينِ المسيحيّ فحَسْبُ، بلْ أيضاً, هي أساسُ فهْمٍ جديدٍ للمسيح. فمنْ هذهِ المرحلة فصاعداً لمْ يُفهَمْ المسيح باعتباره مجرَّدَ إنسانٍ فانٍ, بلْ باعتباره إلهاً بمعنىً منْ المعاني.

دراساتٌ علميّةٌ للرؤية

- هلْ يستطيع المؤرِّخون حقّاً قولَ أيِّ شيءٍ حولَ التجارب الرُّؤيويَّة؟ الحقُّ, همْ قادرون لأنَّنا وَثَّقنا وفحصْنا رواياتِ رُؤىً منْ الماضي.
- الدراسةُ الرئيسة الأولى للتجارب الرُّؤيويَّة قام بها

علـى مشـارف نهايـة القـرن التاسـع عـشر عالـمٌ اسـمه أج. أي سـيدويك (H. A. Sidgwick). قابـل هـذا العالـم أكثـر مـنْ خمسـة عـشر ألفـاً مـنْ الرجـال والنسـاء وجـزَمَ بـأنَّ مـا نسـبته ٨-٧ ٪ مـنْ الرجـال و١٢ ٪ مـنْ النسـاء كان قـدْ حصـل لهـم عـلى الأقـلِّ تجربـةُ هلْوَسـة واضحـة (بمعنـى، رؤيـة يحكـم سـيدويك بكونهـا غـير صادقـة).

- الاسـتطلاعُ الحديـث الأكثـر شـموليةً قـام بـه أي. واي. تـين (A. Y. Tien) في العـام ١٩٩١، في تحليلـه لأكثـر مـنْ ثمانيـة عـشر الفـاً مـنْ النَّـاس، وقـدْ زعـم مـا نسـبته ١٣ ٪ منهـم أنَّهـم قـدْ حـدث لهـم في الأقـلِّ هلْوَسَـة واضحـة واحـدة.
- كيـفُ نُفـسِّر هـذه الأعـداد الكبـيرة- مسـألَةَ أنَّ واحـداً مـنْ كلِّ ثمانيـةِ أشـخاص يبـدو أنَّـه قـدْ واجَـهَ نوعـاً مـنْ التجربـة الرُّؤيويَّـة التـي اعتبرهـا واقعيَّـة.
- يفـسِّر عالـمُ النفـس ريتشـارد بينتـال (Ritchard Ben-tall) هـذا الأمـر بأنَّـهُ مرتبـط بمهـارة موجـودة لـدى الجميـع تدعـى (مراقبـة المصـدر source monitoring).
- وهـي مهـارةٌ نسـتعملها جميعـاً طـوال الوقـت مـنْ أجـل التمييـز بـينَ الأحـداث الذاتيَّـة النشـوء- بمعنـى الأحاسـيس التـي تحـدث ضمْـن رؤوسـنا- وبـينَ الأحـداث الخارجيَّـة النشـوء- أيْ، الأحاسـيس التـي يسـبِّبها المُثـير الخارجـيّ.
- ويعتقـدُ بينتـال أنَّ هـذه المهـارة، مثلهـا مثـل كلِّ المهـارات الأُخَـر، تفشـل أحيانـاً؛ وفي حـالات فشـلها، مـا يحـدث في رؤوسـنا فحْسـبُ يحـدث عـلى نحوَيْـنِ مـنْ الوضـوح لكنَّـه يُفهَـم عـلى

نحـو الخطـأِ بأنَّـه يشـير الى شيءٍ يحـدث في العالـم الخارجـي.

• ومهـارةُ مراقبـة المصـدر هـذهِ مرتبطـة بشـدَّة مـعَ البيئـة التـي نعيـش فيهـا: فـإنْ نشـأنا في مجتمـع يؤمـن بالأشـباح وصحَّـةِ عـودة الموتـى في الظهـور فسـيرتفع احتمـال أنْ يكـون مـا (سـيراه) الشـخصُ سـيفترض كونَـهُ شَـبَحاً أو شـخصاً ميِّتـاً.

• فضـلاً عـنْ هـذا, وهـذهِ مسـألة مهمـة– يمكـن أنْ يكـون للإجهـاد والإثـارة العاطفيَّـة نتائـجُ خطـيرة عـلى مهـارات مراقبـة المصـدر, حيـثُ يجعلنـا هـذانِ الأمـرانِ أكثـرَ عِرضـةً لانهيـار قدرتنـا عـلى التمييـز بـينَ العمليـات الداخليَّـة والخارجيَّـة. وهـذا أمـرٌ واقـعٌ في أوقـات الحُـزْن الشـديد والصَّدْمـة واللوعـة الشـخصيَّة.

• وطبْعـاً, ليـس بينتـال في حـال الإشـارة الى الـرُؤى في المـاضي البعيـد, لكـنْ, لِمَـنْ يهتـم منّـا في رؤيـا أتبـاع يسـوع, تكـونُ معطيـات بينتـال مُهمَّـة. وسـببُ ذلـك, إنْ لـمْ يوجـد شيءٌ آخَـر, أنَّ تلامـذةَ يسـوع, بعـدَ موتـهِ كانـوا في غَـمٍّ شـديد وفي صدْمـة ولَوْعـة شـخصيَّة.

• واللافـت فيمـا يخـصُّ هـذا أنَّ الرؤيتَـيْن المتكرِّرتَـيْن كثـيراً لـدى النَّـاس همـا رؤيتـانِ لشـخصيتيْنِ دينيتَـيْنِ مهمَّتَـيْن محبوبتَـيْن كانتـا قـدْ فُقِدَتـا. ويمكننـا أنْ نفحـص كلا النوعَـيْن مـنْ الرؤيـا عـلى أسـاس البحـث الحديـث.

الرؤى المتعلقةُ بالعذراء

• إحـدى الـرؤى الشـائعة في العـصر الحديـث عـن شـخصيَّة

دينيَّة هي الرؤيا المتعلقة بأُمِّ يسوع, مريمَ العذراء التي تظهر في انتظام للنَّاس, وأحياناً تظهر لعدد منْ النَّاس في وقتٍ واحد في حالات موثَّقة على نحوٍ جيد جداً.

- العديدُ من الرؤى ناقشها (رينيه لوزنتين)، وهو لاهوتيٌّ كاثوليكيّ حصل على درجة في الفلسفة من السوربون في باريس، وشهادتَيْ دكتوراه أحداهما في اللاهوت والأخرى في الأدب. وألّف لوزنتين العديد منْ الكتب؛ واصفاً رؤىً لِمريمَ في العالم الحديث.

- أحدُ الأمثلة يشتمل على عددٍ منْ حالات ظهورٍ لمريم في العالم ١٩٨٤, وفيها جماعة كبيرة منْ النَّاس- في احدى المرَّات, أكثر من مائة ألف شخص- شاهدتْ مريمَ وهي تظهر قرب شلال ماء محلي; جماعةُ النَّاس هذهِ تضمُّ أطباءَ ومحامينَ وعلماءَ نفس وأطباءَ نفسيّين, وأُجريتْ مقابلات مع ما يقرب الخمسمائة منهم ووَصفوا تجربتهم. والواضحُ أنَّ الرؤى الدينيَّة لا تقتصر على غير المتعلمين والفلاحين الأُميّين.

- وقدْ وُثِّقَ عددٌ كبير منْ حالات ظهورٍ لمريمَ في أماكنَ مثل لورديس في فرنسا, وجارابانـدال في أسبانيا, وفاطمة في البرتغال.

- في مدينة فاطمة[1] في البرتغال شهدَ أكثرُ من خمسين ألف شخص بـ(معجزة كونيَّة للشمس, في الثالث عشر من أكتوبر العام ١٩١٧, وفيها بدأت الشمس الدوران بسرعةٍ

(١) تضم مزاراً لمريم، وأسم المدينة على اسم أميرة عربية. (المترجم)

وأنهارتْ على الأرض وهي تشعُّ ألواناً جميلة على نحو لا يوصَف). وقد نُسِبَتْ هذه المعجزة الى مريم.

• نسمعُ أحياناً أنَّ يسوع لابُدَّ أنّهُ ظهر للتلامذة وذلك لأنَّ بولص يشير الى خمسمائة منْ الإخوان رأوهُ في وقت واحد, والهلوساتُ الجماعيَّة أمرٌ ممتنع. لكنْ, إنْ كانتْ مثل هذه الهلوسات الجماعيَّة ممتنعة الحدوث وَجَبَ أنْ تكون الشمس قدْ سقطتْ على الأرض في العام ١٩١٧ فهذه المعجزة قد رآها خمسون ألفاً, لا خمسمائة.

رؤى الشَّكل

• نوعٌ آخر لرؤيا شائعةٍ جداً هي رؤيا الشَّكل، وفيها يظهر الشخصُ الميِّتُ العزيز لِمَن يحبُّه ممَّا يقنع الحالمَ بأنَّ المتوفى ما يزال حيَّاً بمعنىً ما.

• تَحدُثُ هذه الأنواع من الرؤيا في الغالب- لكنْ ليس دائماً- لأعضاء الأسرة الذين غادروا الحياة. يظهر الشخص المتوَفى فيتحدَّثُ أو يلمسُ الشخص الحيَّ أو يفعل الأثنين معاً.

• تقريباً, في كلِّ حالة مسجَّلة, يقتنع الشخصُ صاحبُ الرؤيا بأنَّ محبوبَهُ, أو محبوبَها, ما يزال حيَّاً وفي حالٍ حسنة, معَ معرفتهِ, أو معرفتها بأنَّ الجسَد قدْ مات.

• تحدثُ هذهِ الأنواعُ منْ الرؤيا غالباً عندما يكون المتوفَّ محبوباً عزيزاً على نحو الخصوص, عندما يكون موتُه أو موتُها مفاجئاً وغيرَ متوقَّع أو عنيفاً, وحينما يكون الحالِمُ يشعر بالذنْب تجاهَ معاملة المحبوب.

- جمـعَ (بيـل وجـودي جيجنهايـم Guggenheim) مجموعة هامَّـة وكبـيرة مـنْ هـذه الحكايـات الشـاهدة عـلى هـذه الحالـة في سرْدٍ أسـمياه (تواصـلات مـا بعـد المـوت).
- لـمْ يكـن بيـل وجـودي عالِمَـيْ نفْـسٍ متدربـين، والحكايـات التـي جمعاهـا لا يمكـن أنْ تُسـتَعمَل لأغـراض التحليـل العلمـي لأغـراض بحثيَّـة.
- لكـنَّ هـذهِ الحكايـاتِ في غايـة الأهميَّـة لمعرفـة مـا يقولـه النَّـاس حقّـاً حـول مثـل هـذه التجـارب. جمـعَ آل جيجنهايـم أكثر مـنْ ثلاثـة آلاف وخمسـمائة روايـةً عـنْ أنـاس إدَّعَـوا تواصـلاً مـع أحبَّتهـم الموتـى.
- وحتَّـى عندمـا يحـدث الاتصـالُ في حُلُـم, فالأمـر نفسُـهُ, يعتـبرهُ الحالمـون واقعيَّـاً, وليـس حدَثـاً نفسـيّاً.
- هـذه الـرُّؤى يمكـن أنْ تحـدث مبـاشرةً بعـدَ مـوت العزيز, لكـنْ, أحيانـاً تحـدث بعـدَ عـامٍ أو عامَـيْن بعـدَ موته.
- مـرَّةً أخـرى, تحـدثُ هـذه الـرُّؤى، في أغلـب الأحيـان، عندمـا يكـون الحالمـون مسـتنزَفين جسـديَّاً وعاطفيَّـاً, وهـي أكثـر شـيوعاً عندمـا يكـون الفقيـد قـدْ مـات عـلى نحـوٍ غـير متوقَّـع أو عـلى نحـوٍ مأسـاويٍّ. واللافـتُ أنَّ العديـد مـنْ النَّـاس لا يعتقـدون بوقـوع هـذه الأمـور, أو لا يعرفـون عـنْ وقوعهـا شـيئاً حتَّـى تحـدثَ لهـم التجربـة.
- التشـابهُ بـيْن هـذهِ التجـارب الشـائعة في العـصر الحديـث وبـيْن الـرُّؤى التـي حصلـتْ لأتْبـاع يسـوع في رؤياهـم لـه هـو أمـر لا يمكـن تجاهلـه.

- في حالة يسوع، نلحظُ موتاً عنيفاً ومفاجئاً لمُعَلِّم محبوبٍ على نحوٍ عميق- مُعَلِّمٍ هَجَرَ التلامذةُ كلَّ شيءٍ منْ أجل إتِّباعه.
- أُنتُزِعَ يسوع فجأةً وبوحشيةٍ منْ تلامذته، وأُذِلَّ، وعُذِّبَ ثم صُلِب.
- وكان لدى التلامذة الكثير منْ الأسباب للشعور بالذنْب والعار بسبب خذلانهم يسوعَ في مدَّة حياتهِ، وفي وقت حاجته العظمى اليهم في نهاية حياته.
- وبعدَ موت يسوع مباشرةً حصلت لأتباعه رؤى حوله كما تحصل للنَّاس. كانوا مرتاحين بعمقٍ لحضورهِ وشعروا بعفوهِ عنْهم كما يشعر النَّاس. لمْ يتوقعوا هذهِ التجارب التي حلَّتْ بهم فجأةً وبقوةٍ، فجعلتهم يعتقدون بقاءَ معلِّمهم حَيَّاً، كما يفعل النَّاس.

تصّوراتُ ما بعدَ الحياة

- الاختلافُ الرئيس بيْنَ النَّاس المعاصرين الذين يعيشون في أمريكا القرْن الحادي والعشرين وبيْنَ تلامذة يسوع الذين عاشوا في فلسطين القرْن الأول، هو أنَّ الناس المعاصرين الذين يعتقدون بحياةٍ بعد الموت يميلون الى الاعتقاد بأنّهُ بعدَ الممات تذهب روح الشخص الى السماء حتَّى بعدَ تحلُّل الجسَد، بعبارةٍ أُخرى، لدى أغلب النَّاس في الوقت الحاضر، الحياةُ الأخرى بعدَ الموت هي تجربة روحيَّة تحدث بعدَ أنْ يموت الجسد.

- لكــنَّ يهــودَ فلســطين مــنْ قبيــل تلامــذة يســوع اعتقــدوا أنَّ الحيــاةَ الأخــرى هــي تجربــةٌ جسَــديَّة تُعــاش في نفْــس الجسَــد الــذي مــاتَ حــالَ أنْ يقــع البعــث ويعــود النَّــاس الى أجســادهم ليســتمتعوا بحيــاة ماديَّــة أبديَّــة.
- إذاً, كيــفَ يفهــم هــؤلاءِ النَّــاس تواصــلاً بعــدَ المــوت مــع حبيــبٍ ميِّــت؟
- لــدى هــؤلاءِ, إنْ كان يســوع قــدْ عــاد حيَّــاً فليــسَ لأنَّ روحَــهُ حيَّــةٌ بعــدَ المــوت, بــلْ لأنّــهُ قــدْ أُعيــد الى الحيــاة في جسَــدِه.
- لكــنْ, إنْ كان الأمــرُ عــلى هــذا النحــوِ فأيــنَ جســدُه إنْ كان يأتــي ويذهــب ولا يُعثَــر عليــهِ في أيِّ مــكانٍ عندمــا تنتهــي الرؤيــا؟
- فيمــا يتعلــق بالتلامــذة كان ثَمَّــةَ جــوابٌ واضــح, كان يســوعُ قــد بُعِــثَ في جسَــده، وقــدْ عُــرِجَ بــهِ مــع جســدهِ الى الســماء. لقــدْ رُفــع يســوع الى مملكــة اللــه. والحــقُّ أنَّــهُ قــدْ صُــيِّرَ إلهــاً.

الفصل الثالث عشر
الآراءُ المسيحيَّةُ المبكرة

في المحـاضرة السـابقة, رأينـا أنَّ أتبـاع يسـوع الذيـن اعتقـدوا بأنَّـه كان قـدْ بُعِـثَ مـنْ المـوت قـدْ اسـتنتجوا عـلى نحـو طبيعـيٍّ أنَّـهُ قْـد عُـرِجَ بـه الى السـماء، لذلـك فقـدْ صُـيِّر كائنـاً إلهيَّـاً. في هـذه المحـاضرة, سـنرى أنَّـه لا تـزال بقايـا لهـذا الـرأي في بعـض كتابـات العهـد الجديـد: أنَّ يسـوع قـدْ صـارَ ابـنَ اللـهِ ليـسَ عنـدَ ولادتـهِ أو في وقـتٍ مـا مـنْ السرمديَّـة الماضيـة, بـلْ, عنـدَ بعثـه مـنْ المـوت عـلى وجْـهِ التحديـد.

المرويّاتُ المسيحيَّة قبلَ العهد الجديد

- لِنبـدأْ بخُطاطـةٍ عامـةٍ لحوليَّـات المسـيحيَّة الأولى وكتابـات العهـد الجديـد.
- يُعتَقَد عادةً أنَّ يسوع توفي حوالي العام ٣٠م.
- لـمْ يكـن المؤلِّـفُ المسـيحيُّ الأوَّل هـو متّـَـي أو مرقـص أو واحـدٌ مـنْ كُتّـاب الإنجيـل, بـلْ كان الرسـول بولـص، وقـد

كُتِبَتْ رسائلُه بعدَ حياة يسوع في زمن يتراوح بينَ العشرين والثلاثين عاماً أي في العام ٥٠م الى العام ٦٠م.

- وقدْ كتبَ مؤلفو الإنجيل رواياتهم حول حياة يسوع فيما بعدَ. فإنجيل مرقص, وهو أوَّل الأناجيل, يُحتَمل أنَّه قد كُتِبَ حوالي العام ٧٠م. وإنجيلا متّي ولوقا حوالي العام ٨٠ الى العام ٨٥م. وإنجيل يوحنّا حوالي العام ٩٠م الى العام ٩٥م.
- في هذه المحاضرة نهتمُّ بما قاله المسيحيّون الأقدمون حولَ يسوع, أي المسيحيّون الذين عاشوا في الأعوام التي تلتْ وفاة يسوع مباشرةً. لكنْ, إنْ كانتْ الكتاباتُ المسيحيَّةُ الأولى التي لدينا لمْ تُنجَزْ إلّا حوالي العام ٥٠م- أيْ بعدَ عشرين عاماً منْ وفاة يسوع- فما الذي يمكننا معرفته حول ما كان يقوله يسوع قبْلَ هذا التاريخ؟
- يعتقدُ الكثيرُ منْ النَّاس أنَّ سِفْر أعمال الرُسُل يمكن أنْ يُقدِّم لنا ذلكَ النوع منْ المعلومات, لكنَّ هذا السِفْر كُتِبَ بعدَ إنجيل لوقا- في وقت بعدَ العام ٨٠ م الى العام ٨٥م- وينظر اليه المؤرِّخون النقديُّون باعتباره أحداثاً وقعتْ قبلَ خمسين أو ستين عاماً.
- هلْ ثَمَّةَ وسيلة للاستفادة مما قاله المسيحيّون الأوائل؟ الجواب: نعمْ. يمكنُ العثورُ على أقدم الآراء المسيحيّة فيما سمَّاه العلماء (ما- قبْلَ المَرويّاتِ المكتوبة).

المأثوراتُ السابقةُ لكتابةِ الأناجيل

المَرويَّات السابقة للكتابة هي فقراتٌ مختصرةٌ اقتبسها

مؤلِّفـون متأخـرون. ولأنَّ هـذه الفقـراتِ هـي اقتباسـاتٌ, فهـي بالـضرورة قـدْ كانـتْ موجـودةً قبـل أنْ تُقتَبَـس. وعـلى هـذا فهـي سـابقةٌ لكتابـة الأناجيـل.

• يمكـنُ تمييـزُ هـذه المأثـورات بوسـاطة تحاليـل دقيقـة لكتابـات العهـد الجديـد. فهـي, مثـلاً, موجـودة في ثنايـا كتابـات بولـص والأناجيـل في سِـفْر الرومـان ١: ٣-٤.

• مـنْ الناحيـة العمليـة كُتِبَـتْ رسـائلُ بولـص لمجتمعـاتٍ مسـيحيَّة اعتنقـتْ العقيـدة المسـيحيَّة لكـي تسـاعدها في التعامـل مـع المسـائل اللاهوتيَّـة المتنوعـة والمشـكلات السـلوكيَّة التـي تعانيهـا هـذه المجتمعـات.

• رسـالةُ بولـص الى الرومـان هـي الاسـتثناء الوحيـد، فهـي رسـالة الى كنيسـة لـمْ يؤسسـها بولـص. كتـب بولـص الرسـالة لأنَّـهُ أراد الاسـتمرار في عملـه التبشـيريّ في أقـصى الغـرب, في أسـبانيا, وأراد الحصـولَ عـلى دعْـم الرومـان.

• بـدأ بولـصُ الرسـالةَ بتقديمـه نفسَـه وبعـدَ ذلـك- كمـا يبـدو- باقتباسـه اعتقـاداً كانَ معروفـاً لـه وللرومـان.

• ثمَّـةَ أسـبابٌ واضحـة للاعتقـاد بـأنَّ بولـصَ يقتبِـس هنـا مأثـوراً سـابقاً لكتابـة الأناجيـل.

• الاقتباسُ وحدةٌ قائمةٌ بنفسها.

• وهـوَ رفيـعُ البنـاء, بمقاطـعَ شـبيهةٍ بالمقاطـع الشـعرية (بمقطعَـيْن, وكلُّ مقطـعٍ مـنْ ثلاثـةِ أبيـات).

• ويحتـوي كلمـاتٍ وعبـاراتٍ لا توجـد في مـكان آخَـر في كتابـات بولـص, وهـي مـنْ قبيـل (بـذرة داود)، و(الـرُّوح

القُــدُس).

- وهــذا الاقتبــاس يُعَــبِّرُ عــنْ آراءٍ لاهوتيّــةٍ مختلفــة عمّــا طرحَــه بولــصُ في مواضــعَ أُخَــر مــنْ كتاباتــهِ, و مَثَــلُ ذلــك أنَّ المســيحَ صــارَ ابــنَ اللــهِ عنــدَ البعــث.
- أيضــاً, كلُّ هــذهِ مفاتيــحُ للمأثــوراتِ الســابقة للكتابــة في فقــراتٍ أُخَــر في العهــد الجديــد.
- دعــوى هـــذا التصريــحِ العقائــديِّ القصــيرِ واضحـــةٌ: مفادهــا أنَّ يســوعَ كان إنســاناً صُــيِّر ابــنَ اللــه عندمــا بُعِــثَ مــنْ المــوت.

كريستولوجيا[1] تمجيد المسيح

أحيانــاً, يُدعــى هــذا النــوع مــنْ اللاهــوت الــذي تأتــي بــه هــذه الفقــرة (كريســتولوجيا التبنّــي). يتبنّــى اللــهُ المســيحَ ليكــون ابنــاً لــه أو يُدعــى (الكريســتولوجي الأدنــى)- بســبب الاعتقــاد بأنَّ المســيح قــدْ بــدأ في الموقــع الأدنــى (عــلى الأرض) مــع بقيَّــة البــشر. لكــنْ, رُبَّمــا يكــون مــنْ الأفضــل أنْ نعتبرهـــا (كريســتولوجيا التمجيــدِ أو الرَفْــع).

- وهــذه هــي الحالــة ذاتُهــا مــع لوقــا عــلى نحــو واضــح: خطابــاتُ بطــرسَ صيّــادِ الســمك غــيرِ المتعلّــم الناطــقِ بالآراميَّــة, تبــدو مشــابهة عــلى نحــو تــامٍّ لخطابــات بولــصَ المفكّــرِ الناطــقِ باليونانيَّــة ذي التعليــم الرفيــع.

---

(١)لاهوتُ طبيعةِ يسوع. (المترجم)

- على الرغمِ منْ أنَّ لوقا نفسَه قدْ كتبَ خطاباتِه, هو فعلَ هذا أحياناً بوساطة دَمجِهِ أقدمَ المأثوراتِ. إذاً, هذهِ مأثوراتٌ سابقةٌ لكتابةِ الإنجيل. وعلى نحو ملحوظٍ, هي أيضاً تحوي بقايا الكريستولوجيات المتعلقة برَفْعِ المسيح وتمجيدهِ.
- أعمالُ الرُسُل (١٣: ٣٣) هي مثالٌ صريح على كريستولوجيا تمجيدٍ: جعلَ اللهُ يسوعَ ابناً له ببعثه منْ الموت. ويصحُّ هذا الحكمُ على الأعمال (٢: ٣٦). وهنا, مرَّةً أخرى, يُصيَّر يسوعُ الربَّ عندَ بعثهِ.

يسوعُ كابنٍ بالتبنّي

- عندما يصلُ الأمر الى تقييم هذهِ الكريستولوجيات التمجيديَّة. الأمرُ المهمُّ هو توكيد أنَّها ليستْ قولَ أشياء متدنيةٍ عنْ يسوع, بلْ هي تُمَجِّد يسوعَ بأساليب رائعة وجليلة: لقد عُرِجَ به الى السماء ليكون مع الله وصُيِّرَ كائناً إلهيَّاً.
- وأفضلُ طريقةٍ الى فهم مثل هذا الكريستولوجي هي طريقةُ فهْمه في علاقة معَ ممارسات التبنّي في العالَم الرومانيّ, كما بُيِّنَ في الكتاب المنشور في العام ٢٠١١ لـ (مايكل بيبارد) الذي يحمل عنوان: ابنُ الله في العالَم الرومانيّ (The son of God in the Roman World).
- كان شائعاً أنْ يتبنّى الرجلُ الرومانيُّ شاباً كابنٍ لهُ. وكان هذا يمنح الابنَ المُتَبَنّى كلَّ امتيازاتِ وأفضليّاتِ وثروةِ

وقـوَّةِ الأبِ الـذي تبنّـاه.

- وقـد اعتُـبر الأبنـاءُ بالتبنّـي عـلى نحـو العمـوم أعـلى منزلةً مـنْ الأبنـاء الطبيعيّـين. فالأبنـاءُ الطبيعيّـون جـاءوا مـنْ صدفـةِ الـولادة, أمّـا الأبنـاء بالتبنّـي فقـدْ كسـبوا تميُّزَهـم بصفاتِهـم الرائعـةِ التـي جعلـتْ الآبـاءَ يَتَبَنَونَهـم.
- يمكـنُ رؤيـةُ الاختلاف بـيْن الابـن الطبيعـيِّ والابـن بالتبنِّي في حالـة يوليـوس قيـصر. فابنـهُ الطبيعـيّ (المولـود مـنْ كليوباترا) كان قيـصرون الـذي كان مجـرَّدَ هامـشٍ في التاريـخ, في حـين كانَ ابنـهُ بالتبنِّـي أوكاتافيـوس الـذي عُـرِفَ فيمـا بعـد بأوجسـتوس القيـصر. ولا معنـى للسـؤال حـولَ أيِّ هذيـن قـدْ ورث أبـاهُ في التميّـز والثـروةِ والقـوَّة.
- فالقـولُ بـأنَّ يسـوع كان ابنـاً متبنًّـى للـه كان تمجيـداً ورَفْعـاً ليسـوعَ. وبالتبنّـي صـارَ يسـوعُ وريثـاً لـكلِّ قـوَّةِ اللـه ومجـدِهِ.
- ولْنتذكـرْ أنَّـهُ في العالَـم اليونانيِّ-الرومانـيِّ كان ثَمَّـةَ ثـلاثُ وسـائل لـدى الإنسـان لكـي يكـون إلهيَّـاً; وهـذه هـي أولاهـا- يُرفَـع الإنسـانُ الى مسـتوى الألوهيَّـة. وقـدْ قـالَ الرومـان بـأنَّ هذا قـدْ حـدث لِرومولـوس وللعديـد مـنْ الآخريـن, وقـال المسـيحيّون بـأنَّ هـذا قـدْ حـدثَ لِيسـوعَ.
- لكـنْ فيمـا بعـدُ اسـتمرت الكريسـتولوجيات لتقـولَ أمـوراً أكثـر تمجيـداً ورَفْعـاً ليسـوع، وهـذا مـا سـنراه في المحـاضرات الآتيـة.

الفصل الرابع عشر
الحركةُ الراجعة للكريستولوجي

في المحاضرتَيْنِ السابقتَيْنِ رأينا أنَّ أوائل المسيحيِّين قَدْ اعتقدوا أنَّ اللـه ببعثـهِ يسوعَ مِنْ الموت قدْ جعله كائناً إلهيَّاً. في هذه المحاضرة والمحاضرة القادمة, سنرى أنَّهُ وبمرور الزمان وصل المسيحيّون الى اعتبار هذا الرأي الكريستولوجي الأقدم رأياً غيرَ كافٍ، وبدأوا بدفع «اللحظة» الكريستولوجيَّة- النقطةِ التي عندها يقع الاعتقاد بصيرورة يسوع إلهاً- الى نقطة أبعدَ في التاريخ. في النهاية، وصلوا الى الاعتقاد بأنَّ يسوع ما كان قطُّ قدْ جُعِلَ ابنَ اللـهِ, بلْ كان على الدوام ابن اللـه- مساويَّاً للـه منذُ البداية. وفي هذه المحاضرة, سنبدأ بتتبُّع هذا التطوّر.

مؤلّفو الأناجيل

- كما قُلنا, العلماءُ مُتوحِّدون عمليَّاً في الاعتقاد بأنَّ إنجيل مرقص هو الإنجيل الأوَّل, وقدْ كُتِب حوالي العام ٧٠

م، وكُتِب إنجيلا متّى ولوقا بعدَ مُدَّةٍ تمتدُّ مِنْ عشرة أعوام الى ١٥ عاماً، أيْ، حوالي العام ١٨٠م الى العام ١٨٥م. أمَّا إنجيل يوحنَّا فقدْ كان الأخير، وقَدْ كُتِبَ تقريباً في مُدَّةٍ تمتدُّ مِنْ العام ٩٠م الى العام ٩٥م.

- وتُستمرُّ تسمية هذه الأناجيل بإنجيل متي، ومرقص، ولوقا، ويوحنَّا، لكنَّ الواقع أنَّنا لا نعلم مَنْ كتبَ هذهِ الأناجيل. وهذهِ الكتب لا تحمل اسم مؤلِّفٍ، فالعناوينُ التي تنسِبُ هذهِ الكتبَ إلى اثنين مِنْ التلامذة (متّي ويوحنّا)، والى اثنين مِنْ الأصحاب المقرَّبين للرُسُل (مرقص، ولوقا) قدْ أُضيفتْ (أي هذهِ العناوين) فيما بعدُ، وقدْ أضافها النُسّاخ الذين كانوا قدْ نسخوا هذهِ الكتُب.
- يتَّفق العلماءُ، على نحوٍ واسع، على أنَّ هذهِ الكُتُبَ لمْ يكتبها أيُّ واحدٍ مِنْ أتباع يسوع الخاصِّين الذين كانوا يهوداً أميّين ناطقين بالآراميَّة مِنْ الريف الفلسطينيِّ. لقَدْ كتب هذه الكُتُبَ مسيحيّون رفيعو التعليم ناطقينَ باليونانيَّة مِنْ خارج فلسطين.
- والسؤالُ المعقَّد هو مِنْ أينَ حصل هؤلاءِ الكُتّاب على معلوماتِهم حولَ يسوع. لكنْ مِنْ المؤكَّد تقريباً، أنَّ القضيَّة أنَّهم قدْ ورثوا قَصَصهم مِنْ أقدم المرويَّات– مِنْ الممكن أنْ تكون مكتوبةً والأكثر أنَّها كانتْ شفويَّة. لقدْ تحدَّث النَّاس بقَصَص حولَ يسوع لأعوامٍ قبلَ أنْ يكتبها مرقص، ثُمَّ متّي ولوقا، وبعدَ ذلك يوحنَّا. ولنْ يحتاج الأمر قدراً كبيراً مِنْ الخيال لإدراك ما حدثَ لقَصَص تناقلها النَّاس في تراثٍ

شفهيٌّ, لقد بُدِّلت, بلْ واختُرعتْ.

- هذه هي القَصَص التي ورثها كُتّاب الإنجيل. عندَ ذلك يمكن أنْ نتوقَّع أنْ لهذه القَصَص وجهاتِ نظرٍ مختلفةً اعتماداً على منْ أخبر بها, وتحتَ أيّةِ ظروف جرى الإخبارُ, ولأيِّ غرضٍ, ومتى جرى الإخبار.
- وكما تبدَّلتْ القَصَصُ حولَ يسوع عبْرَ عقود منْ الزمان, كذلك تبدَّلتْ الآراءُ حولَ الشخص الذيّ كانَهُ يسوع. كان للمسيحيِّين، منذُ البداية، رأي ممجِّد على نحوٍ عالٍ للمسيح باعتباره قدْ تبنّاهُ اللهُ ليكونَ ابنَهُ في التعميد. لكنْ, مع مرور الوقت, بدأوا القولَ بأمور أكثر تمجيداً ليسوع.

التدرُّج في الكريستولوجي

- كان ريموند براون واحدٌ منْ كبار علماء العهد الجديد في النصف الثاني من القرن العشرين وقدْ تحدَّث أحياناً عنْ (حركةٍ راجعةٍ) للكريستولوجي.
- قال المسيحيّون الأوائل بأنَّ يسوع قد صُيِّرَ ابنَ الله عنْدَ البعث منْ الموت.
- بعدَ ذلك, اعتقد المسيحيّون أنَّهُ قدْ كان ابنَ الله طيلةَ مُدَّةِ مهمَّته, وعلى هذا فقدْ تبنّاه اللهُ عندَ التعميد.
- وفي مرحلةٍ لاحقة, اعتقدَ المسيحيّون أنَّهُ قدْ كانَ ابنَ اللهِ طيلةَ مُدَّة حياته, وعلى هذا فقدْ وُلِدَ ابناً لله.
- في وقتٍ آخَر, أصرَّ المسيحيّون على أنَّ المسيح قدْ كانَ ابنَ الله قبلَ أنْ يأتي الى العالَم, وأنَّه كان دائماً ابنَ الله,

وقـدْ وُجِـدَ مـعَ اللـه مُنـذُ البدايـةِ.

- يمكننا أنْ نجد جميع هذه الآراء الأربع في العهد الجديد.
- فكـرةُ أنَّ يسـوعَ صـارَ ابـنَ اللـه عنـدَ البعـث موجـودةٌ في مـا لدينـا مـنْ أقـدم المأثـورات مِـنْ المرحلـة السـابقة لكتابـة الأناجيـل
- وفكـرةُ كـون يسـوع قـدْ صـارَ ابنـاً للـهِ عنـدَ تعميـده هـي فكـرة موجـودة في أقـدم أنجيـل, إنجيـلِ مرقـص.
- أمّـا فكـرةُ كونـه قـدْ وُلِـدَ ابنـاً للـه فموجـودةٌ في الإنجيلَـيْن التاليَـيْن في الكتابـة لإنجيـل مرقـص وهمـا إنجيـل متّـى وإنجيـل لوقـا.
- في حـين إنَّ فكـرةَ كونـه دائمـاً ابنـاً للـه عـلى نحـوٍ سرمديٍّ فهـي موجـودةٌ في آخِـر ما كُتِـبَ مـنْ الأناجيـل, إنجيـل يُوحنّا.
- كمـا رأينـا, الأناجيـلُ الثلاثـةُ الأولى- متّي ومرقـص ولوقا- تُدعـى بالأناجيـل السـينوبيَّة لأنَّهـا متشـابهة مـنْ وجـوهٍ عديـدة. لكنَّهـا أيضـاً بينهـا اختلافـات مـنْ جهـةِ فهمِهـا لمسـألةِ كـون المسـيح ابـنَ اللـهِ.

الكريستولوجي في إنجيل مرقص

- يبـدو إنجيـل مرقـص, وهـو أقـدمُ إنجيـل, أنَّـه يـرى أنَّ يسـوع قـدْ تبنّـاه اللـه كابـنٍ لـهُ ليـسَ عنـد البعـث, بـلْ عنـدَ التعميـد.
- في هـذا الإنجيـل, ليـسَ ثَمَّـةَ أيَّـةُ روايـةٍ عـنْ ولادة إعجازيَّة ليسـوع مـنْ عـذراء، وليـسَ ثَمَّـةَ إشـارةٌ الى أنَّ المؤلِّـف يعلّـم شـيئاً

حــول ولادة منْ عــذراء.

- يبــدأ الإنجيــلُ بيســوع وهــو في سِــنِّ الرُشــد, في كلامٍ عــنْ تعميــد يوحنّــا لــه. وإنَّــهُ لَفــي هــذا التعميــد يعلــنُ اللــهُ كــون يســوع ابنــاً لــه (مرقــص ١١:١), مــع هبــوط الــرُّوح عليــهِ ومســحِهِ بالزيــت.
- ولا يقــومُ يســوع بمعجــزاتٍ ولا يــدلي بتعاليــم مهمَّــة الّا في هــذه المرحلــة. لِــمَ لَــمْ يفعــلْ هــذا قبــلَ هــذهِ المرحلــة؟ السـبب أنَّه الآن ومنــذُ تعميــده صــار إبــنَ اللــه.
- وكابــنٍ للــهِ, يســوعُ مرتبــطٌ عــلى نحــوٍ واضــح باللــه. وهــو نفسُــهُ, بمعنــى مــا, إلهــيٌّ, أيْ كائــنٌ فــوقَ- بــشريٌّ مســكنُه النهائــيُّ مــع اللــه في الســماء. لكــنَّ يســوع وبوضــوح ليــسَ اللــهَ الحــقَّ ذاتَــهُ.
- المثــيرُ للاهتمــام أنَّــهُ مــنْ الناحيــة العمليَّــةِ لا يُقــرُّ أحــدٌ بكــون يســوع ابــنَ اللــه في إنجيــل مرقــص.
- وهــذا صحيــحٌ لــدى النَّــاس الذيــن تربّــى معهــم قبــلَ أنْ يتَّخَــذهُ اللــه ولــداً (مرقــص ٦), وهــو صحيــح لــدى أمِّــهِ وأخوتــهِ (مرقــص ٣).
- مــعَ غيــاب روايــة الــولادة مــن عــذراء, لا ســببَ يدعــو مريــم الى الاعتقــاد بــأن يســوعَ مختلــفٌ عــنْ الآخريــن.

يبــدو فَهْــمُ مرقــصَ، كاتــبِ أقــدمِ إنجيــلٍ، هُــوَ أنَّ يســوعَ قَــدْ صــارَ ابــنَ اللــهِ عنــدَ تعميــدِهِ

الكريستولوجي في إنجيلَي (متّى ولوقا)

- استعملَ متّي ولوقا إنجيلَ مرقص كمصدرٍ لكلامهما عنْ حياة يسوع, لكنَّهما كان لديهما مرويّات أُخَر تحت تصرفهما، وتشتمل على كلام عنْ ولادة يسوع المتفردة والمهمَّة جداً منْ عذراء. في هذه الأحاديث, لا يصير يسوع ابناً للهِ عندَ تعميده, بَلْ عند ولادتِهِ.
- ويمكن رؤيةُ ذلك، على نحوٍ أكثرَ وضوحاً، في إنجيل لوقا, الذي لوحده يمتلك قِصَّة البشارة لمريم. وهنا, يخبر الملاكُ جبرائيلُ مريمَ بأنَّها ستحبلُ منْ الُروح القُدُس, وهكذا سيُدعى مولودها ابنَ الله (لوقا ١:٣٥).
- أقدمُ الآراء في رفْع المسيح الى مرتبة إلهٍ في المأثورات السابقة لكتابة الإنجيل كانتْ مشابهةٍ لقَصَصٍ لدى الوثنيّين والدوائر اليهوديَّة حولَ بشَرٍ صُيِّروا إلهيِّين, مثلاً, عند موتهم.
- وهذا الرأيُ في أنجيل لوقا يشبهُ الطريقة الثانية التي كان يمكن بها في التاريخ القديم السابق للمسيحيَّة أنْ يصير بها الشخصُ إلهيَّاً بكونهِ يولَد منْ أتِّحاد إلهٍ مع شخصٍ فانٍ. الفرْقُ الرئيس هو أنَّه في إنجيل لوقا, تحبل مريم بوساطة رُوح الإله.
- في إنجيل متِّي كلامٌ عنْ ولادة يسوع منْ عذراء.
- هنا, يخبرنا الإنجيل بأنَّ سبب ولادة يسوع منْ عذراء هوَ أنَّ هذا ما تنبأ بهِ الكتابُ المقدَّس (متّي ١:٢٢-٢٣).
- والواقعُ أنَّ فقرة الكتاب المقدَّس التي يقتبسها متّي

هنـا (إشـعيا ١٤: ٧)، لا تقـول بـأنَّ المـرأة التـي تحمـل ولـداً ستكون عـذراء، ومـنْ المحتمـل أنَّهـا لا تتنبـأُ بمسـيح مسـتقبليّ. لـدى متّـي تفسـيرٌ مختلـفٌ للفِقْـرة لأنَّـه لـمْ يكـنْ يقرأهـا في العِبْريَّـة، وهـي اللغـة الأصليَّـة, بـلْ كان يقرأهـا في اليونانيَّـة.

- هـذا جـزءٌ مِـنْ محاولـة متّـي في إظهـار أنَّ كلَّ شيء قَـدْ استُوفِيَ في الكتـاب المقـدَّس، ويشـمل هـذا ولادتَـه في بيـت لحـم, وقتْـلَ الأبريـاء في بيـت لحـم, وهروبَـه الى مـصر, ومـا إلى ذلـك.
- مـع ذلـك, وراءَ كلِّ هـذا, يبـدو وجـود روايـةٍ بـأنَّ يسـوع قَـدْ وُلِـدَ مـنْ عـذراء, وسـببُ ذلـك أنَّـه عنـدَ تلـك النقطـة أصبـح ابـنَ اللـه.

المسيح كوجود سابق

- مـنْ المهـم أنْ نلحـظَ أنْ لا واحـدَ مـنْ هـذه المأثـورات يشـير ولـو بكلمـةٍ واحـدة الى وجـود يسـوع قبْـلَ ولادتـهِ.
- في إنجيـل مرقـص, لا توجـد أيَّـةُ إلماحـةٍ الى كـون أُمِّ يسـوع عـذراء: فهـي حتَّـى لا تعـرف مَـنْ هـو، وهـذا سـبب أنَّهـا هـي وإخوتُـه يحاولـون إبعـادَه عـنْ نظـر العامَّـة- هـم يعتقـدون أنَّـه فقَـد عقلَـه.
- في إنجيـل متـي ولوقـا, أمُّ يسـوع عـذراءُ, وهـذا يُعَلّـلُ كـونَ القِصَّـةِ حـولَ مريـم والأخـوة وهُـم يحاولـون إبعـادَ يسـوع قـد حُذِفَـتْ مِـنْ هذيـن الإنجيلَـيْن.
- لكـنْ في إنجيـل متّـي وإنجيـل لوقـا, لحظـةُ ولادة العـذراء ليسـتْ هـي وقـت مجـيء الكائـن الإلهـيِّ السـابق في وجـوده في

جسـد بـشريٍّ. لـدى متّـي ولوقـا, الحَبَـلُ بيسـوع الـذي حـدث لعـذراء جعلهـا اللـه حامـلاً بـهِ هـو اللحظـة التـي جـاء بهـا الى الوجـود.

- ولَـمْ يعتقـدْ المسـيحيّون بفكـرةِ كـون المسـيح إلهـاً سـابقاً في وجـوده قـدْ أصبـح جسَـداً مِـنْ لحـم مـنْ خـلال مريم العـذراء, لَـمْ يعتقـدوا هـذا, الّا فيمـا بعـدُ. وقَـدْ رأوْا هـذا الـرأي بقبولهـم مـا قالـه متّـي ولوقـا حـولَ ولادة يسـوع مِـنْ عـذراء ومـا يقولـه يُوحنَّـا بـأنَّ المسـيح كان كائنـاً إلهيَّـاً سـابقاً في وجـوده للـولادة. لاحـظْ ليـس لـدى يُوحنَّـا ولادة مـنْ عـذراء.
- بعبـارة أخـرى, العقيـدةُ الكلاسـيَّةُ المتأخـرة عـنْ التجسُّـد مـنْ خـلال مريـم العـذراء قـدْ صُنِعـتْ بتركيـبِ آراء متّـي ولوقـا, مـنْ جهـةٍ, مـعَ رأي يوحنَّـا, مـنْ جهـةٍ أُخـرى, وقـدْ خلـق هـذا التركيـبُ رأيـاً ليـسَ موجـوداً في أيٍّ مـنْ هذَيْـنِ الإنجيلَـيْنِ.
- وسـنأتي عـلى فهْـم يوحنَّـا الفريـدِ للمسـيح, لكـنْ أوَّلاً, مـنْ المهـمّ أنْ نتفحـص آراءَ الرسـول بولـصَ, الـذي يمثـل نوعـاً مـنْ الجـسْر أو الشـخصيَّة الانتقاليـة بـينَ أقـدم الكريسـتولوجيات المجِّـدة وكريسـتولوجيات التجسُّـدِ المتأخـرة.

الفصل الخامس عشر
رأيُ بولصَ: رفْع المسيحِ الى مقامِ الألوهية

بَعْدَ يسوعَ الرسولُ بولصُ هو الشخصيَّةُ الأكثر أهميَّةً في المسيحيّة الأولى. وما نُسِب منْ أسفار العهدِ الجديد الى بولصَ أكثر ممَّا نُسب الى شخصٍ آخَر. أكثرُ منْ نصف العهد الجديد نُسِبَ إليه على نحوٍ مباشر, أو غير مُباشر, أو كان عنْهُ. وأكثرُ مِنْ أيِّ شخص آخر, طوَّر بولصُ لاهوت الكنيسة المبكر, وعلى نحوٍ خاصٍّ, أكدَّ كونَ موت أو بعثِ يسوع هو ما أحدثَ الوقفةَ الصحيحةُ أمامَ الله، وأنَّ هذا الخلاصَ شمل كلَّ النَّاس سواء أحافظوا على الشريعة اليهوديَّة أمْ لمْ يحافظوا. أكثرُ منْ هذا, الجهودُ التبشيريَّةُ لبولص هي ما أدَّى الى نموِّ الكنيسة المسيحيَّة.

تَحوّلُ بولص

• نعرفُ بعضَ الحقائق المهمَّة عنْ سيرة حياة بولصَ منْ كتاباته ومنْ القراءة الدقيقة والموضوعيَّة لِسفرْ الرُسُل,

الـذي في أكثـرِه, قـدْ كتبَـهُ عنـهُ أتباعُـه مـنْ الجيـل اللاحـقِ.

- بـدأ بولـصُ الحيـاةَ كيهـوديٍّ متديِّـنٍ ومُلتـزم عـلى نحـوٍ عميـق. وحـينَ سـمع للمـرَّة الأولى رَغْـمَ المسـيحيِّين بـأنَّ يسـوع هـو ابـنُ اللـه وأنَّـه هـو المسـيح, اعتقـد هـذا تجديفـاً. فمجـرمٌ مصلـوبٌ لا يمكـن أنْ يكـون مسـيحاً ناهيـكَ عـنْ أنْ يكـون كائنـاً إلهيَّـاً. وبسـببٍ مـنْ معارضتـه لمزاعـم المسـيحيِّينَ حـولَ يسـوع صـار بولـص مضطهِـداً ناشـطاً للكنيسـة.

- لكـنْ حـدث لبولـص واحـدٌ مِـنْ أعظـم التحـولات في التاريـخ كلِّـهِ. عـلى أسـاس رؤيـا عـن المسـيح حدثـتْ لـه, بعـدَ عامَـيْنِ أو ثلاثـة أعـوام, عـلى سـبيل الاحتمـال, مـنْ حـادث الصَلْـبِ, فاقتنـع بـأنَّ يسـوع كان مـا يـزال حيَّـاً وأنَّـه, لذلـك, كان قـد بُعِـثَ مِـن المـوتِ.

- غـيرَّ هـذا الاعتقـادُ كلَّ شيءٍ عنـدَ بولـص، وبـدأ بالتفكـير في أنَّـهُ إنْ كان يسـوع قـد رُفـع الى المقـام الأعـلى عنـد اللـه عنـدَ بعثـه فـلا بُـدَّ أن يكـون موتـه قَـدْ خطَّـط لـه اللـهُ مـن البدايـة. وهكـذا قبـلَ بولـص فكـرةَ أنَّ مـوت يسـوع هـو مـا جـاء بالخـلاص مِـنْ الخطيئـة. وقَـدْ طـوَّرَ هـذا الـرأي عـلى نحـوٍ أكثـر قـوَّةً وحماسـاً مِـنْ أيِّ واحـدٍ مـن المسـيحيِّين الذيـن سـبقوه. لَـمْ يـأتِ الخـلاصُ بوسـاطة شريعـة اليهـود ولا بأضاحـي اليهـود في المعبـد, بَـلْ بالمـوت التضحـويِّ لمسـيح اللـه الخـاصّ.

- وفي حـين إنَّ بولـص قَـد تأمَّـلَ أهميَّـةَ مـوتِ يسـوع والبَعْـثِ, فإنَّـهُ أيضـاً قَـدْ تأمَّـل شـخصيَّةَ يسـوع نفسِـه- مـنْ

كان يسـوع حقـاً. وقـدْ جـاء بفكـرةٍ مختلفـة عـن كريسـتولوجيات الرَفْـع والتمجيـد التـي اطّلعنـا عليهـا حتّـى الآن.

عاش بولصُ تحوُّلاً دراميا بعدَ أنْ حصلتْ له رؤيا حولَ يسوع, فاعتقد أنَّ موتَ يسوع يمكنهُ أن يُخلِّصَ منْ الخطيئةِ

كريستولوجي التَجَسُّد

- في الكريسـتولوجيات التـي طالعناهـا, صـار يسـوع ابنـاً للـه في مرحلـةٍ معينـةٍ مِـنْ وجـودهِ- عنـدَ بعثـهِ, أو عنـدَ تعميـدهِ, أو عنـدَ الحَمْـلَ بـهِ.
- مـن الخطـأ الاعتقـاد بـأنَّ هـذهِ الآراء تطـوَّرتْ في صيغـةٍ زمانيَّـة عـلى نحـوٍ صـارم, بمعنـى أنَّ كلَّ المسـحيِّين في مرحلـة واحـدة قَـدْ ركّـزوا عـلى البعـثِ, ثُـمَّ ركّـزوا جميعـاً عـلى التعميـد وبعـدَ ذلـك عـلى الـولادة.
- لقَـدْ كانَ لجماعـاتٍ مختلفـة آراءٌ مختلفـة عـنْ اللحظـة الحاسـمة لوجـود يسـوع في الوقـتِ نفسـهِ.
- ومـعَ ذلـكَ, جماعـاتٌ مسـيحيَّةٌ أُخَـر كانَ لهـا آراءٌ أُخَـر لـمْ يكـن فيهـا أيَّـةُ مرحلـةٍ صـارَ فيهـا المسـيح ابنـاً للـه في هـذه الآراء كان يسـوع ابنـاً للـه قبـلَ أنْ يأتـي الى العالـمَ.
- وهذا الرأي هو ما يمكن أنْ ندعوه كريستولوجي التجسُّد.
- كلمـةُ تجسُّـد (incarnation) تعنـي (في اللَحْـم), أو (أنْ يصـيرَ لحمـاً). في كريسـتولوجيات التجُسـد يُفهَـم يسـوعُ عـلى

إنَّـهُ كائـنٌ إلهـيٌّ سـابقُ الوجـودِ أصبـحَ إنسـاناً بَعْـدَ أنْ عـاشَ, في الأصـل, في السـماءِ مـع اللـه.

- يُطابقُ هذا الرأيُ الطريقةَ الثالثة منْ الطرائق التي يمكنُ بها للإنسان أنْ يصير إلهيَّاً في مُعتَقدِ العالمَ القديم: أحياناً, الآلهةُ أنفسُهم يصيرون بشَراً.
- وهذا هو الرأيُ المتعلقُ بالمسيح الذي وُجِدَ في كتابات الرسول بولص- كما سنرى مع قدر منْ التغيير.

رسائلُ بولص

- نحـنُ لدينـا علـمٌ بـآراء بولـص لأنَّـهُ قَـدْ كتـبَ رسـائلَ الى الكنائـس التـي أسَّسـها، ونملـكُ بعـضَ هـذه الرسـائل.
- ثَمَّـةَ ثـلاث عـشرة رسـالةً في العهـد الجديـد باسـمِ بولـص عـلى الرَّغـمِ مـنْ شـكٍّ العلمـاء في نسـبتها كُلِّهـا اليـه.
- الـرأيُ المعيـاريُّ لـدى العلمـاءِ النقديّـين هـو أنَّ بولـص قَـدْ كتـبَ سـبعَ رسـائل, وهـذهِ هـي أقـدم مـا لدينـا مِـنْ كتابـات مسـيحيَّة أنْتِجـتْ قبـلَ العهـد الجديـد.

رسالةٌ الى أهلِ جلاتيه

- إحـدى الفقـراتِ الأكثـرُ لفتـاً للانتبـاه لـدى بولـص هـي تلـكَ التـي يتسـاوى فيهـا القـرّاءُ غـيرُ المتخصصـين مـع العلمـاء في المـرور بهـا دون إدراك أهميّتِهـا في تأكيـد وجهـة نظـر بولـص عـنْ المسـيح. وهـذه الفقـرةُ في رسـالة إلى أهـل جلاتيـه (٤:١٤).
- هـذه الآيـةُ تشـيرُ إلى أنَّ بولص يعتقـدُ أنَّ يسـوع كان ملاكاً.

وقواعدُ اللغة اليونانيَّة للآية تجعلها واضحةً: لا يقول بولس بأنَّ أهل جلاتيه رحبّوا بهِ كملاكٍ, أو حتَّى أكثرَ, كمسيحٍ; هو يقول بأنَّهم قَدْ رحَّبوا به كملاكٍ مثل المسيح.

- ويتَّضحُ هذا عندما ننظر الى الكيفيَّة التي يستعمل بها بولس النوعَ نفسَه منْ العبارة النحويَّة في مكانٍ آخَر كما في أهالي كورينث (١:٣) والتي هي ليستْ غامضة.

- يرى بولصُ أنَّ المسيحَ قبلَ أنْ يأتي الى العالمَ كانَ ملاكاً عظيماً, أو بالأحرى ملاكَ الربِّ.

- ورأينا في محاضرةٍ سالفة أنَّ في التراث اليهوديِّ ظهرَ ملاكُ الربِّ لشخصيات منْ العهد القديم مِنْ قبيل هاجر, وإبراهيم, وموسى. لقَدْ ظهرَ في هيأة بشريَّة على الرَّغْمِ مِنْ كونهِ إلهيَّاً; وعلى الرَّغْمِ منْ ذلك دُعِيَ بملاكِ الربِّ, وَقَدْ عُرِفَ أيضاً باعتباره الربَّ أيضاً.

- لدى بولص, يسوع هو ذلك الكائن. صار ملاكُ الربِّ إنساناً لِما يزيد على دقائق قلائل, لمُدَّة حياتِه كُلِّها. يسوعُ هو تجسُّدٌ لملاكِ الربِّ.

- وهذا هو سببُ أنَّ بولص يستطيع في مكانٍ آخَر أنْ يتحدَّث عنْ المسيح باعتباره كائناً إلهيَّاً سابقَ الوجود, أيْ باعتباره إلهاً وُجِدَ قبلَ أنْ يكون إنساناً, كما يُرى, مثلاً في رسالة بولص الى أهل مدينة كورينث (١٠:٤).

- يمكنُ رؤيةُ آراء بولص الكريستولوجيّة على نحوٍ أكثرَ وضوحاً في (قصيدة المسيح) الموجودةِ في رسالة إلى أهل فيليبي (٢:٦-١١).
- يتّفق العلماءُ، على نحوٍ واسع، على أنَّ هذه القصيدةَ هي مأثورٌ سابقٌ لبولص, بعبارةٍ أُخرى, يقتبس بولصُ ترنيمةً أو قصيدةً كانتْ متداولةً قبلَ أنْ يكتب كتاب الفليبيِّين. ومنْ الصعْب القولُ بأنَّ القصيدةَ قَدْ كتَبها بولصُ أو شخصٌ آخَر, لكنَّ الواضحَ أنَّ القصيدة جيِّدةُ البناءِ ومتوازنةٌ.
- يتحدَّثُ النصفُ الأوَّل حولَ المسيح ككائنٍ الهيٍّ سابقٍ في وجوده, تواضعَ ليصبحَ بشَراً.
- يتحدَّثُ النصفُ الآخَر عنْ مكافأة الله للمسيح برفْعِهِ الى منزلةٍ فوقَ ما كان عليه منْ منزلةٍ.
- يُساعدنا العديدُ منْ العبارات المفتاحيّة على استيعاب فهم القصيدة لهُويَّةِ المسيح.
- كان المسيح على (هيأة الله)- مثلُ ملاكٍ, كائنٌ يشبه إلهاً. لكنَّهُ مازالَ غيرَ مساوٍ للهِ. هذهِ هي النقطةُ الرئيسة.
- في الفقرةِ التي تقولُ أنَّ المساواةَ لمْ تكنْ شيئاً يُحصَل عليه, الكلمةُ اليونانيَّة لا تبدو أنَّها تعني أنَّ ثمَّةَ شيئاً رُبَّما أراده يسوع فسعى وراء الحصول عليه.
- ودليلٌ مضافٌ الى ذلك التفسيرِ هو ما يحدثُ للمسيح وهو يموت. رفَع الله منْ مقامهِ على نحو (أكثر سمواً).

ويبدو معنى هذا أنَّ الله رفعَهُ أكثر مما كان عليه مِنْ قبلُ بجعله مساوٍ لله. إنْ كان (مساوياً) للهِ مِنْ قبلُ لَمْ يكنْ بإمكانه أنْ يكون أسمى مطلقاً, إذْ لا شيءَ أسمى مِنْ الله.

• والأكثر لفتاً للانتباه هو نهاية القصيدة حيث نجد تلميحاً الى إشعيا (٢٣-٢٢: ٤٥), وهي فِقْرة مِنْ العهد القديم تقول بأنَّه ليهوا إله بني إسرائيل فحسْبُ يحقُّ الركوع والذكر. والآن لِيسوع يُركَعُ, ويلهَجُ اللسانُ بالذكر, لقَدْ جُعِلَ المسيحُ مساوياً للهِ, ومعَ اللهِ, يستحقُّ عبادةَ كلِّ الكائنات الحيَّة.

• وهنا لدينا كريستولوجي انتقاليّ يحملُ ملامحَ نوعَيْن مِنْ الكريستولوجي؛ فهو يحمل ملامحَ كريستولوجي التجسُّد, وفيهِ المسيحُ كائنٌ الهيٌّ يصيرُ بَشَراً, كما يحمل ملامح كريستولوجي الرَّفْعِ والتمجيد، كما رأينا فيما سبق حيثُ يصير المسيحُ إلهاً.

• وهنا مِنْ المؤكَّد أنَّ المسيحَ كائنٌ الهيٌّ سابقٌ في الوجود, هو ملاكُ الرَبِّ الذي يصيرُ بَشَراً.

• لكنَّهُ أيضاً يُرفَع في درجتِهِ عندَ بعثه. معَ ذلك, هذا الرَّفْعُ لا يُشبهُ الرَّفْعَ الذي رأيناه في المأثورات المسيحيَّة الأُخَر المبكرة. هنا, لا يُصَيَّر يسوع إلهيّاً بلْ أكثر ألوهيَّةً.

• لكنْ, كيفَ يمكن لكائنٍ الهيٍّ أنْ يكون (أكثرَ) ألوهيَّةً؟ في طريقتنا في فهم عالَم البشَر وعالَم الآلهة لا يمكن للألوهيَّة أنْ تسيرَ على هذا النحوِ. فالإلهُ هو الإلهُ, والأنسانُ الفاني هو الإنسان الفاني, وثَمَّةَ فجوةٌ عظيمة بَيْنَ الاثنَيْنِ.

- لكنْ كما رأينا على نحوٍ متكرر, لَمْ يكنْ هذا هو الفَهْمُ في العالم القديم قبلَ المسيحيَّة. كان العالمُ الإلهيُّ تَسكنُهُ كلُّ أنواع الكائنات وفي مستويات متنوعة من القوَّة. يمكنُ للكائن هنا أنْ يرتقي في السلسلة ليصيرَ أقرب الى الكائن الإلهيِّ الأعلى- الإلهُ الواحد الحقيقيّ- أو أقلَّ شَبَهاً مِنْهُ.
- وهنا, في هذهِ القصيدةِ التي اقتبسها بولصُ, يبدأ يسوعُ ككائن إلهيٍّ, ثُمَّ في مكافأةٍ على موتهِ المذِّل على الصليب, يُرفَع الى مستوى اللهِ نفسِهِ.
- إذاً, كريستولوجي التَجَسُّد هذا, يُعارض الأبكرَ منْ كريستولوجيات الرَفْع والتمجيد. وكما سنرى, لمْ يتوَّقفْ المسيحيّونَ عندَ هذا الحدِّ. في آخِر الأمر سيحاول المسيحيّون قائلين أنَّ يسوعَ لمْ يُرفَع أكثرَ ممَّا بدأ في منزلتهِ الإلهيَّة في السماء قبْلَ التجسُّد; وفي آراء متأخرةٍ, كان يسوع دائماً مساوياً للهِ مُنذُ الأزَلَ.

الفصل السّادس عشر
رأيُ يوحنّا: الكلمةُ صنعتْ بشَراً

يختلفُ إنجيلُ يوحنا, آخرُ الأناجيل القانونية, يختلف عنْ الثلاثةِ الأُخَر في المحتوى، وفي ما سلط عليه الضوء من أفكار، كما يختلف في اللاهوتِ الذي تضمنه. وكما رأينا, تتشارك الأناجيلُ السينوبيَّة عدداً منْ القصص حولَ يسوع منْ قبيلِ تعميدهِ وحكاياتهِ الرمزيَّة وغيرِ ذلك. بالمقارنة, في إنجيل يوحنًّا قَصَصٌ غير موجودة في الأناجيل السينوبيَّة منْ قبيلِ رواياتِ المعجزات. وأكثرُ منْ هذا أهميَّةً, لدى يوحنّا كريستولوجيا متقدمَة كثيراً على ما في الأناجيل الأُخَر. اعتقادُ يوحنًّا هو أنَّ يسوع لمْ يُصبحْ ابنَ الله عندَ تعميدهِ, وأنَّهُ لمْ يُولدْ ابناً لله. إنَّ يسوع كانَ دائماً ابنَ الله مُنذُ الأزَل.

الاختلافاتُ بينَ الأناجيلِ السينوبيّةِ وبينَ إنجيلِ يُوحنّا

- إنجيلُ يوحنًّا, آخر الأناجيل القانونيَّةِ, يختلف عنْ الثلاثةِ الأُخَر في المحتوى والأفكار واللاهوت.

- مـنْ المحتمـل أنَّ إنجيـلَ يُوحنًّـا قَـدْ كُتِـبَ في نهايـة القـرنْ الأوَّل, يمكـنُ أنْ يكـون ذلـكَ حـوالي العـام ٩٠-٩٥م.
- لا نعلـمُ مَـنْ كانَ المؤلِّـف. وقَـدْ زعَـمَ المسـيّحيون فيمـا بعـدُ أنَّـهُ أحـدُ أقـرب تلامـذة يسـوع, يُوحنّـا ولَـد زبيـدي, صيّـادِ سـمكٍ مـنْ الطبقـة الدُّنيـا كانَ يتحـدَّث الآراميَّـة مـنْ الريـف الفلسـطينيّ.
- المؤلِّف المجهول وشخصيَّة يُوحنًا لمْ تَرِدْ قطُّ في الإنجيل.
- أكثـر مـنْ هـذا, لأنَّ يوحنًّـا لـمْ يكـن يعـرف القـراءةَ ولا الكتابـةَ (أعمـال الرُسُـل ١٣:٤). وتقريبـاً مـنْ المؤكّـد أنَّـهُ لـمْ يكـنْ يعـرفُ اليونانيَّـة فـإنَّ هـذا الكتـابَ كانَ كتَبـهُ شـخصٌ آخَـرَ- مسـيحيٌّ بدرجـةٍ عاليـة مـنْ التعليـم يتحـدَّث اليونانيَّـةَ مـنْ جيـلٍ متأخِّـر.
- الأناجيـلُ الثلاثـةُ الأُخَـرَ تُدعـى الأناجيـلَ السـينوبيَّة لأنهـا تتشـارك الكثـيرَ مـنْ المحتـوى المتشـابه: هـي قَصَـص حـول حيـاة يسـوع مثـل الـكلام عـنْ تعميـده, وطـردهِ الأرواحَ الشريّـرة, وحكاياتـه الرمزيّـة, ووَعْظـهِ عـنْ مملكـة الـربّ القادمـة, وتجليّـه, وإقامتِـهِ العشـاءَ الرَّبانـيّ, وصلاتـه في بسـتان جيثسـماني[1], ومحاكمتـه أمـام السـلطات اليهوديّـة التـي رأتْـهُ مذنبـاً بجريمـة التجديـف.
- لا توجـد أيَّـةُ قِصَّـةٍ مـنْ هـذه القَصَـص في إنجيـل يوحنّـا الـذي يحتـوي قصَصـاً لا تُوجـد في الأناجيـل السـينوبيَّة

(١)مكان في مدينة القدس يعتقد المسيحيّون أنّ يسوع قَدْ صلىّ فيه قبلَ صَلْبه. (المترجم)

مـنْ قبيـلِ المعجــزة التــي قــام بهــا يســوع في تحويــل المــاء الى نبيــذٍ, وشــفائِهِ الرجــلَ الأعمــى بالــولادة, وإحيائِــه صديقَــه لازاروس مــنْ المــوت, ومحادثاتِــه مــع نيقوديمــس[٢] . وفي هــذه المحادثـات يقـول يسـوع إنَّ نيقوديمـس يجـب أن يُولـد مَـرَّةً أخـرى, وأقوالــه (أنــا) المتعــددة (وردتْ أقــوالٌ في إنجيــل يوحنّـا عـنْ المسـيح تبـدأ بـ(أنـا) عُـدَّتْ سـبعةً مثـل: (أنـا خبـزُ الحيـاة) و(أنـا نـورُ العالـم)، وغيرهـا.

في الأناجيـلِ السـينوبيَّة, يرفـضُ يسـوعُ القيـامَ بمعجـزاتٍ كعلاماتٍ عـلى هويَّتِـهِ لكـنْ في إنجيـل يوحنّـا, يقـومُ بعـدِد مـنْ المعجـزات وبضمْنِهـا رفـعُ لازاروس مـنْ القـبْرِ

• الى جانــب المحتويــات المختلفــة, يضــمُ إنجيــل يُوحنّــا ايضاحــات وأفــكاراً مختلفــةٍ جــداً عــنْ الأناجيــل الأُخَــرَ. في الأناجيـل السـينوبيَّة, مثـلاً, يرفـض يسـوع القيـام بأيَّـة معجـزة كآيَـةٍ عـلى هويّتـه فيمكـن للنـاّس أنْ يؤمنـوا بـه كابـنٍ للـه. في إنجيـل يوحنـا, لا يرفـض يسـوع القيـام بآيـات إعجازيَّـة لإقنـاع النـاس بالإيمـان. عـلى العكـسِ, في هـذا الإنجيـل يشـير يسـوع الى أنَّـه يفعـل المعجـزاتِ لكـي يؤمـن النَّـاسُ (٤:٤٨), ويشـير يوحنّـا نفسُـهُ إنَّ هـذا هـو عـينُ هـدفِ معجـزاتِ يسـوع (٢٠:٢٠-٣١).

• وطبعــاً, الأناجيــلُ الســينوبيَّة جميُعهــا لهــا آراؤهــا

(٢) شـخصيَّة يهوديَّـة ينفـرد بذكرهـا إنجيـل يوحنـا, يُقـال إنَّـهُ كان تلميـذاً سريّـاً ليسـوع. (المترجـم)

اللاهوتيَّـةُ حــول يســوع: في إنجيــل مرقــص, يســوعُ هــو مَــنْ يصبــح ابــنَ اللــه في تعميــدِه, وفي إنجيــل متّــي ولوقــا, وُلِـدَ يســوع ابنــاً للــه لِأنَّ أمَّــهُ عــذراء.

- وفي المقابلــة, في إنجيــل يُوحنّــا, لا حديــثَ صريحــاً عــنْ تعميــد يســوع, لا حديــثَ فيــه يأتــي صــوتُ مِــنْ الســماء لتبنــيّ يســوع كابــنٍ للــهِ, ولا قِصَّــةَ حــولَ ولادتــهِ مِــنْ عــذراء في بيــت لحْــم.
- لــدى يُوحنّــا, لــم يَــصِرْ يســوع ابنــاً للــه, ولــم يُحبَــلِ بــهِ كابــنٍ للــه. لقــدْ كان يســوعُ دائمــاً ابــنَ اللــه– وفي حقيقــة الأمــرِ مســاوياً للــه منــذُ الأزَل.

آراء يوحنا الكريستولوجيّة

- يُمكــن رؤيــة آراءَ يوحنّــا الكريســتولوجيَّةَ المنحــازة في عــدد كبــيرٍ مِــنْ الفقــرات, وبعضُهــا أقــوالٌ ليســوع نفسِــهِ حيــث يُعــرَّف ككائــنٍ إلهــيٍّ وُجِــدَ في المجْــد مــعَ اللــه قبــلَ قدومِــهِ الى العالَــم.
- في إنجيــل يوحنّــا (٥٨:٨), يزعــمُ يســوعُ أنَّــهُ (أنَا)– الاســم الــذي اتَّخــذَه اللــهُ الــربُّ لنفسِــه في العهــد القديــم عندمــا كلَّــمَ مــوسى (سِــفر الخــروج ٣). يعلــمُ خصــومُ يســوع مــن اليهــود تمامــاً مــا يقصــده: فأخــذوا حجَــراً ليرجمــوهُ بــهِ جــزاءً لتجديفــهِ.
- في إنجيــل يوحنّــا (٣٠: ١٠) يزعــم يســوعُ أنَّــهُ مســاوٍ للــه, مــرَّةً أُخــرى يأخــذ خصومــه اليهــود الحجــارة ليرجمــوه بهــا.
- في إنجيــل يُوحنّــا (٥:١٧), يزعــمُ يســوعُ أنَّــهُ قَــدْ أُعطــي مجــداً عظيمــاً مــع اللــه القديــر في المــاضي الأزليّ.

- في إنجيل يوحنّا يصل الإنجيلُ الذروةَ مع اعتراف توماس المشكّك وهو يدعو يسوع قائلاً (يا ربّي وإلهي).
- منْ الضروري تأكيدُ أنَّهُ في كلِّ هذه الأقوال لا يزعمُ يسوعُ كونَهُ (متماهياً) مع اللهِ الأبِ (الذي له يُصلي, مثلاً) بَلْ هوَ مساوٍ لَهُ.
- وهذا واضحٌ في كونه كريستولوجي أكثر تمجيداً ورفعةً ممّا نجده في الأناجيل الأُخَر وحتّى ممَّا لدى بولص.

يُوحنّا (١٨-١:١)

- فوقَ كُلِّ ذلكَ, يمكن رؤية الكريستولوجيا المنحازة ليوحنًّا في ديباجة الإنجيل, (١٨-١: ١), التي تضم (أعلى) الآراء الكريستولوجيَّة في عموم العهد الجديد.
- لزمنٍ طويلٍ, أدرك العلماء أنَّ هذهِ قصيدةٌ أُخرى سابقةٌ لكتابة الأناجيل.
- يختلف أسلوب الكتابة عن بقيَّة الإنجيل, كما يُرى, على سبيل المثال, في حالات التشابهات السُلَّميّة حيث يُبنى البيت الشعري على سابقهِ بوساطة تكرار الكلمة الأخيرة منْهُ.
- كذلك, المصطلح الكريستولوجي الرئيس في هذه القصيدة– أيْ, إنَّ المسيح هو اللوجوس (Logos), أو (كلمة الله– لا يوجد في أيِّ موضع آخر في الإنجيل.
- استعمل مؤلِّف إنجيل يُوحنَّا قصيدةً وجدها خيرَ ممثِّل لوجهة نظرهِ الكريستولوجيَّة على الرْغم منْ أنَّ

المصطلحات التي تستعملها القصيدة مختلفةٌ نوعمّا.

- تبدأ القصيدةُ باستذكار بدايةِ الكتاب المقدَّس نفسِها: التكوين ١:١.
- تماماً كما إنَّ الله قد نطق (كلمة) في البداية ليخلقَ العالَم, إذاً, كذلك, كانتْ الكلمة في البداية كشخصٍ منْ خلالِهِ خلق اللهُ العالَمَ.
- الكلمةُ هنا أقنومٌ مقدَّسٌ, كما رأينا في المحاضرة الرابعة: هي صفة إلهيّة أخذتْ وجودها الخاصّ بها باعتبارها الشخصَ الذي هو الله- لأنهّا صفةُ الله الخاصَّةُ بِهِ- مع ذلك, كشخص منفصل عنْ اللهِ- والسببُ أنهّا يمكن أن توجدَ بعيدةً عنْ الله.
- كلمةُ الله هذه كانتْ معَ اللهِ منذ البداية تماماً, كانت هي نفسُها إلهاً, خَلَقَتْ الكونَ كُلَّهُ وجاءتْ بالحياة والنور للإنسان, وفي الآخر رفضَها أولئك الذين أتتْهُم.
- والحقُّ أنَّ هذهِ الكلمةَ صارت كائناً بشريًّا: يسوع المسيح.
- مِنْ المهمّ أنْ نلحظَ في هذهِ القصيدةِ أنَّ يسوعَ ليس سابقاً في وجودهِ, في حين إنَّ الكلمةَ سابقةٌ في الوجود.
- حين صارتْ الكلمةُ إنساناً, جاء يسوع الى الوجود.
- وهكذا, يسوعُ تَجسُّدٌ للكلمة, جاءَ العالَمَ, وكَشَفَ عَنْ الحقيقةِ الضروريّة للخلاص, وقَدَّم الحياة للآخرين, بعدَ ذلكَ عادَ الى الأبِ.
- هذا الرأيُ تجسُّديٌّ على نحوٍ واضحٍ وهو خطوةٌ أبعدُ ممَّا وجدناهُ لدى بولصَ الذي اعتقد بأنَّ المسيح رُفِعَ

الى مَوضعْ أعلى ممَّا كان عليهِ عند بعثِهِ مِنْ الموت. أمّا في الرأي الحاليّ ليوحنّا فإنَّ المسيحَ أصلاً كانَ كائناً إلهيَّاً رفيعَ الدرجة قبلَ أنْ يصيرَ بشراً.

آراءٌ مشابهةٌ في العهدِ الجديد

- يمكن العثورُ على آراءٍ شبيهة بهذهِ حولَ المسيحِ الإلهيِّ سابقِ الوجود والمُمجَّدِ في فِقرات أُخَر في العهد الجديد في مواضع مِنْ قبيل الرسالةِ المرسلَةِ الى أهل كولوسي[1].
- الرسالةُ المرسلة الى أهل كولوسي يُزعَم أنَّ كاتبها بولص لكن مِنْ المؤكَّد تقريباً أنهَّا ليست كذلك. فهي ككتاب متأخِّر تضمُّ كريستولوجيا متأخِّرةً.
- يمكن رؤيةُ هذا, خصوصاً, في الرسالة (١٦-١٥:١), حيثُ المسيح هو (صورة) الله الذي لا يُرى, هو الشخصُ الأوَّلُ الذي جاء الى الوجود قبلَ كلِّ شيءٍ. وهذا الشخصُ بوساطتهِ, ومِنْ أجلِهِ, وُجِدَ كلُّ ما عداه.
- ويبدو أنَّ سِفْرَ العِبرِيِّينَ يحملُ رأياً مشابهاً.
- وافقَ على هذا السِفْر ليكونَ في الكتاب المقدَّس آباءُ الكنيسة الذين اعتقدوا أنَّ كَاتبه هو بولص على الرَغمْ مِنْ أنَّ الأكيد أنَّهُ لمْ يكتبْهُ.
- وهو أيضاً يضمُّ آراءً مُمجِّدةً للمسيح الذي (هو وارثُ كلِّ شيءٍ), هو الذي بوساطته خُلِقَ العالَمُ والذي يُدعى إلهاً

---

(١) المنسوبة الى بولص. (المترجم)

(سِـفْر العِبْريّـين ١:٢,٣,٨).

- وصلنا موضعاً حيثُ يرى المسيحيُّونَ المسيحَ كائناً إلهيًّاً سابقَ الوجود[1]

مسـاوياً للـه. وهـذا بعيـدُ كلِّ البُعـدِ عـنْ يسـوع التاريخـيِّ النـاصريِّ (مـنْ النـاصرة)، الـذي كان واعظـاً ينـادي بنهايـة العالـم وانتهـى بـه المطـاف أنْ يكـون مناهضـاً للقانـون فأُعـدِم لجرائـم مناهضـة للدولـة. لكـنْ كمـا سـنرى، مـا كان أسرع مـا سـيقوله المسـيحيُّونَ ممَّـا هـو أكثـر تمجيـداً ورفعـاً للمسـيح.

(١) قبل وجود العالم. (المترجم)

الفصل السابع عشر
أكان المسيحُ بَشراً؟ الرأيُ الدوسيتي

حتّى هذه المرحلةِ مِنْ دراستنا, حصرْنا اهتمامنا بالقَرْن الأول الميلاديّ. وهذهِ هي السنوات الحاسمة التي شهَدتْ حياةَ يسوع وموتَه, وبدايةَ الاعتقاد ببعثهِ, وكتابةَ أغلب أسفار العهد الجديد. في هذهِ المحاضرة, نبدأ التحرُّك الى الأمام, الى ما وراء مُدَّة العهد الجديد, الى القَرْن الثاني والثالث عندما صارتْ الحركة المسيحيَّةُ متنوعةً على نحو أكثر لفتاً للانتباه. كما سنرى مجموعاتٍ مسيحيَّةً مختلفةً كُلٌّ يدَّعي ولاءً ليسوع ورُسُلِهِ, والجميعُ يتَّبعون معتقداتٍ وممارساتٍ مختلفةٍ على نحوٍ جذريٍّ.

النزاعات في المسيحيّة المبكرة

- لمْ تكنْ المسيحيَّة ديناً موحَّداً في العقود والقرون التي تلت مُدَّةَ العهد الجديد.
- كانَ ثَمَّةَ نزاعاتٌ حول عدد الآلهة الموجودة, وما

إذا كانَ الكتــاب المقــدَّس اليهــودي قــد جــاءَ مــنْ اللــه. كانَ ثَمَّــةَ خلافــاتٌ حــولَ أهميَّــة مــوت يســوع، ومــا إذا كان المســيح قَــدْ مــاتَ فِعــلاً. ادَّعــى بعــضُ المســيحيِّين وجــودَ إلــهٍ واحــدٍ لا غــيرَ, لكــنَّ آخريــن قالــوا بوجــود ٢, ١٢, ٣٠, ٣٦٥ إلهــاً.

- رُبَّمــا نســألُ لِــمَ لا تنظــر هــذه الجماعــات المختلفــة في اعتقاداتهــا في عهدهــا الجديــد لــترى أنَّهــا عــلى باطــلٍ.
- الســببُ بســيط جــداً: العهــدُ الجديــد في هيــأة مجموعــة مــنْ الأســفار المقدَّســةِ لــمْ يكــن قــدْ وُجِــدَ في ذلــكَ الوقــتِ عــلى الرَّغْــمِ مــنْ أنَّ الأســفار التــي كانــتْ ســتُصبح العهــدَ الجديــد كانــتْ قَــدْ كُتِبــتْ يومَــذاك.
- لكــنْ, كذلــكَ كانَ قَــدْ كُتِــبَ عــددٌ كبــيرٌ مــن الكُتــب الأُخَــرَ التــي, أيضــاً, زُعِــمَ أنَّهــا قَــدْ كُتبــتْ بيــدِ رُسُــلِ يســوع.
- لجــأتْ مجموعــاتٌ مختلفــة مــنْ المســيحيِّين الى كُتــبٍ رســوليّةٍ مختلفــة لتبريــر معتقداتهــا.
- فــازَتْ واحــدةٌ مــنْ هــذه المجموعــاتِ في النزاعــات حــولَ مــا يجــب اعتقــادُه وأيِّ الكُتــبِ يجــبُ اعتبــارهُ الكتــابَ المقــدَّس. أمَّــا المجموعــاتُ الأُخَــر فَقَــدْ هُمِّشــتْ في آخــر الأمــر لِتُطــرَدَ نهائيَّــاً.

المذهبُ الدوسيتيُّ

- اعتقــدتْ إحــدى الجماعــاتِ المبكــرة بــأنَّ يســوع كان إلهيّــاً عــلى نحــوٍ كامــلٍ بحيــث إنَّــه مــا كان لــهُ أنْ يكــون بشريّــاً. دعــا العلمــاءُ هــذه الطائفــة مــنْ المســيحيين باســم الدوســيتيِّين Docetists.

- تنحـــدر كلمـــة (docetism) المذهـــبُ الدوســـيتيّ، مـــنْ المفـــردة اليونانيـــة (dokeo) بمعنـــى (يظهـــر).

- اعتقـد الدوســيتيُّونَ أنَّ المسَـيح مـا كان يمكنـه أنْ يكـون بشراً حقّـاً بسـبب كونـهِ إلهـاً قائمـاً بنفسِـه، لـذا فهـو قَـدْ ظهـرَ في هيـأةِ بـشرٍ وليـس غـير ذلـك.

- وأحدُ مضامينَ هذا القول انَّ المسيح لَمْ يَمُتْ حقّاً بل (بدا ميّتاً).

- يمكـن النظـر إلى هـذا الـرأي باعتبـاره نُمـوّاً طبيعيـاً لكريسـتولوجيات التجسُّـد ممَّـا يمكـن العثـور عليـه في كتابـات بولـص ويوحنّـا.

- مثـلاً، تحـدَّث بولـص حـول مجـيء المسيح في مِثْـل (لحـم خاطئ) (سِـفر الرومـان ٣:٨).

- ويسـوعُ يوحنّـا عـلى قـدرٍ مـن الألوهيَّـة حتّـى إنَّ المفسّرينَ المحدَثـينَ يشـكّون في إمكانيـة اعتبـاره بـشراً كاملاً.

- سـنعرف معنـىً لهـذا السـؤال في كتابـة متأخـرة، سِـفْر يوحنـا الـذي هـو أيضـاً في العهـد الجديـد.

- هـذا السِـفرْ عبـارةٌ عـنْ رسـالة مقتَرحـة إلى جماعـة أو أُطروحـة لاهوتيَّـة قَـدْ أُرسـلتْ الى جماعـة- مـنْ النـوع الـذي يبـدو أنَّـهُ يتمسـك بإنجيـل يوحنَّـا باعتبـاره مرجعيَّـةً.

- لكـنَّ المؤلِّـفَ يخبرنـا أنَّ بعـض الأشـخاص الذيـن ينعتهـم بأنَّهـم أعـداء المسـيح قـدْ تركـوا الجماعـة (١ يوحنـا ١٩-١٨:٢).

- في موضـعٍ آخَـرَ، يشـير المؤلـف الى مـا يعتقـدهُ هـؤلاءِ،

أعـداءُ المسـيح: لـمْ يـأتِ يسـوعُ الى هـذا العالـم بجَسـد مـنْ اللحـم الحقيقـيِّ (١ يوحنّـا ٣-٤:٢). وهـذا الـرأي يمنعـهُ المؤلّـفُ بصرامـةٍ.

- وهـذا هـو السـببُ في أنَّـه يبـدأ كتابتَـهَ عـلى النحـوِ الـذي يفعلـهُ, مؤكّـداً شـخصيّةَ المسـيح المحسوسـة الواقعيَّـة اللحمـيّ.

القديس إجناتيوس

- أضحَـتْ هـذهِ الآراءُ صريحـةً وَسْـطَ بعـض المسـيحيِّين الذيـن عاشـوا في عقـود عديـدة تَلَـتْ, كمـا يُشـاهَدُ في رسـائل إجناتيـوس.
- إجناتيوس واحدٌ منْ أكثر الشخصيّات المسيحيّة المثيرة للاهتمام منْ أوائل القرن الثاني, تماماً بعدَ كتابة العهد الجديد.
- كان إجناتيـوس أُسـقف أنطاكيَّـة الـذي أُديـن بسـبب معتقداتـه المسـيحيَّة في العـام ١١٠ م, وأُرسِـلَ الى رومـا ليُرمـى الى الوحـوش شـهيداً.
- وفي طريقـهِ الى هنـاك كتـبَ سـبع رسـائل مـا زالـتْ موجـودةً, وفي هـذه الرسـائل, مِـنْ بَـيْن أشـياء أُخَـر, يحـذِّر مـنْ المؤمنـينَ الكاذبـينَ الذيـنَ يتّبعـون تعاليـمَ خطـيرة حـول المسـيح.
- في العديـد مـن رسـائل إجناتيـوس, يحـذِّرُ مـنْ الذيـن يحملـون مفاهيـم الكريسـتولوجي الدوسـيتيّ.
- في رسـالته الى أهـالي مدينـة تراليـس, هاجـم إجناتيـوس (الملحديـن) و(الكافريـن) الذيـن زعمـوا أنَّ يسـوع لـمْ يظهـر الّا ليُعانـي (رسـالة الى أهـالي تراليـس: ١٠-٩).

رسائلِهِ, حاولَ في إجناتيوس الأنطاكيّ التحذيرَ مِنْ الكريستولوجي الدوسيتيِّ- فكرةِ أنَّ المسيحَ ظَهَرَ لكنْ في هيأةِ بشرٍ, ولكي يعانيَ فَحَسْبُ

- وفي رسالة إجناتيوس الى أهالي سميرنا[1] ، شدَّد أيضاً على أنَّ المسيح قدْ عانى, وبعدَ بعثِهِ استمرَّ على وجوده في جسدٍ منْ لحمٍ. (رسالة الى أهالي سميرنا ٣-٢).
- يمكننا رؤيةُ السببَ في اضطراب إجناتيوس: إنْ كانَ يسوع قَدْ ظهرَ لأجل المعاناة فحَسْبُ, فلِمَ يكون على إجناتيوس أنْ يواجه الحيوانات المفترسَة في الواقع؟

مارسيون

- الدوسيتيُّ الأكثرُ شهرةً للكنيسة المبكرة كان الفيلسوفَ- المعلّم المعروف باسم مارسيون الذي عاش في منتصف القَرْنِ الثاني.
- لطالما صُوِّرَ مارسيون كزعيمٍ لهراطقة المسيحيّةِ القديمةِ, ويعود ذلك الى حدٍّ كبير الى كون آرائهِ قدْ حازَتْ نجاحاً هائلاً.
- أخذ مارسيون مُنطَلَقات فكرهِ مِنْ الرسول بولصَ الذي مَيَّزَ بَيْنَ شريعة موسى وإنجيل المسيح.
- لَمْ يرَ بولص في هَذين الاثنين مكمّلين لبعضهما-

---
(١) إزمير الحالية في تركيا. (المترجم)

باعتبـــار إنجيــلِ المســـيح إتمامـــاً للشريعـــة اليهوديـــة- بَــلْ, باعتبارهمـــا متخالفَـــيْن.

- ولأنَّ إنجيـل المسـيح, كمـا فـسَّرَه بولـص كانَ مختلفـاً عـلى نحـوٍ شـامل عـنْ الشريعـة اليهوديـة, إذاً فلابُـدَّ أنْ يكـون مصـدرهُ إلهـا مختلفـاً.
- اعتقد مارسيون بأنَّ ثَمَّةَ إلهَيْن على نحوٍ حرفيٍّ.
- إلــهُ اليهــود كان الإلـهُ الـذي خلـقَ هـذا العالَــم, واختــار بنــي إسرائيــل, ليكونــوا شــعبَه, وأعطاهــم شريعتَــهُ, بعــد ذلــك لعنَهــم- وجميــع الآخريــن- بســبب تركهــم لهــا.
- لكـنْ, كانَ ثمَّـةَ إلـهُ يسـوعَ أيضـاً الـذي جـاء الى العالَـم ليُنقـذَ النَّـاس مــنْ غضــب إلــهِ العهــدِ القديــم.
- في هــذا الفَهــمْ, مــا كان يمكــنْ أنْ يكــونَ يســـوع حقَّـــاً قـد وُلِـدَ في هــذا العالــم كمخلــوق, لِأنَّ هــذا يجعلــه تابعــاً للإلــه الخالــق.
- وهكــذا ظَهــرَ يســوعُ مــن الســماء في هيــأة كائــن بــشري ليأتــيَ بخــلاصٍ مــنْ اللــه الخالــق بالتظاهــر بالمــوتِ عــلى الصليب. لكــنَّ هــذا كُلَّــه كانَ في الظاهــر وليــسَ في الحقيقــة.

تلخيص المذهب الدوسيتيِّ

- منْ السهلِ رؤية جاذبيَّة هذهِ الآراء الدوسيتيَّة.
- إنَّ يسوعَ إلهٌ على نحو الكمال.
- إنْ كانَ حقَّــاً إلهــاً فالواضــح أنَّــهُ لا يمكــن أنْ يكــونَ في الوقــت ذاتِــه إنســاناً.

- إذاً, لا بُدَّ أنْ يكون إنساناً في الظاهر فَحسْبُ.
- انتهى هذا الرأي خاسراً في جدالات حول مَنْ هو يسوعُ, والى حدٍّ كبير بسبب الاعتقاد الواسع بأنَّهُ لو لَمْ يكنْ يسوع إنساناً لما كان باستطاعته أنْ يموت منْ أجل الخطايا البشريَّة, لو لمْ يُسفَك منه دمٌ حقيقي لما كان باستطاعته أنْ يُضحَّى بهِ من أجل الخلاص, لو لَمْ يكنْ قدْ ماتَ حقّاً, ويُبعثَ منْ الموتِ لكانَ الدين نفسُهُ مجرَّدَ مظهر وليس واقعاً.
- وهكذا, على الرغْمِ منْ الشهرةِ و الشعبيَّةِ التي حظي بها الدوسيتيّون في زمانهم, وعلى الرَّغْمِ منْ جاذبيّتهم, كما قّدْ يبدو حتَّى للمسيحيّين الحاليّين, خسرَ الدوسيتيّون المعركةَ حول ما يجب أنْ يعتقدَهُ المسيحيّون.

الفصل الثامن عشر
المسيحُ المُقسَّمُ لدى دُعاةِ الفصْلِ

وسْطَ الجماعاتِ المبكرة مِنْ المسيحيِّين, لَمْ يبدُ مَنْ هو أكثرُ خَطَراً على الخطِّ العامِّ للمسيحيَّة (الأرثوذوكسي) مِنْ الجماعات الغنوصيّة المتنوعة. الغنوصيّةُ صَعْبةُ في التعريف, لكنَّها مِنْ الناحية الأساسيّة أصرَّتْ على أنَّ هذا العالَمَ الماديّ هو مكانُ تعاسةٍ ومعاناةٍ تجبُ النجاةُ منهُ، ويكون ذلك بوساطة الأرواح الإلهيَّة العالقة في فَخِّ الأجساد البشريَّةِ. وتتحقَّقُ النجاة عَبْرَ تَعَلُّم المعرفةِ السريَّةِ التي يأتي بها المسيحُ الإلهيُّ مِنْ فوق. في وجهة النظر هذه, المسيحُ هو واحدٌ مِنْ الآلهةِ العديدة الموجودة في العالم الأعلى. وقدْ سكنَ على نحوٍ مؤقَتٍ جَسَدَ يسوع الإنسان مُدَّة مهمَّته في إيصال رسالتهِ في المعرفة المخلِّصة.

تعريف الغُنوصيّة

- مِنْ الجماعاتِ المسيحيَّة الأولى التي اعتُبِرَتْ أكثرَ

الهرطقاتِ خطراً كانتْ الجماعات المتنوعة التي اعتنقتْ الغُنوصيَّة.

- الغُنُوصيَّةُ مصطلحٌ واسعٌ يشمل طيفاً منْ الجماعات المسيحيَّة التي تتشارك عدداً منْ الخصائص.
- سُمِّيَ الغنوصيون بهذه التسمية نسبةً إلى الكلمة اليونانية (gnosis- بمعنى المعرفة) لِأنَّ هذه الجماعات أكَّدَتْ أهميّةَ المعرفةِ السِريَّة منْ أجْل الخلاص.
- في اعتقاد هذهِ الجماعات, لَمْ يكنْ موتُ يسوعَ وبَعْثُه هو ما أتى بالخلاص, بَلْ هو المعرفةُ السِّريةُ التي جاء بِها يسوعُ.
- وَلَمْ تكنْ هذهِ المعرفةُ ببساطةَ معرفةً عقليّةً بحقائق معيَّنة. لقدْ كانتْ أقرب الى نوع مِنْ المعرفةِ الشخصيَّة أو الى إقرارٍ بحقائقَ معيَّنةٍ باعتبارها صحيحةً في قناعة الفَردْ.
- شملتْ المعرفةُ المُخَلِّصةُ إدراكَ الشخصِ لماهيَّتِه- باعتبارهِ شخصاً مُتَضَمِّناً لعنصرٍ إلهيٍّ.
- يجب أنْ يعرفَ النَّاس مَنْ هُمْ, ومِنْ أينَ أتَوْا, وكيف وصلوا الى هنا, وكيف يمكنهم العودة الى الحالةِ الأصليَّةِ. ويسوعُ هو مَنْ يَمنحُ هذهِ المعرفةَ.

لِقرونٍ, جمعَ العلماءُ معلوماتٍ عنْ الغنوصيَّة ممَّا قالَهُ أعداءُ الغُنوصيّة منْ آباء الكنيسة عَنْها.

- علـى سـبيل المثـال, إيرينـاؤوسُ, أسـقفٌ في مدينـة جـول في حـوالي العـام ١٨٠م, كتـب عمـلاً مـنْ خمسـة مجلـدات ليواجـهَ آراء جماعـاتٍ غنوصيّـة مختلفـة.
- مؤلّـفٌ اسـمهُ تيرتيليـان(١) مشـهور كمدافـعٍ عنْ المسـيحيَّة وكمجـادلٍ ضـدَّ أشـكال المسـيحيّة التـي اسـتنكرها, كتـبَ العديـدَ مـنْ الأُطروحـاتِ المعارضـة للغُنوصيَّـة حـوالي العـام ٢٠٠م.
- المشـكلةُ في هـذهِ المصـادر هـي أننَّـا لا يمكـن أبـداً أنْ نثـقَ بأعدائنـا في عـرض آرائنـا عـلى نحـوٍ عـادلٍ حتَّـى مـع افـتراض أنهَّـم قـدْ فهمـوا وجهـاتِ نظرنـا.
- لذلـك السـبب, نحـنُ محظوظـون جـداً حـين عُثِـرَ في العـصر الحـالي عـلى عـددٍ مـن الكتابـاتِ الغُنوصيَّـة- كتبهـا غنوصيُّـونَ لغنوصييِّـينَ، وهـي تفـترضُ وجهـةَ نظـرٍ غنوصيَّـةٍ. لـمْ يثبـتْ اكتشـافٌ في درجـة أهميَّـةِ الاكتشـافِ الـذي ظهـرَ أنَّـه صدفـةٌ تامَّـةٌ في العـام ١٩٤٥م.
- في ذلـك العـام, مجموعـةٌ صغـيرة مـن الفلاحـين كانـوا يحفـرون مـنْ أجْـل سـماد في منطقـة نائيـة خـارج مدينـة نجـع حمّـادي في مـصرَ اكتشـفتْ مصادفـةً جَـرَّةً حَـوَتْ ثلاثـة عـشر كتابـاً بأغلفـةٍ جلديَّـةٍ.
- وآخِـر الأمـرِ, بيعـتْ الكُتـبُ لتاجـر أثَريـاتٍ وأخَـذتْ

---

(١) كاهـن قرطاجنـة، يعـد أب علـم اللاهـوت في الكنيسـة اللاتينيـة، وأحـد المدافعـين المسـيحيين الأوائـل. (المراجـع)

طريقهـــا الى متحـــفٍ في مـــصر حيـــثُ عـــرف العلمـــاء وجودهـــا وقدمـــوا لدراســـتها.

- كانـــتْ الكتـــبُ مكتوبـــة عـــلى الـــبردي في القـــرن المســـيحيِّ الرابـــع. لكـــنَّ الكتابـــاتِ التـــي احتوتهـــا كانـــتْ قـــدْ أُنتجَـــتْ في وقـــت أبكـــر بكثـــير، ويُحتَمـــل أنَّ أغلبهـــا قَـــدْ كُتِـــبَ في القـــرن الثانـــي الميـــلادي.
- إجمـــالاً، ثَمَّـــةَ اثنتـــان وخمســـون مـــنْ الكتابـــات في هـــذه الكتـــب. لكـــنَّ البعـــضَ منهـــا نُسَـــخٌ؛ وعـــلى هـــذا فَثَمَّـــةَ مـــا مجموعُـــهُ ســـتةٌ وأربعـــون عمـــلاً مختلفـــاً- أغلبهـــا كُتُـــبُ غنوصيَّـــة.
- عـــلى أســـاسٍ مـــنْ هـــذا النـــوع مـــن الاكتشـــافات، وبربطهـــا مـــع كتابـــات الخصـــوم الذيـــن هاجمـــوا الأديـــان الغنوصيَّـــة، نســـتطيع قـــولَ بعـــض الأمـــور حـــولَ مـــا اعتقدتْـــهُ الجماعـــاتُ الغنوصيّـــةُ المتنوعـــة مـــنْ اعتقـــادات.
- الـــرأيُ الأســـاسُ الـــذي يعتقـــده الغنوصيّـــون هـــوَ أنَّ هـــذا العالَـــمَ المـــاديَّ الـــذي نعيـــش فيـــه ليـــس خَلْـــقَ الإلـــهِ الواحـــدِ الحـــقِّ، بَـــلْ، هـــو نـــوعٌ مـــنْ كارثـــةٍ كونيّـــةٍ نحتـــاج الى النجـــاةِ منهـــا بوســـاطة الأرواحِ الإلهيَّـــةِ العالقـــةِ في الأجســـاد البشريّـــة. تحصـــلُ النجـــاةُ بـــإدراك الانســـانِ هوِّيتَـــهُ الحقيقيَّـــة، وبإدراكـــهِ حقيقـــةَ هـــذا العالَـــمِ، وحقيقـــةَ العالـــمِ الإلهـــيِّ. تأتـــي هـــذه المعرفـــةُ المُخَلِّصـــةُ مِـــنْ المَســـيح الإلَهـــيّ الـــذي يأتـــي مـــنْ الأعـــلى لينقـــلَ الحقيقـــة التـــي يمكـــن أنْ تحرِّرَنـــا.
- رُبمـــا يَجعـــلُ هـــذا الإجمـــالُ الغنوصيِّـــين مشـــابهين لمارســـيون، لكنَّهـــم كانـــوا مختلفـــينَ عَنْـــه عـــلى نحـــوٍ جـــذريٍّ. وكمـــا

سـنرى, هُـمْ لَـمْ يعتقـدوا بإلهَـيْن اثنَـيْن فَحسْـبُ, بَـلْ بِعَـددٍ مِـنْ الآلهــة, وخلافــاً لمارسـيون, اعتقــدوا أنَّ مشــكلة الوجـود هــي أنَّنـا قَـدْ جِئنـا مِـنْ عالَـمٍ مختلـف ووقعنـا هنـا في فـخِّ أجسـادنا ونحتـاج إلى الإفـلات- ليـسَ بالإيمـان بالمسـيح, بَـلْ بالوصـولِ إلى معرفـة الأسرار التـي يمكـنُ أنْ تُحررِّنـا.

الأساطير الغُنوصيّة

- النصـوصُ الغُنوصيَّـةُ التـي لدينـا تنقـل عـلى نحـوٍ متكـررٍ هـذهِ الأفـكارَ بإخبارهـا أسـاطيرَ (Myths) لتُفـسِّرَ كيـفَ وُجِـدَ العالَـمُ الإلهـيُّ, وكيـفَ خُلِـقَ العالَـمُ, وكيـف عَلِقَـتْ عنـاصرُ الإلهـيِّ هنـا.
- في أغلـبِ هـذه الأسـاطير, كانَ هنـاك, أصْـلاً, كائـنٌ إلهـيٌّ واحـدٌ رُوحـيٌّ عـلى نحـوٍ خالـصٍ, إلـهٌ لا يُـدرَكُ ولا يمكـن معرفتُهُ.
- مِـنْ هـذا الواحـدِ, فاضـتْ كائنـاتٌ إلهيَّـةٌ أُخَـرَ سـكَنَتْ العالَـمَ الإلهـيَّ. هـذهِ الآلهـةُ, وتُدعـى أحيانـاً أيونـات (aeons)، لهـا أسـماءٌ مألوفـةٌ وأسـماءٌ غـيرُ مألوفـة مـنْ قبيـلِ رُوح, ومسـيح, وحِكمْـة, الى جانـب الكائـن ذاتـي النشـوء والباربيلـو[1] , وسـاكلاس[2] .
- في العديـدِ مـنْ الأنسـاق (systems), يقـوم أيـونُ الحِكْمـة

(١) Barbélo: معبودة أنثوية. ينتمي يسوع اليها، بحسب الغنوصية عن طريق (شيث)؛ الابن الثالث لآدم الذي ينتمي إليها. وبذا فيسوع ليس ابن إله العهد القديم. (المراجع)

(٢) روح أو ملاك يخرج من الغيمة، وهو الذي «خلق» آدم وحواء. (المراجع)

بوظيفـةٍ مُهمَّـةٍ, ولسـببٍ مـا, حـدثَ للحِكْمـة[٣] أنْ انفصلـتْ عـنْ العالـمَ الإلهـيِّ, وَوَلـدتْ آلهـةً أُخَـر خـارجَ العالَـم الكامـل للإلوهيَّـة. كانـتْ هـذهِ الكائنـاتُ الأدنـى (المولـودة للحِكْمـة) مشـوَّهةً, وجاهلـةً, وأحيانـاً, شرِّيـرةً.

• واحـدٌ مـن هـذهِ الكائنـات, غالباً مـا يُدعـى بالدابـوث, كانَ هـوَ الـذي خلـقَ العالَـمَ المـاديَّ، وأعلـن عـلى نحـو الغَلَـطِ أنَّـهُ كان الإلـهَ الوحيـد. بعبـارةٍ أُخـرى, هـذا الإلـهُ الأدنـى والجاهـلُ كان إلـهَ العهـدِ القديـم, إلـهَ اليهـود, إلـهَ الخَلْـقِ.

• هـذا الإلـهُ وتابعـوهُ خطَّطـوا بطريقـة مـا مـنْ أجْـل أسْرِ عنـاصر إلهيَّـةٍ وتقييدهـا في هـذا العالـم في الأجسـاد البشريَّـة. هـدَفُ الأديـانِ الغنوصيَّـةِ هـو تحريـر تلـكَ الـشرارةِ الإلهيَّـة.

• يحـدثُ هـذا عندمـا تُعـرَفُ حقيقـةُ العالَـمِ الالهـيِّ, وحقيقـةُ هـذا العالـم, وعلـوقُ الـشرارات الإلهيّـة في هـذا العالـم. ويكشـفُ هـذهِ الحقيقـةَ أيـونٌ إلهـيٌّ يَنـزل عـلى نحـوٍ مؤقـتٍ لِيسـكنَ جسـداً بشريّـاً مـنْ أجـلِ تعليـم المعرفـة السِّريَّـة التـي يمكـن أنْ تأتـي بالحُريَّـة.

• اعتقـدَ الغُنوصيُّـونَ بـأنَّ المسـيحَ الإلهـيَّ حـلَّ في جَسَـدِ يسـوعَ عنـدَ تعميـدِه مـنْ أجْـل كشـفِ المعرفـةِ الضروريَّـةِ للخـلاص, بعـدَ ذلـك, غـادر يسـوع في المرحلـة التـي صُلِـبَ فيهـا لأنَّ الإلهـيَّ لا يمكـن أنْ يتعـذَّبَ.

• في هـذا الـرأي, يسـوعُ المسـيح هـو كائنـانِ: جَسَـدٌ بـشريٌّ

(٣) هذا الأيون مؤنّثٌ كاسم الحكمة في اليونانيّة. (المترجم)

مـعَ أيـون إلهـيٍّ مقيـمٍ فيـهِ عـلى نحـوٍ مؤقَّـت. يمكننـا تسـميةُ هـذا الفهْـم بأنّـه كريسـتولوجي فَصْـليٌّ لِأنَّـه يفصـلُ الإلهـيَّ عـنْ البـشريِّ في المسـيح ويزعـمُ أنَّهمـا, في الحقيقـة, كيانـانِ منفصـلانِ.

- الرؤيةُ النهايويّة (الأُخرويَّة) القبطيَّة لدى بطرس
- هـذا النـوع مـن الكريسـتولوجي الفَصْـليٍّ يمكـن رؤيتُـه بوضُـوح خـاصٍّ في واحـدة مِـنْ أكثـر الأُطروحـات إثـارةً للاهتمـام اكتُشِـفَتْ في نجـعْ حمـادي, الرُّؤيـة النهايويّـة القِبْطيَّـة لبطـرس.
- يُسـجِّل هـذا الكتـابُ رُؤيـةً نهايويَّـة, أو وَحْيـاً, يُزعَـمُ أنَّـهُ أُعطـي لِبطـرس وكُتِـبَ بصيغـة الشـخص الأوَّل (المتكلـم).
- بينمـا يقـفُ بطـرسُ عـلى تَّـلٍّ متحدِّثـاً مـع المسـيحِ , يـرى يسـوعَ في الأسـفل يُلقَـى القبـضُ عليـه ويُصلَـب. بعـدَ ذلـك, يـرى مسـيحاً آخَـر عـلى الصليـب ضاحـكاً. وعـلى نحـوٍ يمكـن فهمُـه, يرتبـك بشـدَّةٍ ويسـألُ المسـيحَ الـذي يتحـدَّثُ مَعَـهُ كيـفَ يمكـن أنْ يحـدثَ كلُّ هـذا.
- يخـبرهُ المسـيحُ أنَّـهُ في أسـفل التـلِّ, تُصلَـب قشرة (جَسَـد) يسـوع الإنسـان, لكـنَّ الحقيقـةَ هـي أنَّ المسـيحَ الحـيَّ لا يمكـن إيـذاؤه, وهكـذا, ذلـكَ المسـيحُ الـذي فـوق الصليـب يضحـكُ مِـنْ أولئـك الذيـن ظنّـوا أنّهـم قادريـن عـلى قتلِـهِ.
- إذاً, هـذا كريسـتولوجي فَصْـليٌّ فيـه يُقيـم المسـيحُ الإلهـيُّ مؤقتـاً في يسـوع الإنسـان مـدَّةَ خدمتِـهِ, كهانتـهِ, ليخـبرَ بحقيقـة الخـلاص.
- وكمـا سـنرى في محاضرتنـا المقبلـة, هـذهِ الآراءُ الغُنوصيَّـةُ الفَصْليَّـةُ, الى جانـبِ (هرطقـاتٍ أُخَـرَ) قُـضِيَ عليهـا في آخِـر الأمـرِ

إذْ استمرَّ الجدلُ على العقيدة وقاوم المسيحيّون بإصرار أيَّةَ فكرةٍ تقولُ بأنَّ المسيحَ كان كائنين بدلاً مِنْ واحدٍ.

الفصل التاسع عشر

الطبيعةُ الثنائيةُ للمسيح-النموذج البدْئي الأورثوذوكسيّ

غالبـاً مـا يُسـمِّي العلمـاءُ مسـيحيّي القرنَـيْن الثانـي والثالـث الميـلاديّ الذيـن حملـوا الآراء التـي عُرِفَـتْ فيمـا بعـد بأنّهـا أرثوذوكسـيّة[1] , يُسـمّونهم بالأورثوذوكسـيّين البَدْئيّـين (proto-orthdox). أصرَّ آبـاءُ الكنيسـة الأورثوذوكسـيّين الأوائـلُ عـلى إقـرار كُتـبٍ مقدَّسـة متنوعـةٍ، وعـلى القبـولِ بـآراءٍ لاهوتيَّـةٍ معيَّنـةٍ تبـدو متناقضـةً في الظاهـر، ممَّـا أدّى الى أنـواع مِـنْ الفَهـمْ متناقضـةٍ بدرجـةٍ عاليـة لـكلٌّ مـنْ المسـيحِ واللـهِ. أُقِـرَّ بأنَّ المسـيحَ بـشريٌّ وإلهـيٌّ في الوقـتِ ذاتـهِ, مـع ذلـكَ نُظِـرَ اليـه كشـخصٍ واحـدٍ وليـسَ كشـخصَيْن. فضـلاً عـنْ هـذا, أُقِـرَّ بـأنَّ الأبَ إلـهُ وأنَّ المسـيحَ إلـهُ, مـع ذلـك أصرَّ الأورثوذوكسـيّون البَدْئيّـونَ عـلى أنَّ ثمَّـةَ إلهـاً واحـداً لا غـيرَه. في هـذهِ المحـاضرة, سـنتقصى تطـوّرَ هـذهِ الآراءِ المتناقضـة.

---

(١) أي قويمة, ممثلة للخطّ الصحيح. (المترجم)

تعريفُ الهرطقةِ والأورثوذوكسيّة

ينحــدر مصطلــح الأورثوذوكســيَّة (orthdoxy) مِــنْ كلمتــين يونانيّتَــيْن تعنيــان حرفيَّــاً (العقيــدة الصحيحــة)، في حــين ينحــدر مصطلــح هرطقــة (Heresy) مِــنْ كلمــة يونانيَّــة تعنــي حرفيَّــاً (اختيــار).

وهكــذا, فــإنَّ الأشــخاصَ هــمْ أصحــابُ عقيــدةٍ صحيحــة (أورثوذوكــس) إنْ استمســكوا بالاعتقــادِ الصحيــح, وهــمْ هراطقــةٌ إنْ اختــاروا اعتنــاق اعتقــادٍ آخَــرَ.

إنْ فُهِــمَ هــذان المصطلحــان بالمعنــى الحــرفيّ فهمــا غــيرُ مفيديــن كتعريفَــيْن تاريخيــيْن لجماعــةٍ مســيحيَّةٍ أو أُخــرى.

في المعنــى التقنــي, لا أحــدَ يعتقــدُ أنَّــه قَــدْ اختــارَ أنْ يؤمِــنَ بــشيءٍ غــيرِ صحيــح. كلُّ النَّــاس يعتقــدونَ أنَّ معتقداتِهــم صحيحــةٌ, وهذا يعنــي أنَّ الجميــع قويمــو الاعتقــاد (orthdox).

فضــلاً عــن ذلــك, لا يقــدر المؤرِّخــون عــلى الحكــم عــلى صحــةِ وخطــأ رأيٍّ لاهوتــيٍّ مــا. فــلا يمكنهــم الــكلامُ إلّا حــولَ مــا اعتقدتْهُ جماعــاتٌ مختلفــة, وحــولَ أيِّ الجماعــات قــدْ انتهــى بهــا الأمــر ليكــونَ لهــا العــددُ الأعظــمُ مِــنْ الأتْبــاع.

وهكــذا, اســتعملَ مؤرِّخــو المســيحيَّة الأُولى هذَيْــن المصطلحَــيْنِ, ببســاطة, ليشــيروا بهمــا الى الجماعــة التــي فــازتْ في نزاعــاتٍ لاهوتيّــةٍ متنوعــةٍ مُســمِّينَ هــذه الجماعــة باســم أورثوذوكــس (صحيحــي الاعتقــاد) ســواءٌ أكانــتْ آراؤهــا (صحيحــة)، أمْ لــمْ تكــنْ- واســتعملوها في الاشــارة الى الجماعــات التــي اتَّخــذت

المواقف البديلة الأُخَر- مسمين إيّاها هرطقيَّةً, سواءٌ أكانتْ آراؤهم مغلوطة أمْ لمْ تكنْ.

العلاقةُ بَيْنَ الأورثوذوكسيّة والهَرْطَقَة

- يرتبطُ الاستعمالُ التاريخيُّ لهذين المصطلحين معَ فهم جديد للعلاقةِ بين الأورثذوكسيّة والهرطقة- وهو جديدٌ, على الأقلّ, منذُ القَرنْ العشرين.
- دعَمَ الرأيَ المعياريَّ الأقدم المؤرخونَ المسيحيّون الأوائل منْ قبيل يوسيبيوس أبي التاريخ الكنَسيِّ منْ القرن الرابع الميلاديِّ.
- في شرحهِ المكوَّن من عشرة مجلدات عَنْ الثلاثمائة عام من العقيدة المسيحيَّة, يُلخصِّ يوسيبيوس فهماً للأورثوذوكسيَّة (أي, فهمه الخاصّ للعقيدة) على أنَّهُ التعاليمُ الأصليَّةُ ليسوع ورُسُلِهِ ورأيُ الأغلبيَّةِ من المسيحيين في كلِّ الأزمنة.
- فَهَمَ يوسيبيوسُ الهرطقاتِ على أنَّها فاسدةٌ وأنَّ الشياطينَ ألهمتْها الناسَ, وأنَّها أفكارُ القِلَّة قَدْ اعتنقها معلِّمونَ كاذبونَ وخبثاءُ من ذوي النوايا السيئة.
- ذلك الرأيُ قَدْ قُلِبَ على رأسِهِ في العام ١٩٣٤ بالعمل الذي قام به والتر باور (Walter Bauer).
- رأى باورُ- وحاولَ أنْ يُبيّن- أنَّ الأورثوذوكسيَّةَ لمْ تكنْ الرأيَ الأصليَّ ولا رأيَ الأغلبيَّة في المسيحيَّة في القرون الأولى, بَلْ, كانتْ هي نفسُها تطوّراً متأخِّراً فيها.
- يرى باور أنَّه في أجزاء مختلفة منْ المنطقة المسيحيَّة,

كانَ ثَمَّـةَ أشـكالٌ مختلفـة (أصليَّـةٌ) للإيمـان, وفي معـارك التعصّب غلـبَ شـكلٌ واحدٌ.

- وحـدثَ أنْ كانَ هـذا الشـكلُ الغالـب هـو الجماعـة التـي كان لهـا مَعْقِـلٌ في رومـا, وقَـدْ قُصِـدَ بهـذا أنَّـهُ في القرنـين الثالـث والرابـع ظهـرتْ الكنيسـة الكاثوليكيَّـة. وتعنـي كلمـة كاثوليـك (Catholic) (كونيّـاً-universal), وعـلى هـذا, فهـذهِ الكنيسـة هـي, كمـا يُزعَـم, كنيسـة كلِّ العالَـمِ.
- العديـدُ مـنْ تفاصيـل مـا قـام بـه بـاور مـنْ إعـادةِ تركيـبِ الأورثوذوكسـيَّةِ الأولى والهَرْطقَـةِ هـي موضـع خـلاف في الوقـت الحـاضر, لكـنَّ الصـورةَ الأساسـيَّةَ ظَلَّـتْ قائمـةً عـلى نحـوٍ حَسَـنٍ عَـبْرَ عقـود منـذُ عملـهِ.
- لـمْ يُعلِّـمْ يسـوعُ وتلامذتـه الآراءَ التـي أصبحـتْ مركزيَّـةً في الإيمـان المسـيحيِّ في القـرْن الرابـع.
- تطـوَّرتْ هـذهِ الآراءُ عَـبْرَ الزمـنِ إذْ هـزَمَ المسـيحيّون أسـاليبَ فَهْـمِ الإلـهِ, والخَلْـقِ, والكتُـبِ المقدَّسـةِ, والمسـيحِ, والـرّوحِ, والخـلاصِ.
- وظهـرتْ مجموعـةٌ مـن الآراء منتـصرةً, ونحـن ندعـو حامـلي هـذه الآراء المتأخـرة أُورثوذوكسـيّين.
- لكـنْ, بِـمَ ندعـو سـابقيهم, أولئـك الذيـن حملـوا آراء مشـابهةً, غـيرَ واضحـة الشـكل, في العقـودِ والقـرون المبكـرة؟ أصبـح مـنْ المعتـاد أنْ يُدعَـوْا الأورثوذوكـس البَدْئيّـين, أو الأوَّليِّـين (proto-orthodox).

- أصرَّ آبــاءُ الكنيســةِ الأوليــين عــلى إقــرار آراءٍ كتابيَّــةٍ متنوعةٍ حــولَ المســيح تبــدو متناقضــةً فيمــا بينها.
- في بعــضِ الفقــرات مــنْ الكُتُــب التــي كانــتْ ســتصير العهــدَ الجديــد, يُناقَــش موضــوعُ يســوعَ كإلــهٍ (مثــلاً, في إنجيــل يوحنّــا). في فقــرات أُخــرَ, هــو إنســانٌ عــلى نحــوٍ واضــح (كمــا في إنجيــل مرقــص). وأصَرَّ الأورثوذوكــس الأوليّــين عــلى أنّــه كان الاثنــين؛ إلهــاً وبــشراً.
- وهكــذا, ظهــرَ إقــرارٌ متناقــض بــأنَّ المســيحَ كان بــشراً وإلهــاً في الوقــت نفسِــه- ليــسَ نصــفَ إلــهٍ ونصــفَ بــشَرٍ- بَــلْ هــو إلــهٌ كامــلٌ, وإنســانٌ كامــلٌ.
- في الوقــتِ ذاتــه, كانَ عــلى الأورثوذوكســيِّين الأوليــين أنْ يدافعــوا عــنْ أنفســهم ضــدَّ الآراء الهرطقيَّــة التــي أكــدَّتْ جانبــاً واحــداً لمــا رَأَوْهُ دعــوةً صحيحــةً عــلى حســابِ الجانــبِ الآخــر. لكــنَّ المشــكلةَ أنَّ مــا يُدعــى بالهرطقــاتِ المختلفــة- وكانَ يجــبُ مهاجمتهــا كُلُّهــا- قــدْ حملَــتْ مزاعــمَ متناقضــة عــلى الوجــه الدقيــق.
- ومعنــى ذلــك أنَّ الأورثوذوكســيِّين الأوليــين هاجمــوا آراء جماعــة هرطقيّــة بإقرارهــم آراءً مُهمَّــةً لجماعــةٍ أُخــرى, في الوقــت ذاتِــه, هاجمــوا آراء الجماعــةِ الثانيــةِ بإقرارهــم آراءَ الجماعــة الأولى. والنتيجــةُ أنَّ الآراء الهرطقيَّــةَ قَــدْ قُبِلَــتْ لِمــا أقــرَّتْ مــنْ آراءٍ لكنَّهــا هُوجِمَــتْ لِمــا رَفضتْــهُ.

- على سبيلِ المثال, كانَ ثَمَّةَ مسيحيُّونَ استمروا بالتمسُّك برؤية التبنيّ التي ترى أنَّ المسيح كان بشَراً مِنْ لحمٍ و دَمٍ على النحو التام, وإنَّه لم يصبح إلهيّاً إلا عندَ بعثهِ من الموت. أقرَّ الأورثوذوكسيُّون الأوَّليون بأنَّ المسيحَ كان بشَراً, لكنَّهم رفضوا الفكرةَ القائلة بأنَّه خلال مُدَّة حياته لم يكنْ إلهاً أيضاً.
- قالَ الدوسيتيّون بأنَّ المسيح كانَ إلهيَّاً لا بشَراً. وافقَ الأورثوذوكسيّون الأوَّلون على إنَّه كان إلهيّاً, لكنَّهم رفضوا فكرةَ عدمِ كونهِ بشَراً أيضاً.
-
- قال أصحاب مذهب الفَصْلِ بأنَّ المسيح كان إلهيَّا وبشريَّاً لأنَّهُ كائنانِ اثنانِ. وافق الأورثوذوكسيّون الأوليون على أنّهُ كان إلهيَّاً وبشريَّاً, لكنّهم رفضوا فكرة كونِهِ شخصَيْنِ.
- مَرَّةً أُخرى, كانتْ النتيجةُ طرْحاً كريستولوجيّاً متناقضاً: المسيح كان إلهيَّاً وبشرياً في الوقتِ ذاتِهِ, لكنَّه كان شخصاً واحداً لا شخصَيْنِ.

الفهمُ المتناقضُ لله

- هذا الفهْمُ المتناقض للمسيحِ كان في توازٍ مع فهْم متناقضٍ للهِ.
- في اعتقاد الأورثوذوكس الأوليِّين, اللهُ هو الإلهُ, لكنَّ المسيحَ, ابنَهُ, كانَ إلهاً أيضاً. ألا يعني هذا وجود إلهَيْنِ؟
- لكنْ, في اعتقاد الأورثوذوكس الأوليين, لا يمكن وجودُ

إلهَيْنِ لأنَّ الكتابَ المقدَّس يُصرُّ على وجود إلهٍ واحدٍ لا غيرَ (إشعيا ٤٥:٢١).

- وهكذا, أصرَّ الأورثوذوكس الأوليون على أنَّ اللهَ إلهٌ, والمسيحَ إلهٌ, والرُّوحَ القُدُسَ إلهٌ, لكنْ, لا يوجد إلّا إلهٌ واحدٌ.

جاستن الشهيد

- يمكن رؤيةُ مثلِ هذهِ الآراء المتناقضة لدى العديدِ منْ المؤلِّفين الأورثوذوكس الأوليين البارزينَ منْ القرنَيْن الثاني والثالث ومِنْ ضمنهم جاستن الشهيد[1] الذي طوَّرَ آراءً منْ الآراء فصيرَّها مجموعةَ تأملاتٍ أكثرَ تعقيداً حولَ المسيح.
- رأيُ جاستن هو أنَّ المسيح كان ملاكَ الربِّ الذي كانَ قَدْ اتخَّذَ أحياناً شكلاً بشريّاً في الكتاب المقدسَّ العِبْريّ, لكنَّهُ فعلاً قَدْ صار كائناً بشريّاً مِنْ لحمٍ ودَمٍ على نحوٍ كاملٍ عندما تجسَّدَ كيسوع المسيح.
- أكثر منْ هذا, كان المسيحُ كلمةَ الله الذي صار بشراً, وبهذا فَقَدْ كانَ إلهاً و إنساناً في الوقت نفسِهِ.

أوريجين الإسكندراني

(١)جاستن مارتر، المعروف أيضا بالقديس جاستن، أو يوستينوس الشهيد، (١٠٠-١٦٥م): كان مدافعاً مسيحياً مبكرًا، ويعتبر المترجم الأول لنظرية اللوغوس في القرن الثاني. فُقدت معظم أعماله، ولكن اثنين من الدفاعيات وحواراً بقوا على قيد الحياة. الدفاع الأول، كتابته الأكثر شهرة، تدافع بحماس عن أخلاق الحياة المسيحية، ويقدم حججاً أخلاقية وفلسفية مختلفة لإقناع الإمبراطور الروماني أنطونيوس بيوس، ليتخلي عن اضطهاد الطائفة الوليدة. (المراجع)

• في بعض المواقف حاول المفكّرونَ من الأورثوذوكسيّة الأولى أنْ يفكروا أبعدَ منْ التناقض البسيط. بينَ هؤلاءِ اللاهوتيِّينَ الأوائل, لمْ يكن مَنْ هو ألمعُ وأكثرُ إثارةً للجدَل مثلْ أوريجين الإسكندرانيّ.

• وُلِدَ أوريجين Origen وتربَّى في الإسكندرية كمسيحيٍّ، وكان شاباً مُبكِّراً في نضجه على نحوٍ غير معتادٍ. وقد قُلِّدَ منصبَ رئيس مدرسة لتدريب الداخلين في المسيحيَّة وهو في سِنِّ المراهقة.

• وكراشدٍ, أصبح واحداً منْ المؤلِّفين المُكثرينَ في كلِّ تاريخ المسيحيَّة, وَقَدْ ورَدَ أنَّه أنتج ما يُقارب الألفَيْنِ منْ الكتابات.

• كان أوريجين أوَّلَ مسيحيٍّ حاولَ أنْ يطوِّرَ نوعاً من النَسَق اللاهوتيّ الذي يفسِّر الفَهْمَ الأورثوذوكسي للإله, والمسيح, والخلاص. تجدُ هذا النَسَقَ في كتاب يُدعى (حول المبادئ الأولى) كُتِبَ حوالي العام٢٢٩ للميلاد.

• اعتقد أوريجين أنَّ المسيحَ كان قَدْ وُجِدَ معَ اللـه في الأزَلِ كحكمةٍ للـهِ وككلمةٍ لهُ. بتعبيرٍ آخَرَ, أقانيمُ اللـهِ تلكَ كانتْ واقعاً هي المسيحُ ذاتُهُ.

• لكنْ, إنْ كانَ المسيحُ إلهاً كاملاً كحكمةِ اللـهِ الخاصَّةِ وكلمتِهِ, كيفَ يمكنه أنْ يكون بشَراً بدون تنازلٍ عنْ شيءٍ منْ إلوهيَّتِهِ؟ وكيفَ يمكنه أنْ يظلَّ إلهاً دونَ التنازل عنْ بشريَّتِهِ؟

• وحَلُّ أوريجين هو ما أدى في الآخِرِ, بعد قرون منْ وفاتِهِ, الى إدانته كمُهرطِقٍ, على الرغمْ منْ أنَّه في أيامِهِ

كانَ يُنظَرُ اليه كنصير مُبرَّزٍ للأورثوذوكسيَّة. وحلُّهُ يمتدُّ في جذورِهِ الى تعاليمهِ عنْ (النفوسِ السابقةِ الوجودِ), أيْ, فكرةُ أنَّ النفوسَ البشريَّة قَدْ وُجِدَتْ قبلَ أنْ تُولدَ في هذا العالَمِ.

- وفي رأيِهِ, منذُ زمنٍ بعيدٍ, خلقَ اللهُ عدداً كبيراً من النفوسِ Souls- أشياءَ ذكيَّةً- التي كانتْ ستقضي وجودَها مُتأملةً في اللهِ وعابدةً لَهُ من خلالِ كلمتِهِ وحكمتِهِ.
- لكنَّ النفوسَ كانَ لها حريّةُ الإرادة, والواقعُ, أنَّها جميعاً هجرتْ التأمُّلَ في اللهِ. و كعقابٍ, وَضَعَها اللهُ في أجسادٍ. النفوسُ التي تركتْ التأمُّل لوقتٍ قصيرٍ أصبحتْ ملائكةً, وتلكَ التي تركتْهُ لأمدٍ طويلٍ جداً صارتْ شياطين, والنفوسُ التي هي بَيْنَ الاثنين صارتْ بشَراً.
- نَفْسٌ واحدةٌ فَحَسْبُ لمْ تضلَّ فتترك تأمُّلَ اللهِ هي كلمةُ اللهِ وحكمتُهُ. صارتْ هذهِ النفسُ (واحدةً) معَ المسيحِ في هذا التأمُّلِ الأبديِّ, مثلَها تماماً كقطعةِ حديدٍ وُضِعَتْ في نار منْ الفحمِ المُتَّقدِ, بعدَ وقتٍ طويلٍ لا يمكن تمييزُ الحديد منْ النار.
- هذهِ النَفْسُ الواحدةُ هي مَنْ اتَّخذت اللحْمَ شكلاً لها وصارتْ متجسدةً منْ خلال مريم العذراء. وهكذا, فليسوع نَفْسٌ عاقلة, ككُلِّ البشر, معَ ذلكَ هو إلهيٌّ على النحوِ الكاملِ كواحدٍ ممتزجٍ تماماً معَ كلمةِ وحكمةِ اللهِ.
- هذهِ محاولةٌ ذكيَّةٌ وبارعةٌ على نحوٍ مدهش لتفسير كيفَ أمكنَ أنْ يكون المسيحُ بشراً وإلهيَّاً في الوقت عينهِ.
- على الرَغْم منْ ذلك, أُدينتْ هذهِ المحاولة في الآخِرِ.

والسببُ كان ,في جزء منه, على أساسِ أنَّه إنْ كانتْ النفوسُ قَدْ ضاعتْ في الماضي البعيد, فلا يبدو ثَمَّةَ ضمانٌ في أنْ لا تضيعَ مَرَّةً أخرى بعدَ أنْ ينقذها المسيح, فذلكَ كان يعني أنَّ الخلاصَ إجراءٌ مؤقَّتٌ لا غيرَ.

- لكنْ, في رأي آباء الكنيسة, خلاصَ المسيح ذو نتائج دائمةٍ وأبديَّةٍ. وعلى هذا, كان عليهم تحديدُ طريقةٍ أُخرى لتفسيرَ كيفَ كان يسوع المسيح بشَراً وإلهيَّاً. سنرى كيف فعلوا ذلك في المحاضرات الآتية.

الفصل العشرون
ولادة التثليث

لا يـزالُ أفضـلُ اللاهوتيِّـين يصـوِّرون عقيـدةَ التثليـث المسـيحيَّة في صـورةِ سِرٍّ. ويعنـي هـذا, في جـزءٍ مِنْـهُ, لا يمكـنُ اسـتيعابُ هذهِ العقيـدةِ ولا فَهْمُهـا بالعَقْـلِ. ثَمَّـةَ ثلاثـةُ أشـخاص كلٌّ واحـدٍ منهـم إلـهٌ. الأبُ إلـهٌ, المسـيحُ إلـهٌ, والـرُّوحُ القُـدُسُ إلـهٌ. لكـن يوجـدُ إلـهٌ واحـدٌ. في هـذهِ المحـاضرة سـنتفحصُ كيـفَ وُجِـدَ هـذا الاعتقـاد.

الرُّوحُ القُدُسُ

- لحـدِّ هـذا الموضـعِ مِـنْ دراسـتنا, كُنَّـا نتحـدَّث حـولَ اللـهِ الأبِ, وحـولَ الكيفيَّـة التـي صـار عليهـا المسـيح أيضـاً إلهـاً. لكنْ, مِـنْ أيـنَ أتـتْ الـرُّوحُ القُـدُسُ؟
- يذكـرُ الكتـابُ المقـدَّس العِـبْريُّ أحيانـاً رُوحَ اللـهِ, التـي يبـدو أنَّهـا جُـزءٌ مِـنْ اللـهِ (سـفر التكويـن ١:٢).
- اعتقـد اللاهوتيُّـونَ المسـيحيُّون أنَّ (الـرُّوحَ) هـي كائـن. وهـي أيضـاً, إلـهٌ لكنَّـهُ ليـسَ اللـهُ الـربُّ القديـر, ليـسَ الأبَ

نفسُــهُ؟

- وُجِـدَ مــا يدعــم هــذا في كلمــات ليســوع حــول مجــيء (الــرُّوح) حــالَ أنْ يُغــادِر العالَــمَ (إنجيــل يوحنــا ١٤, ١٦; أعمــال الرُسُــل ٢).
- إذاً, فُهِمَــتْ الــرُّوحُ عــلى أنَّهــا الكائــنُ الإلهــيُّ الثالــثُ الى جانــب الأبِ والأبــنِ. لكــنْ, كيــفَ أمكــن لهــؤلاءِ أنْ يكونــوا جميعــاً كائنــاتٍ إلهيَّــةٍ إنْ كانَ فعــلاً ثَمَّــةَ إلــهٌ واحــدٌ؟ هــذا هــو مبــدأ التثليــثِ وفيــه ثلاثــةُ أشــخاص متمايزيــن؛ وكلٌّ واحــدٍ منْهــم إلــهٌ, ومــعَ ذلــك فــلا يوجــدُ إلّا إلــهٌ واحــدٌ.

تطوُّر التثليث

- مِــنْ الخطــأ الاعتقــادُ بــأنَّ أيَّ رأيٍ عــنْ التثليــث كانَ قَــدْ وُجِــدَ في تعاليــم يســوع أو حتّــى في أيٍّ مــنْ كتابــات العهــدِ الجديــد. هــذهِ الكتابــاتُ اســتعملَها فيمــا بعــدُ آبــاءُ الكنيســة في محاولــةٍ منْهــم في حســم الموقــف حــول كيــف يكــون المســيحُ واللــهُ إلهَــيْنِ, إنْ كانَ لا يوجــد إلّا إلــهٌ واحــدٌ. لكــنْ لا يوجــد في أيِّ موضــعٍ مِــنْ العهــد الجديــد- ولا حتَّــى في القــرون الثلاثــة للكنيســة ثلاثــةُ أشــخاص كلُّهــم آلهــةٌ, ومــعَ ذلــكَ ثَمَّــةَ إلــهٌ واحــدٌ.

يَبْــدو أنَّ الكتــاب المُقــدَّس العِــبرْيَّ يصــفُ الــرُّوح القُــدُس بأنَّهــا كائــنٌ مُنفصــلٌ عــن اللــهِ

- يكمــنُ الدافــعُ الى ظهــورِ هـــذهِ الفكــرةِ التثليثيَّـــةِ في

التطـوراتِ اللاهوتيَّـة في نهايـةِ القـرْنِ الثانـي وبدايـةِ القَـرْنِ الثالـث الميـلاديِّ.

- والواقـعُ في ذلـكَ الوقـت, وافـقَ كلُّ الزعمـاء المسـيحيِّينَ عـلى وجـود ثلاثـةِ كائنـاتٍ هـم آلهـةٌ. لكـنْ, كيـف يمكـن عندهـا تجنُّـب الـشِّرك– الإيمـان بثلاثـة آلهـة.
- والحَـلُّ الأكثـرُ شـيوعاً في ذلـكَ الوقـتِ هـو الـرأيُ الـذي دعـاه العُلمـاءُ التمظهريّـة modalism. وقَـدْ زَعـمَ مخالفـوهُ أنفسُـهم أنَّ هـذا الـرأيَ هـو الـرأيُ السـائدُ وَسْـط المسـيحيِّين, وقَـدْ اعتنقـه حتَّـى أسـاقفة رومـا (البابـوات الأوائـل) لِمُـدَّة مِـنْ الزمـن.
- رأيُ التَمظْهُريَّـة (الموداليّـة-Modalism) أنَّ للـهِ ثلاثـةَ مظاهـر أو ثـلاثَ حـالاتٍ. تمامـاً كمـا إنَّ الشـخصَ الواحـدَ يمكـن أنْ يكـون أبـاً, وأخـاً, وابنـاً في الوقـت نفسِـه. لذلـكَ يمكـن للـهِ أن يكـون أبـاً, وابنـاً, ورُوحـاً دونَ أنْ يكـون ثلاثـةَ أشـخاص.
- في هـذا الـرأي, ثَمَّـةَ شـخصٌ واحـدٌ في ثلاثـة تَمْظْهُـراتٍ (تَجليَّـاتٍ), أو علاقـاتٍ.
- دَعَـمَ هـذا الـرأيَ فِقْـراتٌ مِـنْ الكتـاب المقـدَّس تؤكِّـد أنَّـه لا إلـهَ الا إلـهٌ واحـدٌ (سـفر إشـعيا ٦: ٤٤). ويُقِـرُّ أنَّ المسيح الـهٌ (سِـفْر الرومـان ٩:٥).
- إذاً , لا يمكـن أنْ يكـون المسـيحُ إلهـاً منفصـلاً عـنْ إلـه العهـد القديـم. فالاعتقـادُ بالانفصـالِ يسـتدعي الإيمـان بثلاثـةِ آلهـةٍ. لكـنْ ثَمَّـةَ إلـهٌ واحـدٌ فَحسْـبُ.
- مِـنْ نتائـج هـذا الـرأي أنَّ الأبَ هـو الـذي نـزلَ الى الأرض

في هيـأةِ الأبـنِ, وقَـدْ صُلِـبَ مِـنْ أجـل خطايـا البـشر. وخصـومُ هـذا الـرأي يدعونـهُ (مذهـب معانـاةُ الأبِ Patripassianism-) الـذي يعنـي (الأب يعانـي).

الخلافاتُ ضِمنَ الأورثوذوكسيَّة الأولية

• واحـدٌ مِـنْ خصـوم (مذهـب معانـاة الأبِ) كانَ زعيـمَ كنيسـةٍ في رومـا يُدعـى هيبوليتـوس[١] الـذي انشـقَّ عـنْ عمـوم الكنيسـة حـول قضيَّـة انتخـاب أتباعِـهِ لـهُ بابـا منافسـاً لبابـا رومـا.

• خصـمٌ آخَـرُ لهـذا المذهـبِ كان ترتليـان القرطاجـيَّ[٢] الـذي كانَ شـديدَ الخصومـة لـكلِّ شيءٍ يختلـف عـنْ آرائِـهِ سـواءٌ أكانَ وثنيًّـاً, أمْ يهوديًّـاً, أمْ مسـيحيّاً.

• أكـدَّ ترتليـان أنَّ ثَمَّـةَ اختـلافٌ بَـيْنَ أنْ تكـون شـيئاً (مثلاً, زوجـاً)، وأنْ يكـون لـك شيء (مثـلاً, زوجـة). مـن المسـتحيل أنْ تكـون شـيئاً وانْ تمتلـك الـشيءَ نفسـه في الوقـت ذاتِـه; أي, لا يمكـنُ للشـخص أن يكـون زوجـةً ويكـون لـه زوجـةٌ كشريكـةٍ

---

(١)أو هيبوليطـوس، هيبوليطـس، إيبوليطـس، إيبوليتـس :يوجـد خـلاف كبـير بـين الدارسـين بخصوص شـخصيته والكتابـات المنسـوبة إليـه. كان كاهنًا رومانيًا عـاش في أوائـل القـرن الثالث (حـوالي ١٧٠-٢٣٧ م). ومـن أهـم كُتـاب اللاهـوت في الكنيسـة الرومانيـة الأولى. (المراجـع)

(٢)أو ترتليانـوس (حـوالي ١٦٠ إلى ٢٢٠ م): مؤلـف أمازيغـي مسـيحي مبكـر بونيقـي، وأول مـن كتـب كتابـات مسـيحية باللغـة اللاتينيـة. كان مهـماً في الدفـاع عـن المسـيحية ومعـاداة الهرطقـات. وقـد أطلـق عـلى ترتليـان «والـد المسـيحية اللاتينيـة»، و»مؤسـس اللاهـوت الغـربي». (المراجـع)

لــهُ.

- أيضــاً أشــارَ ترتليــان الى كُتُــبٍ مقدَّســة تؤكِّــد الفَــرْقَ بَــيْنَ الأبِ والابــنِ ككيانَــيْنِ مختلفَــيْنِ.

الاقتصادُ الإلهيُّ (الخطَّةُ الإلهيَّة)

- نتــجَ عــنْ هــذا الخــلاف أنَّ المؤلفــين بــدأوا يتحدَّثــون عــنْ كائنــاتٍ إلهيَّــة ثــلاثٍ تكــوِّنُ اللــهَ الواحــدَ. ســمّى هيبوليتــوس هــذا الكيــانَ الإلهــي ثلاثيَّــاً (triad). وكان ترتليــان أوَّلَ مَــنْ اســتخدم مصطلــح ثالــوث (trinity) لوصفــهِ.
- فهــمَ هيبوليتــوس, وكذلــك ترتليــان, العلاقــةَ بــيْنَ الأبِ والابــنِ والــرُّوحِ القُــدُسِ عــلى أنَّهــا اقتصــادٌ إلهــيٌّ (divine economy).
- والاقتصــادُ في هــذا الســياق لا يعنــي النظــامَ المــاليَّ, بــلْ أســلوبُ تنظيــم العلاقــات.
- ورأيُ ترتليــان هــو أنَّ الكائنــاتِ الإلهيَّــةَ الثــلاثَ في علاقــة حميميَّــةٍ ووثيقــةٍ بيْنهــا, وكلٌّ لــهُ وظيفتــهُ لكنَّهــا مُتَّحــدةٌ عــلى نحــوٍ تــامٍّ في المــادةِ والقــوّةِ. والثلاثــةُ يتميَّــز أحدهــا عــنْ الآخَــر لكنَّهــا ليســتْ منقســمةً.
- مــعَ ذلــكَ, حتَّــى في هــذا اللاهــوت- الــذي هــو أكثــر تطــوّراً، الى حــدٍّ بعيــدٍ، ممَّــا نجــدهُ في العهــد الجديــد أو أيِّ موضــعٍ مِــنْ القــرن الثانــي الميــلادي, حتَّــى في هــذا اللاهــوت, لــمْ نصــلْ الى فَهْــمٍ نهائــيٍّ للثالــوث. عنــدَ ترتليــان, الأبُ أعظــم مِــنْ الابــن. وكانَ ســيحاجج لاهوتيّــون آخــرون بالقــولِ بأنَّهمــا؛ الأبُ والابــن,

متساويان.

- لكنّنا منْ الواضح في الطريقِ الى هذا اللاهوتِ المتأخِّرِ، تكوينِ عقيدةِ التثليث (Trinity) التي كانتْ ستُضحي التناقضَ الرئيسَ والغموضَ الرئيسَ في الإيمان المسيحيِّ.

الفصل الحادي والعشرون
الجَدَلُ الآريوسيُّ

عنـدَ منتصـفِ القـرْن الثالـث، مـنْ الناحيـةِ العمليَّـةِ، اتَّفـقَ كلُّ الزعمـاء المسـيحيّين مـعَ الآراءِ المتناقضـة للأرثوذوكسـيَّة الأولى حولَ كُلٍّ مِـنْ المسـيح واللـهِ. فُهِـمَ المسـيحُ بأنَّـهُ كائـنٌ بـشريٌّ وكائـنٌ إلهـيٌّ في الوقـت نفسِـهِ، مـعَ ذلـكَ هـو شـخصٌ واحـدٌ فحسْـبُ لا شـخصانِ. فضـلاً عـنْ هـذا، كان الأبُ إلهـاً عـلى نحوٍ واضـح، وكان المسـيحُ إلهـاً أيضـاً، وكان الـرُّوحُ القُـدُس إلهـاً كذلـكَ، لكـنْ ثَمَّـةَ إلـهٌ واحـدٌ فحسْـبُ. حدثـتْ انشـقاقات حـادَّة وَسْـطَ المسـيحيّين تضمَّنَـتْ كيفيّـة تفسـير هـذهِ التناقضـات بطريقـة لا تُخِـلُّ بواحـدٍ أو بآخَـرَ مـنْ الثوابـت التـي قَـدْ أُوكِّـدَتْ- مثـلاً، دونَ إنـكارِ كـونِ المسـيح نفسِـهِ إلهـاً أو دونَ إنـكار وجـود إلـهٍ واحـدٍ لا غـيرَ.

نوفاتيان (Novatian)

- المُمثِّـلُ الجيِّـدُ للاعتقـاد الأورثوذوكـسي الأوَّليِّ المعيـاريِّ في منتصـف القَـرنْ الثانـي كان زعيـمَ الكنيسـة الرومانيَّـة المدعـو

نوفاتيـــان.

- الأكثـرُ شـهرةً فيمـا كتـبَ نوفاتيـان كانـتْ مقالـةً حـولَ الثالـوث (Trinity). وفي هـذه المقالـة حـاولَ تطويـرَ فَهـمٍ للثالـوث أنصـفَ فكـرةَ أنَّ المسـيح يمكـن أنْ يكـون إلهـاً دون أنْ يكـونَ اللـهَ الأبَ.

- بتعبـير آخَـرَ, كان نوفاتيـانُ يهاجـمُ المسـيحيّينَ الذيـن قالـوا بـأنَّ المسـيحَ نفسَـهُ لـمْ يكـنْ حقّـاً إلهيّـاً (كمـا فعـل المسـيحيُّون الأوائـل مـنْ أصحـاب مذهـب التبنِّـي الذيـن اعتقـدوا أنَّ يسـوع مـا كانَ قَـدْ رُفِـعَ الى مرتبـة الإلوهيَّـة إلا بعـدَ موتِـهِ), أوْ أنَّـه كان كائنـاً مثـلَ الأب (كمـا فعـل التمظَهريـون، كمـا ناقشـنا سـابقاً).

- رأى نوفاتيـانُ هاتَـيْنِ الهرطقتَـيْنِ محاولتَـيْنِ لِحفـظِ وحـدةِ اللـهِ لِأنَّـهُ ليـسَ في أيٍّ مـن الحالتَـيْنِ يوجـد (إلـهٌ ثـانٍ) الى جانـب الأبِ.

- لكنَّهمـا أكَّدتـا هـذهِ النقطـةَ بطريقتَـيْنِ متعارضتَـيْنِ– الأولى بالادّعـاء بـأنَّ المسـيحَ لـمْ يكـنْ إلهـاً, والثانيـةُ بالادِّعـاءِ بأنَّـهُ كانَ الأبَ.

- في صـورةٍ ذكيّـة, قـال نوفاتيـان بـأنَّ المسـيحَ كان يُصلَـب بَـيْنَ لِـصيِّ الهَرْطقـة هذَيْـنِ, وأنَّـهُ (أي, نوفاتيـان) يريـد تقويـمَ الأمـر.

- ورأيُ نوفاتيـان, أنَّ هـذا لا يعنـي أنَّ المسـيحَ إلـهٌ حـقٌّ; وهـو متميِّـزٌ عَـنْ اللـهِ الأبِ, مـع ذلـك فهـو في وحـدةٍ كاملـةٍ مـع اللـهِ.

- في اعتقاد نوفاتيان, لا يعني هذا إنَّ المسيح مساوٍ للهِ.
- لــو كانَ المســيح مســاوياً للــه, أو أنَّــهُ غــيرُ مولــودٍ كاللــهِ, أو أنَّــهُ بــلا بدايــةٍ كاللــهِ لــكانَ هــذا بالــضرورة يعنــي أنَّ ثَمَّــةَ إلهَــيْنِ.
- يــرى نوفاتيــانُ أنَّ الحــلَّ يقــومُ في الاعتقــاد بــأنَّ المســيحَ إلــهٌ تابــعٌ أنجبــهُ اللــهُ قبــلَ الخلْــق.
- كانــتْ هــذه الفكــرة أورثوذوكســيَّةً عــلى نحــوِ الكمــال في منتصــف القــرْن الثالــث, لكــنْ في عقــود بدايــة القــرن الرابــع, كانــتْ ســتُعلَن هرطقــةً فظيعــةً. وقــدْ نتــج هــذا الإعــلان مِــنْ الجــدَل الآريــوسيِّ (نســبة إلى آريــوس).

آريوس وألكساندر

- الجــدلُ الآريــوسيُّ أُخــذ اســمَهُ مِــنْ اســم الزعيــم والمعلِّــم اللاهوتــي آريــوس (Arius) مِــنْ الاســكندريَّة.
- وُلِــدَ آريــوس في ليبيــا حــوالي العــام ٢٦٠ الميــلادي, لكنَّــه ارتحــلَ الى الإســكندريّة, وفي الآخِــر أصبــح زعيمــاً في الكنيســة هنــاك.
- في العــام ٣١٢م رُسِــمَ قسَّــاً، وقُلِّــدَ مســؤوليةَ كنيســتهِ الخاصَّــة.
- كان أُســقُفُهُ- الزعيــمُ الأعــلى لكنيســة الاســكندريَّة- رجــلاً يدعــى (ألكســاندر).
- ثــارَ الجــدل بــين آريــوس وألكســاندر في العــام ٣١٨ للميــلاد. طلــبَ الكســاندر مــنْ القساوســة الذيــن يعملــون تحــتَ

إمرتــهِ أنْ يُقدِّمــوا تفســيراً مكتوبــاً لفقــرة معيَّنــة مِــنْ الكتــاب المقــدَّس, مِــنْ المحتمــل أنْ تكــونَ مِــنْ سِــفْر الأمثــال ٨, وفيهــا تُصــوَّرُ الحكمــةُ كأقنــوم للــهِ موجــودٍ عــلى نحــوٍ مســتقلٍ عنْــهُ، ومِــنْ خلالــهِ خلــقَ اللــهُ العالَــمَ.

تضمَّــنَ الجــدلُ الأريــوسيُّ الســؤال التــالي : أخلــقَ اللــهُ الأبُ الابــنَ, أمْ أنَّ الابــنَ موجــودٌ منــذُ الأزل

- لَمْ يرقْ تفسيرُ آريوس لأسقفِه.
- في اعتقــادِ آريــوسَ أنَّ المســيحَ, حكمــةَ اللــه, لــمْ يكــنْ هــو نفسُــهُ مســاوياً عــلى نحــوٍ تــامٍّ للــه, بَــلْ, كان إلهــاً تابعــاً.
- لذلــكَ الســببِ, لَــمْ يكــنْ دائمــاً موجــوداً بــلْ جــاء الى الوجــود في مرحلــةٍ مــا كأوَّلِ خَلْــقٍ للــهِ الأبِ.
- ثُمَّ بعدَ ذلكَ خلقَ اللهُ العالمَ بوساطة ابنِه.
- لكــنْ في عقيــدةِ آريــوس, اللــهُ الأبُ هــو الوحيــدُ الــذي بــلا بدايــةٍ, وهــو منفصــلٌ عــنْ كلِّ الكائنــاتِ الأُخَــرَ حتّــى عــنْ ابنــهِ بوســاطة تســامياتٍ لا نهايــةَ لهــا.
- الأبُ والابــنُ لا يتشــابهانِ. والأبُ هـــو الأعــلى فــوقَ كلِّ الأشـــياء.
- عــارضَ الأســقفُ الكســاندر هــذهِ الآراء بقــوَّةٍ, وفي رســالةٍ الى أُســقف القســطنطينيَّة, وكان يُدعــى أيضــاً ألكســاندر, وضّــحَ أســقفُ الاســكندريَّة آراءَهُ, التــي اعتقدهــا أرثوذوكســيَّةً قبــالَ هرطقــةِ آريــوس.
- أشــار الكســاندرُ الى سِــفْر العِبريّــين (٢:١) الــذي وَفْقــاً لــه

قـدْ خلـق اللـهُ الدُهـورَ مـن خـلال المسـيح. فـإنْ كان المسـيحُ قـدْ سـبقَ الدُهـورَ, إذاً, لا يمكـن للدهـور أنْ تسـبق المسـيحَ في الوجـود; عـلى هـذا, لا دهـرَ موجـودٌ عندمـا لـمْ يكـنْ المسـيحُ موجـوداً. لـذا, فالمسـيح كان موجـوداً عـلى الـدوام.

• أشـار ألكسـاندر الى فقـرةٍ أُخـرى, الكولوسـيُّون (١:١٥), التـي قيـل فيهـا بـأنَّ المسـيح (صـورةُ اللـهِ). فـإنْ كانَ المسـيحُ صـورةَ اللـه, فـلا بُـدَّ أنّـه كانَ موجـوداً دائمـاً وذلـك لأنَّ للـهِ صـورةً عـلى الـدوام, وإلّا, فـلا يمكـن أنْ يوجـدَ. وعـلى هـذا, فصورتُـهُ – المسـيحُ- يجـب أنْ تكـون موجـودةً دائمـاً.

• فضـلاً عـن ذلـك, في اعتقـاد ألكسـاندر أنَّ اللـهَ, لِأنَّـهُ إلـهٌ وليـسَ مخلوقـاً- لا يمكـن أنْ يتغـيَّر. لـو كان اللـهُ أنجـبَ المسـيحَ في مرحلـة مـا مـن المـاضي فسـيعني هـذا أنَّ اللـهَ قـدْ صـارَ أبـاً, أيْ, شـيئاً لـمْ يَكُنْـهُ مِـنْ قبـلُ. لكـنَّ اللـهَ لا يمكـنُ أنْ يكـونَ شـيئاً لـمْ يكنـهُ مـنْ قبـلُ; لذلـك يجـب أنْ يكـونَ قـد أنجـبَ الابـنَ عـلى نحـوٍ أزَليٍّ.

صدْعٌ في الكنيسة المسيحيّة

• في ردٍّ عـلى تصريـح آريـوس العلنـي بآرائِـهِ, خلعـهُ ألكسـاندرُ مـنْ منصبـه كقـسٍّ وزعيـمٍ للكنيسـة، وحرَمـهُ هـو وأتباعَـهُ مِـنْ الكنيسـة.

• مَـعَ ذلـك, لـمْ يهـدأ آريـوسُ وأتباعُـهُ مِمَّـنْ حملـوا رأيَـهُ, فَقَـدْ طافـوا العالَـمَ المسـيحيَّ شـارحينَ خلافَهـم وَقَـدْ اسـتمالوا زعامـاتٍ مهمَّـةٍ في الكنيسـة الى آرائِهـم اللاهوتيَّـة. وكانـتْ النتيجـةُ

حـدوثَ صـدْع خطـير في الكنيسـة المسـيحيَّة.

- وفي آخِـر الأمـرِ, تدَّخَـلَ الإمبراطـورُ الرومانـيُّ نفسُـه- الإمبراطـور قسـطنطين- في محاولـة لحـلِّ هـذهِ القضيَّـة.
- كانَ قسـطنطينُ الإمبراطـورَ الرومانـيَّ الأوَّلُ الـذي اعتنـق المسـيحيَّة وذلـك في العـام ٣١٢ الميـلادي.
- كانَ لقسـطنطينَ اهتمـامٌ شـديد في شـؤون الكنيسـة، وكانَ في حالـة هلَـعٍ مِـنْ أنْ لا يسـتطيعَ أتْبـاعُ آريـوس وأتبـاعُ ألكسـاندر حـلَّ نزاعهـم اللاهوتـيِّ. وفي الآخِـر, دعـا مجلـسَ نيقيـه, في العـام ٣٢٥ م لحَسْـم القضيَّـة. سـنلقي نظـرةً قريبـةً عـلى قسـطنطين في المحـاضرة القادمـة.

الفصل الثاني والعشرون
اعتناقُ قسطنطينَ المسيحيَّةَ

لا يمكن فَهْمُ أهميَّةِ مجلس نيقيه والدورِ الذي قامَ بهِ الإمبراطورُ قسطنطين في هذا المجلس إلّا بفَهْمِ أكثرَ لتاريخ الحركة المسيحيَّة في القرون الثلاثِ التي سبقتْهُ. لذلك, ستعالجُ هذهِ المحاضرة خلفيَّةَ الحدثِ غيرِ المتوقَّعِ الذي غيَّرَ التاريخَ. عندما أصبح الإمبراطورُ الرومانيُّ نفسُه مسيحيًّاً, بدلاً مِنْ أنْ يضطهد المسيحيّين, وأخذ دوراً قياديًّاً في حَسْمِ القضايا اللاهوتيّة التي كانتْ موضعَ نزاعٍ في الكنيسةِ.

المسيحيّةُ المبكرةُ في الإمبراطوريّةِ الرومانيّة

- مِنْ أجْلِ فهْمِ تحوّل قسطنطينَ الى المسيحيَّة, نحتاج تأمّلَ تاريخٍ مختصرٍ لعلاقة الدين المسيحيِّ مع الإمبراطوريَّة الرومانيَّةِ.
- كما رأينا, كانَ المسيحيُّون الأوائلُ جماعةً مِنْ اليهود الذين اعتقدوا إنَّ يسوع كانَ قَدْ رُفِعَ الى السماء عندما بعثهُ

اللـهُ مَـنْ المـوتِ.

• بـدأ هـؤلاءِ المسـيحيوّن الأوائـل السـعيَ الى الدعـوةِ الى معتقدهـم وَسْـطَ أبنـاء جلدتهـم مِـنْ اليهـود. وبقـدر مـا نعـرفُ, أدّى هـذا الى معارضـةٍ مـا وَسْـط اليهـود غـيرِ المسـيحيِّين, لكـنْ, ما كانَ ثَمَّـةَ معارضـة, عـلى الأقـلِّ في البداية, مـنْ السـلطات الرومانيَّة. وإنْ كانـتْ هـذه السـلطاتُ قـدْ سـمعتْ بمثـل هـذهِ الصراعـات فإنَّهـا كانـتْ سـتعتبرها شـأناً يهوديَّـاً داخليَّـاً.

• لكـنْ, في الآخِـر, بالجهـودِ التبشـيريّة للرسـول بولـص وآخريـن عـلى شـاكلتِهِ, بـدأ غـيرُ اليهـود يعتنقـون العقيـدة المسـيحيَّة, مؤمنـينَ بـأنَّ المسـيح كانَ قَـدْ مـاتَ وبُعِـثَ مـن المـوت ورُفِـعَ الى السـماء. وفي حـين أصبحـتْ الكنيسـةُ يتزايـد أتباعُهـا مـنْ غـيرِ اليهـود, تراجعـتْ الصفـةُ اليهوديَّـةُ لهـا.

الوثنيّون والمسيحيّون الأوائل

• ثَمَّـةَ أسـئلةٌ ثـلاثٌ رئيسـةٌ يجـب أنْ نطرحهـا ونجيـب عنها حـول الوثنيّـين (pagans) وعلاقتهـم مـع المسـيحيّين الأوائل(١).

• لِمَ عبد الوثنيّون ما عبدوا مِنْ آلهةٍ؟

• لِـمَ أضطهـد الوثنيّـون المسـيحيِّين بسـبب عبادتهـم إلهَهـم؟

• مـا أجـبر بعـضَ الوثنيّـين عـلى اعتنـاق الإيمان المسـيحي– قِلَّـةٌ بدايـةً لكـنْ في النهايـة كانوا حشـوداً؟

---

(١) Pagan: كلمـةٌ مسـيئة اسـتعملها المسـيحيّون لتسـمية غـيرِ المسـيحيِّين ولا علاقـة لهـا بالوثـن كـما تـشي بذلـك الكلمـة العربيـة. (المترجـم)

- كما يبدو، جوابُ كلِّ هذهِ الأسئلة هو جوابٌ واحدٌ. كلُّ الأسئلة لها علاقةٌ مع الفَهْمِ القديم للقوَّةِ الإلهيَّة.
- كقاعدةٍ، عبَدَ الوثنيّون آلهتَهم المتعدِّدة لِأنَّ الآلهة شديدو القوَّة وبإمكانهم أن يُقدِّموا للبشر ما لَمْ يستطعْ البشرُ أنْ يُقدِّموه لِأنفسهم مِنْ مواردهم: المطرَ، المحاصيلَ، الصحةَ، الولادةَ الآمنةَ، النصْرَ في الحرب، الحياةَ، السلامَ، السعادةَ، والى غير ذلك.
- لَمْ يُضطَهدْ المسيحيُّون لِأنَّهم اعتبروا يسوع إلهاً، أو، لِأنَّهم أصرُّوا على عبادتِهِ وعبادةِ اللهِ الأبِ، بَلْ لِأنَّهم رفضوا عبادةَ الآلهةِ التي كانتْ على درجةٍ مِنْ القوَّة لجعلِ الحياةِ قابلةً للعيش وسعيدةً ومُرفَّهة للنَّاس الآخرين في الإمبراطوريَّة.
- فإنْ كانَ الآلهة هُمْ مَنْ يَجعلُ الحياة ممكنةً وناجحةً، وكلُّ ما يطلبونهُ بسيطٌ، أفعالٌ عباديَّةٌ، إذاً، فكلُّ مَنْ رفضَ عبادتَهم يجبُ أنْ يكون سببَ الكوارث مِنْ قبيل الجفافِ، والمجاعاتِ، والهزّاتِ الأرضية، والهزائم العسكريَّة وغير ذلك.
- ولِأنَّ المسيحيِّين كانوا هُمْ مَنْ رفض عبادة آلهة البلاد، فَقَدْ كانوا سبب المشكلات في المجتمع; ذلك هو سببُ اضطهادِهم.
- تُفسِّرُ القوَّةُ الالهيَّةُ أيضاً سببَ شروع الوثنيّين بالتحوُّل الى عبادة إلهِ المسيحيِّين: لَقَدْ كانتْ مسألةُ مَنْ كان الأفضل في قدرته على تقديم ما تحتاجه الحياة. نجحَ المسيحيّون في إقناع غير المسيحيّين بأنَّ المسيحَ وأباهُ هم أكثر قوَّةً مِنْ آلهتِهم; وبأنَّهما وحدَهما يمكن أنْ يُقدِّما ما تحتاجهُ هذهِ

الحياةُ; وبأنَّهما حقّاً يمنحانِ الحياةَ الأبديَّة. وعندما اقتنع غيرُ المسيحيّين بهذا تحوّلوا إلى المسيحيَّة.

- ما كانتْ ثَمَّةَ حاجةٌ لوجود تحوّلات هائلة بين أيام بولص وأيام الإمبراطور قسطنطين لِجعل المسيحيَّةِ العاملَ الرئيسَ في المشهد الدينيِّ عندَ القرن الرابع الميلادي. فعادةً يُقدَّر عددُ مَنْ كان قدْ اعتنقَ المسيحيَّة آنذاكَ بما نسبته خمسة بالمائة. فإنْ كانَ الأمرُ هكذا, إذاً, فالعقيدة التي انطلقتْ بمجموعةٍ صغيرة منْ أتباع يسوع كانتْ ستحتاج الى النموِّ بما يقارب نسبة أربعين بالمائة كلَّ عقدٍ منْ الزمان في مُدَّة الثلاثمائة عامٍ الأولى.
- لحدِّ الآنَ, كما نعرف, ما كانَ أديانٌ أُخَرَ مثل المسيحيَّة في العالَمِ القديم, أيْ, ما كان ثَمَّةَ أديانٌ تبشيريَّةٌ وإقصائيَّةٌ. رُبَّما كانتْ اليهوديّةُ إقصائيَّةً, لكنَّها لَمْ تكنْ تبشيريَّةً; عددٌ من الأديان اليونانيَّة-الرومانيّة كانتْ تبشيريَّةً لكنَّها لمْ تكنْ إقصائيَّةً.
- نجحتْ المسيحيَّة لِأنَّها, وهذا ليس جزءاً صغيراً منْ السبب, الوحيدةُ بينَ أديانِ التاريخِ القديم قدْ أصرَّتْ على إقصائيَّة آرائِها. لِأنَّ المتحوّلين إليها وجبَ عليهم التنكُّرُ لِأديانِهم السابقة, فدمَّرتْ المسيحيَّةُ الأديانَ الأُخَرَ وهي تنمو.
- الوتيرةُ الثابتة للتحولّ الى المسيحيَّة غالباً ما جعلتْ أُسَرَ وأصدقاءَ الوثنيّين السابقينَ أكثرَ غضباً, الأمرُ الذي عنى أنَّ الاضطهادَ تصاعدَ مع نموِّ الكنيسة في حجمها وأهميّتها.
- ونشاهدُ هذهِ العداوةَ وقَدْ انعكستْ أصلاً في العهد

الجديد وظلَّتْ قائمةً في إشاراتِ المُنافح المسيحيِّ ترتليان.

اضطهادُ المسيحيّين

- على خلاف ما يُتَخَّيلُ غالباً, نادراً ما اشترك الأباطرةُ الرومان، على نحوٍ مباشرٍ في اضطهاد المسيحيِّين.
- المَرَّةُ الأولى التي اشترك فيها إمبراطورٌ رومانيٌّ في الاضطهاد كانتْ في زمن نيرون (العام ٦٤)، وكان اضطهاداً مُحدودَ المكان, ولمْ يكن محاولة في مهاجمة المسيحيّين لكونهم مسيحيّين.

حاولَ الإمبراطورُ نيرونُ إبعادَ اللومِ عنْ نفسِهِ في حادثِ حريقِ روما العظيمِ في العام ٦٤ م، وإلقاءَ تبعتِهِ على المسيحيِّين, وبهذا فقدْ قامَ باضطهادٍ محليٍّ

- يمكن القولُ بما يُشبه هذا حولَ اضطهادٍ في زمن تراجان (١١٢م, كما يشاهد في رسائل البليني الأصغر[١])، وماركوس أورليوس[٢] ، (كما يُشاهد في رسالة ليونز وفييني).

---

(١)بلينيوس الأصغر: محام ومؤلف وقاض روماني. كتب بلينيوس المئات من الرسائل التي لا زال بعضها باقيًا تعد الآن من المصادر التاريخية لتلك الفترة، بعضها كان موجهًا لأباطرة تلك الفترة والبعض إلى نبلاء أمثال المؤرخ تاسيتس. عمل بلينيوس كقاض في عهد تراجان. (المراجع)

(٢)فيلسوف رواقي، والإمبراطور الروماني السادس عشر (١٦١-١٨٠م)، وخامس الأباطرة الأنطونيين الرومان. يُعتبر من أهم وأبرز الفلاسفة الرواقيين. (المراجع)

- لـمْ يحـدثْ الاضطهـادُ الواسـعُ الأوّلُ عـلى يـد إمبراطـور حتّـى العـام ٢٤٩م تحـتَ حكـم الإمبراطـور ديسـيوس. ولحسـن حـظِّ المسـيحيّين لـمْ يسـتمر إلّا عامَـيْنِ, حتّـى مـوت ديسـيوس في العـام ٢٥١م.
- مـا يُسـمَّى الاضطهـادَ الكبـير وقـعَ في حكـم الإمبراطـور الرومانـيِّ ديوكليتيـان[٣] .

اعتناقُ قسطنطينَ المسيحيَّةَ

- تمامـاً بعـدَ ثلاثة أعـوام, في العـام ٣٠٦م, صارَ قسـطنطين إمبراطـوراً، وبعدَ سـتة أعـوامٍ, في العـام ٣١٢ م, اعتنق المسـيحيَّة.
- لدينـا روايـةٌ لتحوّلـهِ الى المسـيحيَّةِ في سـيرة لقسـطنطين كتبَهـا يوسـيبيوسُ[٤] الـذي كان معـاصراً لـهُ، وادّعـى أنّ لديـهِ قَصَصـاً مـنْ مصـادرَ أصليَّـةٍ تحـتَ تصرُّفـهِ.
- وَفْقـاً لهـذهِ الروايـاتِ, كان قسـطنطين مضطربـاً جـداً في مسـاءِ معركـةٍ حاسـمة، وتسـاءل كيـفَ يمكنـه الحصـول عـلى دعـم إلهـيٍّ لقضيَّتِـهِ العسـكريَّة.
- ادَّعـى قسـطنطينُ أنَّـهُ في الليلـة التـي سـبقتْ المعركـةَ,

---

(٣)ديوكلتيانـوس أو دقلديانـوس (٢٤٤-٣١١): امبراطـور رومـاني. شـهدت الإمبراطوريـة توسـعاً في عـصره. (المراجـع)

(٤)يوسابيوس القيـصري (٢٦٥-٣٣٩م): أصبـح أسـقف القيصريـة في ٣١٤م. وكثـيرا مـا يشـار إليـه أنـه (أبـو التاريـخ الكنـسي) بسـبب عملـه في تسـجيل تاريـخ الكنيسـة المسـيحية في وقـت مبكـر، لا سـيما وقائـع التاريـخ الكنـسي. تأثـر يوسـابيوس بآريـوس، وكان هـذا واضحـا في كتاباتـه عـن لاهـوت يسـوع في تاريـخ الكنيسـة. (المراجـع)

رأى الصليبَ في حُلُمٍ، وقَدْ أُخبِرَ في حُلُمه أنَّ هذا الصليبَ علامةُ نصره.

- فنقشَ العلامةَ على دروع جنوده, ودخلَ المعركةَ وخرجَ منْها منتصراً. ومُنْذُ تلكَ اللحظة. اعتبرَ قسطنطين نفسَهُ تابعاً للمسيح.
- ثَمَّةَ خلافاتٌ حولَ مسألة كونِ تحوّل قسطنطين تحوّلاً أصيلاً, أمْ لا. وذلك لوجود بعضِ الدلائل على أنَّ قسطنطين قَدْ استمرَّ في عبادة آلهةٍ أُخَر, خصوصاً, إلهَ الشمس, لكنْ يبدو أنَّ هذا الالتزام تجاه الدين المسيحيِّ كان أصيلاً. والأكثرُ أهميَّةً أنَّ أفعالَهُ بدأتْ بتفضيل المسيحيّين على نحوٍ كبير على أهل الأديان الأُخَر.
- فرأى قسطنطين وجوبَ إنهاء الاضطهاد.
- وقَدْ وهبَ الكنيسةَ مساحاتٍ واسعةً مِنْ الأرض وبنى كنائسَ ضخمةً.
- ورفعَ من منزلة رجال الدين على نحوٍ مُهمٍّ.
- ورقّى عبادةَ الإلهِ المسيحِ الى منزلة آلهة الدولة.
- حقّاً كان تحوّلُ قسطنطين الى المسيحيَّة مُهمّاً: فالآن بدَلاً مِنْ أنْ يُعبدَ الامبراطورُ الرومانيُّ باعتبارِه إلهاً صارَ عبداً لله يحثُ رعيَّتَهُ على عبادة المسيح. الآن, بدلاً مِنْ أن يكون ابنُ الإله في نزاع مع المسيح صار الإمبراطور عبداً للهِ في خدمة المسيح.
- مِنْ الخطأ القول بأنَّ قسطنطين جعل المسيحيَّة دينَ الدولة. فلَمْ يحدث هذا إلّا في زمن الأمبراطور ثيوديسيوس في

نهايــة القــرن الرابــع الميــلادي. لكــنْ, بالتأكيــد جعــل قســطنطين المســيحيّة دينــاً مفضّــلاً. وبتدخُّلــه في الشــؤون الداخليَّــة للكنيســة مــنْ قبيــل الجــدل الآريــوسي, ضمَــنَ كــون مشــاغل الكنيســة هــي مشــاغل عمــوم الإمبراطوريَّــة.

- في المحــاضرة التاليــة, ســنتأمّل الســببَ في كــون قســطنطين رُبمــا كان آمــلاً في حــلِّ هــذا الجــدل الــذي رُبَّمــا بــدا في الظاهــر متضمّنــاً مســألةً لاهوتيّــةً تقنيَّــةً نوعمّــا تتعلــق بقضيَّــة كــون يســوع إلهــاً جــاءَ الى الوجــود قبــلَ العالــم أمْ أنَّــهُ قــدْ كانَ موجــوداً عــلى الــدوام إلى جانــب اللــه الأبِ.

الفصل الثالث والعشرون

مجلس نيقيه

في العـــام ٣٢٥ للميـــلاد, دعـــا الأمبراطـــورُ قســـطنطين الى مجلـسِ أســاقفةٍ مِــنْ جميــع أرجــاء العالَــم مِــنْ أجــل حــلٍّ هــذا الســؤال: بــأيٍّ معنــىً كان يســوع إلهــاً؟ اعتقــد مؤيــدو آريــوس أنَّ يســوعَ إلــهٌ تابــعٌ, مخلــوقٌ للــهِ الأبِ, جــاءَ الى الوجــود في مرحلــة مِــنْ الزمــان. وأصرَّ أنصــارُ ألكســاندر عــلى أنَّ المســيح لــم يــأتِ الى الوجــود, بــلْ كان دائمــاً موجــوداً, وكانَ عــلى نحــوٍ مُطلَــقٍ مســاوياً للــه. كانَ قســطنطين قلقــاً حــول هــذهِ القضيَّــة ليــس لِأنَّــه مهتــمٌّ عــلى المســتوى اللاهوتــيِّ, بــلْ كانَ مهتَّمــاً بأمــر الكنيســة مِــنْ أجْــل تحقيــق أهدافــهِ السياســيَّة, كانَ في حاجــة الى أنْ تكــونَ الكنيســةُ موحَّــدةً. في النهايــة, دعَــمَ المجلــس عــلى نحــوٍ ســاحقٍ آراء ألكســاندر ضــدَّ أنصــار آريــوس الــذي أُعلِــنَ مهرطِقــاً.

جدول أعمال المجلس

- عــلى الرَغــمْ مِــنْ أنَّ مجلــسَ نيقيــه كان المجلــسَ الكَنَــسيَّ

الأكثـرَ ضخامـةً وأهميَّـةً في تاريـخ المسـيحيَّة, يُسـاء فَهْـمُ جـدولِ أعمالـهِ وقرارتـهِ في العـصر الحـاضر.

• غالبـاً مـا يعتقـد النَّـاسُ بـأنَّ الزعمـاء المسـيحيّين في المجلـس (ابتدعـوا) العهـد الجديـد بوسـاطة اتخـاذ قـرارٍ حـول أيّ الأناجيـل والرسـائل ومـا شـاكل ذلـكَ سـتُعتَبرُ كتابـاً مقدَّسـاً. لكـن الأسـاقفة في مجلـس نيقيـه لـمْ يناقشـوا مسـألة أيّ كُتُـب يجـب قبولهـا في الكتـب القانونيّـة المقـرورة.

• كذلـك, في الغالـب يعتقـدُ النَّـاسُ أنَّ وقـتَ انعقـاد مجلـس نيقيـه هـو الوقـت الـذي أُعتـبِرَ فيـه يسـوعُ إلهـاً, وقِيـلَ بأنَّـهُ قـدْ جـرى تصويـتٌ في المجلـس عـلى جـواب للسـؤال: أكانَ يسـوعُ ابـنَ اللـهِ أمْ أنَّـهُ ليـسَ ابنَـهُ؟ وبـأنَّ ذلـكَ كان تصويتـاً متقاربـاً, وطبعـاً لـمْ يكـن ذلـك صحيحـاً أيضـاً.

• رأينـا فيمـا سـبقَ أنَّ يسـوع أُعتـبر ابـنَ اللـهِ- في الحقيقة, هـو بذاتِـهِ كائـنٌ إلهـيٌّ- عمليّـاً عنـد انطلاقـةِ العقيـدة المسـيحيَّة, مبـاشرةَ بعـدَ موتِـهِ, حـينَ أعلـنَ تلامذتُـهُ أنَّـه كانَ قَـدْ عُـرِج بـهِ الى السـماء ورُفـع الى مرتبـة الأُلوهيَّـة.

• دُعـي يسـوعُ ابـنَ اللـه وحتَّـى (اللـهَ) في كتابـات العهـد الجديـد واعتـبرهُ إلهـاً كلُّ الأرثوذوكسـيون الأولـون, وأغلـبُ المسـيحيّين المُهَرْطِقـين الذيـن نعرفهـم في حـوالي القـرن الثانـي والثالـث الميـلادي.

• وكمـا سـنرى, وافـق جميـع مَـنْ في مجمـع نيقيـه عـلى أنَّ يسـوع هـو ابـنُ اللـه- أو حتّـى إلـه- كان السـؤال الوحيـد هـو: بـأيِّ معنـىً هـوَ إلـهٌ؟ هـل كان إلهـاً تابعـاً جـاءَ الى الوجـود

في مرحلـةٍ في المـاضي البعيـد قبـلَ أنْ يُخلَـق العالـمُ, كمـا اعتقـد آريـوس وأتباعـه؟ أو هـلْ كانَ مسـاوياً عـلى نحـوٍ تـامٍ للـهِ ومصاحبـاً لـهُ في الأزليَّـةِ, وبذلـكَ فـلا يوجـدُ زمـانٌ لـمْ يكـنْ غـيرَ موجـودٍ فيـهِ, كمـا قـالَ الأسـقفُ إلكسـاندر؟

قلقُ قسطنطين

- حتَّـى قبْـلَ لقـاءِ المجلـس, كانَ قسـطنطين قلقـاً حـولَ هـذا السـؤال, ليـس لِأنَّـهُ قَـدْ تعلَّـمَ اللاهـوت أو كان لديـه اهتمـامٌ في تدقيـق مسـائلِ العقيـدة المسـيحيّة وتمحيصهـا. كانَ قسـطنطينُ قلقـاً لأنَّـه وَجَـدَ في المسـيحيّة قـوَّةَ توحيـدٍ ممكنـةً لِأمبراطوريّتـهِ المزَّقـةِ.
- كانـتْ الإمبراطوريَّـةُ شاسـعةً وكانـتْ متشـظيةً في المسـتوى الثقـافيِّ والسـياسيِّ والدينـيِّ, في حـين تؤكِّـدُ المسـيحيَّةُ الوحدانيَّـة: ثَمَّـةَ إلـهٌ واحـدٌ, وابـنٌ واحـدٌ للـهِ, وكنيسـةٌ واحـدةٌ, وإيمـانٌ واحدٌ, وأمـلٌ واحـدٌ ومـا إلى ذلـك مـنْ وجـوهِ الوَحْـدة. كانـتْ المسـيحيَّةُ ديـنُ توحيـدٍ. اعتقـد قسـطنطينُ أنَّ المسـيحيَّةَ يمكـنُ اسـتعمالُها في توحيـدِ الإمبراطوريَّـة.
- لكـنَّ المشـكلة كانـتْ أنَّ ديـنَ التوحيـد هـذا كانَ هو نفسُـهُ في شِـقاق; وهكـذا رأى قسـطنطين أنَّ ثَمَّـةَ حاجـةٌ إلى معالجـة الشِـقاق في الكنيسـة المسـيحيَّة لتوفـيرِ وحـدةٍ دينيَّـةٍ للإمبراطوريَّة.
- تحتفـظُ السـيرةُ التـي كتبَهـا يوسـيبوس للأمبراطـور (حيـاة الإمبراطـور المبـارك قسـطنطين), تحتفـظُ برسـالةٍ أرسـلها قسـطنطين نفسُـهُ الى آريـوس وألكاسـاندر في محاولـة مِنْـهُ لجعـل

الاثنـين يلتقيـان وجهـاً لوجـهٍ لمناقشـة القضيَّـة اللاهوتيَّـة التـي تقسـمهما وتقسـمُ أتباعَهمـا. وهـو صريـحٌ جـداً في أنَّ همَّـهُ هـو وجـوبُ توحيـد المسـيحيِّين في اعتقاداتهـم. أضـفْ الى ذلـك, اعتـبر قسـطنطين القضيَّـةَ التـي هـي سـببُ الخـلاف صغـيرةً و تافهـةً.

- أرسـلَ قسـطنطين الرسـالةَ الى الخصمَـيْن بيـد أوسـيوس أُسـقفِ قرطبـة ذي الشـأن الكبـير ليسـلِّمَها بيـده لهمـا.
- بعـدَ تسـليم الرسـالة عـاد أوسـيوس عـن طريـق الـبرِّ حيـث مـرَّ بأنطاكيـة في سـوريا.
- وبينمـا كان في طريقـه, حـضر مؤتمـراً لِأسـاقفة الكنيسـة الذيـن التقـوا لمناقشـة القضيَّـة الآريوسـيَّة. وفي هـذا المؤتمـر أدانـتْ الغالبيّـةُ آريـوس وآراءَه.
- مـع ذلـك, أُخـبِرَ مؤيـدو آريـوس في هـذا المؤتمـر أنَّ لديهـم فرصـةً للدفـاع عـن موقفهـم. وهكـذا وُلِـدَ مجلـس نيقيه.

تَجمُّعٌ عالميٌّ

- كانَ مجلـسُ نيقيـه هـو الأوّلُ مـنْ سـبعةِ مجالـس مسـكونيّةٍ (عالميّـة) للكنيسـة.
- ينحـدر مصطلـح (ecumenical- مسـكونيّ) مـن كلمـة يونانيَّـة تعنـي (العالَـم). لـم يكـن هـذا المجلـسُ محليَّـاً في طبيعته بَـلْ كان عالميَّـاً إذْ حـضرَ زعمـاءٌ مِـنْ أنحـاء العالـم مِـنْ أجلِ تحديـد أيِّ الاعتقـاداتِ يجـب أنْ يتَّبعهـا المؤمنـون في كلِّ مـكانٍ.
-
- كانَ مجلـس نيقيـه قَـدْ خُطِّـطَ لـهُ ليكـون في أنقـرة

(Ancyra) مدينـــة في آســيا الصغــرى (تركيــا الحاليــة)، لكــن في الآخــر نُقِــل الى مدينــة نيقيــه (Nicaea) وهـــي أيضـــاً في آســيا الصغـــرى.

- الأغلبيَّــةُ العظمـــى مـــنْ الأســـاقفة الذيـــن يبلـــغ عددهـــم ٣١٨ أســـقفاً الذيـــن حـــضروا جـــاءتْ مـــن الجـــزء الشرقـــيِّ مِـــنْ الإمبراطوريَّـــةِ: مِـــنْ مـــصر، وفلســـطين، وســـوريا، وآســـيا الصغـــرى وغيرهـــا. لـــمْ يكـــنْ المســـيحيُّون الغربيُّـــون مُمثَّلـــينَ عـــلى نحـــوٍ جيـــد. والواقـــع أنَّـــه حتَّـــى أســـقف رومـــا (سيلفســـتر) لَـــمْ يحـــضر، بَـــلْ أرســـل مفوَّضَـــيْنِ اثنـــين نيابـــةً عنْـــهُ.
- مـــع ذلـــكَ، اعتُـــبِرَتْ قـــراراتُ المجلـــس مُلزِمـــةً لـــكلِّ المســـيحيِّين في كلِّ مـــكانٍ، وجـــزءٌ غـــير صغـــير مـــن الســـببِ هـــو أنَّ الإمبراطـــور نفسَـــهُ قَـــدْ تـــرأسَ المجلـــس وصـــادقَ عـــلى النتائـــج.

قانونُ العقيدةِ النيقيّة

- بعـــدَ مناقشـــةٍ فيهـــا أخـــذٌ وردٌّ للقضايـــا قـــرَّرَ المجلـــس موقفـــاً ضـــدَّ آراء آريـــوس وأتباعـــه.
- ولـــم يكـــنْ في الواقـــع تصويتـــاً متقاربـــاً. وافـــقَ الجميـــع إلّا عشريـــن (٢٠) أُســـقفاً عـــلى هـــذهِ القـــرارات. وبعـــد أنْ لـــوى قســـطنطين نفسُـــهُ أذرعَهـــم، وافـــقَ ســـبعةَ عـــشر مـــنْ هـــؤلاءِ العشريـــن عـــلى المصادقـــة عـــلى البيـــان الختامـــي.
- كانَ هـــذا البيـــان قانونـــاً غـــيَّرَ مـــنْ الموقـــف الأُورثوذوكـــسيّ ولَعـــنَ كلَّ مَـــنْ فكَّـــر بالضِـــدِّ مـــنْ هـــذا الموقـــف.
-

- يَستحق العديدُ من النقاط الواردة في هذا القانون التوكيدَ.

بوجودِ قانونِ نيقيه, صارَ يسوعُ, الذي كان قدْ صُلِبَ كمجرمٍ عاديٍّ, مساوياً للهِ نفسِهِ

- لِأنَّ مسألة طبيعة المسيح كإلهِ كانتْ هي النقطةُ الرئيسةُ في النزاع, كانتْ بيانات القانون حول المسيح مطوَّلةً, ومعقَّدةً, ومليئةً بظلال المعاني أكثرَ مِنْ أيِّ شيءٍ قِيلَ عنْ اللهِ الأبِ وعنْ الرُّوح القُدُس.
- المسيحُ في هذا القانون ليس إلهاً تابعاً أو ثانويًّاً. هو مِنْ نفْسِ جوهرِ الأبِ. والكلمةُ المستعملة هنا هي (homoousios- منْ نفس الجوهر), وهي كلمةٌ كانتْ سيصبحُ لها شأنٌ مهمٌّ في التاريخ المتأخر للنزاع حولَ شخصيَّة المسيح بعدَ المجلس.

مسيح قانونِ العقيدة النيقيّ

- المسيحُ الذي خرج مِنْ مجلس نيقيه هو بوضوحٍ بعيدٌ كلَّ البُعد عَنْ يسوعَ الناصرة التاريخيِّ.
- كانَ يسوعُ واعظاً بنهاية العالم الوشيكةِ وداعياً جوّالاً منْ المناطق النائية لريف الجليل أساء الى السلطاتِ فصُلِبَ بوحشيَّة بسببِ جريمةٍ ضدَّ الدولة.
- الآنَ, في نيقيه, أُقِرَّ بأنَّهُ إلهٌ مساوٍ للأبِ منذُ الأزَل.

ومهمـا كانَ يُحتَمـلُ أنْ يكـونَ عليـهِ يسـوعُ في الحيـاة الواقعيًّـة,
صـارَ الآن إلهـاً كامـلاً.

الفصل الرابع والعشرون

حين صار يسوعُ إلهاً

رُبَّمـا نعتقـد أنَّـهُ مـع إعلانـات مجلـسِ نيقيـه كان يسـوع إلهـاً عـلى نحـو تـامٍّ وجوهـريٍّ وأبـديٍّ, وكانـتْ هـذهِ نهايـةَ القصَّـة. لكـنْ بالطبـعْ, كلُّ نهايـةٍ تـؤشِّرُ بدايـةً جديـدةً والقـرارُ النهائـيُّ بكـون يسـوع إلهـاً كانَ لـه مضامـينُ وتشـعباتٌ مدويَّةٌ. في هـذهِ المحـاضرة الأخـيرة سـتتأمل هـذهِ المضامـين. وهـي تشـتملُ عـلى المسـيحيّين في علاقتهـم مـع العالَـم الوثنـيِّ واليهـود، وفي علاقتهـم بعضهـم مـع البعـض الآخَـر.

نتائجُ تحوّلِ قسطنطين الى المسيحيّةِ

- مِـنْ الواضـحِ أنَّ نتائـج تحـوّل قسـطنطين وتدخُّلـه في الشـؤون المسـيحيّة كانَ لهـا تأثـيرٌ هائـل عـلى العالـم الرومانـيِّ الأوسـع.
- فـالآنَ, بـدلاً مِـنْ أنْ تكـون المسـيحيَّةُ أقليّـةً صغيرةً نسـبيّاً ومضطَهـدة ضمْـنَ الإمبراطوريَّـة, بـدأت تؤكِّـد نفسَـها كدِيْـنِ

مفضَّـل مـع اعتنـاق جماهـيريٍّ لهـا; عنـدَ نهايـة القـرن الرابـع, كانَ حـوالي خمسـين بالمائـة مـنْ الإمبراطوريَّـة مسـيحيّينَ.

• في ذلـك الوقـتِ, وفي أقَـلِّ مِـنْ سـتينَ عامـاً بعـدَ انعقـاد مجلـس نيقيـه, جعـلَ الإمبراطـورُ الرومانـيُّ ثيودوسـيوس, المسـيحيُّ الشـديدُ الالتـزام, جعـلَ المسـيحيَّةَ ديـنَ الدولـة لـكلِّ الأغـراض العمليَّـة. فأصبـح مِـنْ غـيرِ القانونيِّ ممارسـةُ نشـاطاتٍ وثنيَّـةٍ مـنْ قبيـلِ تقديـم الأضحيـات إلى الآلهـة الوثنيَّـة.

• مـا عـاد الأباطـرةُ أعـداءً للمسـيح ومضطهِديـنَ لشـعبِهِ; كانـوا عابديـن للمسـيح ورعـاةً لشـعبِه.

• ومِنـذُ ذلـكَ الزمـان قُـدِّرَ للمسـيحيَّةِ أنْ تكـون ديـنَ الغَـرْبِ. ومـا كان هـذا لِيحـدثَ لـو لـمْ يكـنْ المسـيحُ قَـدْ أعتُـبِرَ إلهـاً.

• لـو لـمْ يكـنْ قـدْ أعتُـبِرَ إلهـاً لَكانـتْ المسـيحيَّةُ قـدْ ظلَّـتْ ديـنَ جماعـةٍ صغـيرة مِـنْ أشـياع يسـوع مـنْ اليهـود الذيـن اسـتمروا عـلى اعتقادهـم بأنَّـهُ معلِّـمٌ مهـمٌّ لشريعـة مـوسى التـي كانـوا سـيتَّبعونها، وسـيُصِرُّون عـلى اتِّبـاع الأعضـاء الآخَريـن لطائفتهـم لهـا.

• ولَمـا كانـتْ المسـيحيَّةُ لِتنفصـلَ مطلقـاً عـنْ بيئتهـا اليهوديَّـة وتحـوِّل الجماهـيرَ غـيرَ اليهوديَّـة عـنْ دينهـا, وتحـوِّل إمبراطـورَ رومـا الى دينهـا, أو أنْ تصـير دينـاً سـائداً في الثقافـة والحضـارة الغربيَّتَـيْنِ.

• ولَمـا كانَ ليصبـحَ لنـا, مطلقـاً, عصـورٌ وسْـطى, وعـصرُ نهضـةٍ, وعـصرُ إصـلاحٍ, وعـصرُ تنويـرٍ, وفي هـذا جـدل. صـيرورةُ

يسـوع إلهـاً كانَ لهـا نتائـجُ ثقافيَّـةٌ وسياسـيَّةٌ واقتصاديَّـةٌ نـادراً مـا يمكـن إحصاؤهـا.

نهوض معاداة الساميَّة

- بعـضُ آثـارِ صـيرورةِ يسـوعَ إلهـاً كانـتْ ذاتَ ارتبـاطٍ باليهـود الذيـن احتفـظ أغلبُهـم بدينـهِ, وبالطبـع, رفضـوا الإقـرارَ بـأنَّ يسـوع إلهـاً بـأيِّ معنـىً مِـنْ المعانـي.
- لـمْ يكـنْ في دعـواتِ يسـوع الدنيويَّـةِ أيُّ شيءٍ يجعلـهُ غـيرَ يهـوديٍّ بـأيِّ حـال مِـنْ الأحـوال. فقـدْ حافـظَ هـوَ وأتباعُـهُ عـلى الشريعـة اليهوديَّـة, واتَّبعـوا الأعـرافَ اليهوديَّـة, ودرَسـوا الكُتُـبَ اليهوديَّـةَ المُقدَّسـةَ.
- وأعتقـدَ أتباعُـهُ في مُـدَّةِ حياتـه أنَّـهُ مَلِـكٌ يهـوديٌّ للمملكـة القادمـة, لكنَّهـم لـمْ يعتقـدوا أنَّـهُ كان يبـدأ دينـاً جديـداً.
- لكـنْ, بعـدَ موتـهِ, أصبـح هـؤلاءِ الأتبـاعُ في صراعٍ مـع اليهـود الآخريـن- أولئـك اليهـود الذيـن رفضـوا الاعتقـاد بـأنَّ يسـوع كانَ قـدْ أرسـلَهُ اللـهُ كمسـيحٍ يهـوديٍّ, وأنَّـه كانَ قَـدْ بُعِـثَ مِـنْ المـوت بعـدَ صلبـهِ ككائـنٍ إلهـي.
- اعتقـدَ أشـياعُ يسـوع بـأنَّ الاعتقـاد بمـوتِ وبعـثِ مسـيحِهم هـو أمـرٌ جوهـريٌّ في الخـلاص.
- وفي رأي هـؤلاءِ الأشـياعِ أنَّ اليهـودَ الذيـن رفضـوا هـذهِ الرسـالةَ قَـدْ رَفَضـوا خلاصَهـم, الأمـرُ الـذي دلَّ عـلى أنَّهـم مغتربـون عـن اللـه ومحكـومٌ عليهـم بالهـلاكِ الأبـديِّ.
- وفي الحـالِ, أُعتُـبرَ اليهـودُ غـيرُ المسـيحيِّين مـنْ القاسـيةِ

قلوُبُهــم ومتمرِّديــن عــلى اللــه.

- ولــم يمــضِ وقــتٌ طويــلٌ حتَّــى أعلــنَ المســيحيّون أنَّ اليهــودَ قَــدْ رفضــوا اللــهَ, ولهــذا فــإنَّ اللــه قَــدْ رفضَهــم.
- وهكــذا بــدأ تاريــخٌ طويــلٌ لــدى المســيحيِّين في معــاداة اليهــود أدَّى الى أعمــال رهيبــة في معــاداة الســاميَّة في عصرنــا.
- يمكــن رؤيــةُ بدايــاتِ هــذا التاريــخ أصــلاً ضمْــنَ صفحاتِ العهــد الجديــد حيــث يُوصَّــف اليهــودُ كأعــداءٍ للمســيح وكآثمينَ في جَنْــبِ اللــه قاســيِّة قلوبُهــم, بَــلْ وحتَّــى بكونِهــم أطفالَ الشــيطان.
- وصــلَ هــذا الهجــوم الفكــريُّ ضِــدَّ اليهــود الى تعبــيرٍ أكثــرَ عنفــاً وشراســةً في القــرنِ المســيحيّ الثانــي, كمــا يمكــن مشــاهدتهُ, مثــلاً, في موعِظــة اكتُشِــفتْ في الأزمنــة الحديثــة, ألقاهــا أُســقفٌ مِــنْ مدينــة ســارديس يُدعــى ميلتــون.
- هــذِهِ الموعظــة هــي هجــومٌ عــلى اليهــودِ لرفضهم الشــخصَ الــذي أرسلَهُ اللــهُ إليهــم مِــنْ أجْــل خلاصِهم.
- وأكثــرُ مِــنْ ذلــك, لأنَّ المســيح كانَ إلهــاً, اعتقــد ميلتــون أنَّ اليهــود, الذيــن كانــوا مســؤولينَ عــنْ موتــهِ, كانــوا مذنبــين لِقتلهــم إلهاً.
- وهــذه هــي التُهمــةُ الأولى التــي سُــجِّلَتْ ضِــدَّ اليهــود, وبالطبــع, تمتــدُّ في جذورهــا إلى الاعتقــاد بــأنَّ يســوعَ نفسَــهُ هــو حقَّــاً إلــهٌ.
- لا تملــكُ أقليّــةٌ صغــيرةٌ مضطَهــدةٌ الّا الــردَّ ببلاغــةٍ عاجــزة. لكــنْ, مــا الــذي حــدث عندمــا أصبــح هــذا الاعتقــاد هــو رأي الأغلبيّــة وأصبــح مدعومــاً بقــوّةٍ إمبراطوريَّــة؟ الجــواب هــو أنَّ

البلاغـةَ الكلاميَّـة المسـتعملة في مهاجمـة اليهـود لفظيّـاً حُوِّلَـتْ الى قـوَّةٍ سياسـيّةٍ ولِـذا فقـد هُوجـم اليهـود جسـديّاً- في تشريـع الدولـة, وسـوء المعاملـة الإمبراطوريَّـة, وعنـف الغوغـاء.

• أضحـى اليهـودُ مُهمَّشـين قانونيـاً في ظـلِّ الأباطـرة الرومـان وصُـيِّروا مواطنـين مِـنْ الدرجـة الثانيـة مـعَ حقـوق قانونيـة مقيَّـدة وإمكانيّـاتٍ اقتصاديّـةٍ محـدودةٍ.

• عنـدَ نهايـةِ القـرن الرابـع, صـار مِـنْ غـير القانونـي أنْ يتحـوَّل المسـيحي الى اليهوديَّـة, أو أنْ يتزوج المسـيّحي مـنْ يهوديَّةٍ, كذلـك صـارَ غـيرَ مـشروعٍ أنْ يعمـلَ اليهـودي في منصـبٍ عـام. في العـام ٤٢٣م, أُصبـحَ مـنْ غـيرِ الجائـزِ قانونيَّـاً لليهـود أنْ يبنـوا أو أنْ يُعمِّـروا كنيسـاً.

• صَحَـبَ هـذهِ الأشـكالَ مِـنْ التشريعـات أعمـالُ عنـفٍ ضِـدَّ اليهـود, مِـنْ قبيـل إحـراق أماكـن عبادتهـم, وهـي إعمـالٌ إنْ لـمْ ترعَهـا الدولـةُ فقَـدْ غضـتْ الطَـرْفَ عنْهـا.

• مـا إنْ مُنِـحَ الذيـن آمَنـوا بأُلوهيَّـة يسـوع سـلطةً دنيويَّـةً حتّـى اسـتعملوا هـذهِ السـلطة ضِـدَّ مَـنْ عادوهـم لأَمَـدٍ طويـل, ضِـدَّ اليهـود الذيـن رفضـوا المسـيحَ الإلَـه.

الآثار الداخليّة في الكنيسة

• الى جانـبِ الصراعـاتِ الخارجيّـة, كانَ لإعـلان يسـوعَ إلهـاً في مجلـس نيقيـه تأثـيرٌ في الأعمـال الداخليَّـة للكنيسـة أيضـاً, خصوصـاً, حيـث عمـلَ اللاهوتيّـون عـلى فَهْـم المعانـي الدقيقـة للمعتَقـد بدِّقـة أكـبر.

- هنــاك واحــدةٌ مِــنْ النتائــج التاريخيَّــة لمجلــس نيقيــه ليســتْ معروفــةً عــلى نحــوٍ واســع. فكمــا ظهــرَ, لــمْ تــؤدِّ إدانــةُ آريــوس الى زوال حزبِــه, أو آرائِــهِ.
- عــلى النقيــض مــن ذلــك, عــلى الرَّغْــمِ مِــنْ إدانــة المجلــس آريــوس, اســتمرَّ آريــوس في تأثــيرِهِ الهائــل وسْــط الزعمــاء المســيحيِّين والنَّــاس العاديِّــين عَــبْرَ الإمبراطوريَّــةِ.
- وعندمــا خــرجَ قســطنطين مِــنْ المشــهد, فَضَّــلَ أباطــرةٌ آخــرونَ الفَهْــمَ الآريــوسيِّ للمســيح باعتبــاره إلهــاً تابعــاً جــاءَ الى الوجــود في وقــتٍ مــا في المــاضي البعيــد.
- وذلــك هــو الســببُ في أنَّــهُ بعــدَ خمســة وخمســين عامــاً مِــنْ مجلــس نيقيــه أمكــنْ أن يشــتكي أبــو الكنيســة جــيروم قائلاً: «تــأوَّهَ العالَــمُ ودُهــش أنْ يــرى نفسَــهُ آريوســيّاً».
- اســتمرَ النــزاعُ حتَّــى المجلــسِ المســكونيِّ الثانــي, مجلــسِ القســطنطينية في العــام ٣٨١ للميــلاد. وفي هــذا المجلــس, أُعيــدَ طــرْحُ وتصديــقُ قــراراتِ مجلــس نيقيــه, وصــارتْ الآريوســيّة مِــنْ هــذا الوقــتِ فصاعــداً مذهــبَ أقليَّــةٍ هامشــيَّةٍ قَــدْ اعتُــبرَت مُوغلــةً في الهرطقــة الى حــدٍّ بعيــدٍ.
- لكــنْ, حتَّــى هــذا لــمْ يُنْــهِ النــزاعَ اللاهوتــيَّ. فحتّــى عندمــا قبــل المفكّــرون المســيحيُّون الكبــارُ إقــراراتِ وتوكيــداتِ مجلــس نيقيــه, اســتمرَّ جــدلٌ أكثــر حــدَّةً حــول قضايــا لاهوتيَّــةٍ رئيســةٍ. فمــا بــدا مــرَّةً واضحــاً لا لبــسَ فيــه مِــنْ القــرارات حــولَ المســيحِ واللــهِ أضحــى في وضــعِ تَحَــدٍّ, وإعــادةِ دراســةٍ, وتأمُّــلٍ وتعديــلٍ, وجُعِــلَ أكثــرَ خصوصيّــة وأكثــرَ دِقَّــةٍ.

- كمثـــالٍ واحـــدٍ فَحسْـــبُ, في منتصـــف القـــرن الرابـــع الميلادي, حـــاول اللاهوتـــيُّ الأورثوذوكـــسيُّ مِـــنْ أنقـــرة مارســـيلوس أنْ يَفهَـــم كيـــفَ يمكـــنُ أنْ يكـــون اللـــهُ (واحـــداً) إنْ كانَ أبـــاً وابنـــاً ورُوحَ قُـــدُسٍ.
- كان حـــلُّ مارســـيلوس هـــو أنَّ المســـيحَ والـــرُّوح القُـــدُسَ همـــا في الحقيقـــة مصاحبـــان للـــهِ في الأزليَّـــة, لكـــنْ, قبْـــلَ ظهورِهمـــا مِـــنْ أجْـــلِ خـــلاص العالَـــم, قَـــدْ كانـــا ســـاكنَيْن في اللـــهِ كجُـــزءٍ مِنْـــهُ.
-
- فضـــلاً عـــنْ هـــذا, في نهايـــة الزمـــانِ عندمـــا يكتمـــلُ الخـــلاص, ســـيعود المســـيحُ والـــرُّوحُ الى داخـــلِ اللـــهِ, بـــدونِ وجـــودٍ منفصـــلٍ لُـــكلِّ الأبديَّـــة. بتعبـــيرٍ آخـــر, ســـتنتهي مملكـــةُ المســـيح; سيســـلِّم المســـيحُ المملكـــةَ الى اللـــه, وســـيكونُ الأبُ كلَّ شيءٍ.
- رفـــضَ المفكّـــرونَ الأُورثوذوكســـيُّون الآخـــرونَ هـــذا الـــرأي واعتـــبروه يشـــبه كثـــيراً التمظهريَّـــة (modalism) التـــي يكـــون فيهـــا الأبُ, والابـــنُ, والـــرُّوحُ الشَـــخصَ نفسَـــهُ. وهكـــذا, فقـــد أُعلِـــنَ رأيُ مارســـيلوس هرْطقـــةً, وأُضيـــفَ ســـطْرٌ الى قانـــون العقيـــدة النيقيَّـــة للإشـــارة الى أنَّ مملكـــة المســـيح (لـــنْ يكـــونَ لهـــا نهايـــةٌ).
- كمثـــالٍ ثـــانٍ وأخـــيرٍ, يمكننـــا تأمُّـــل آراء أبوليناريـــس الـــذي انشـــغل بمســـألة كيـــف أمكـــنَ أنْ يكـــون يســـوعُ المســـيح بـــشراً وإلهـــاً في الوقـــتِ نفسِـــهِ دونَ أن يكـــون شـــيئَيْنِ بـــدلاً مـــن شيءٍ واحدٍ.
- حـــلُّ أبوليناريـــس المشـــكلةَ بتبيانـــهِ أنَّ البَـــشَرَ مكوَّنـــونَ مـــنْ ثلاثـــة أجـــزاء تكوينيَّـــة: الجَسَـــدُ, و(النَفْـــسُ الدنيـــا) التـــي هـــي أصـــلُ انفعالاتنـــا وعواطفنـــا, و(النَفْـــسُ العليـــا) التـــي هـــي أصـــلُ

ملكتنــا العقليَّــة.

- اعتقــد إبوليناريــس أنَّ يســوع المسـيح، الــذي هــو كلمــةُ اللــه، اللوجــوس، قَــدْ حــلَّ محــلَّ النَّفْــسَ العليــا؛ وعــلى هــذا، فالمســيح يمتلــك عقــلَ إلــهٍ داخلَــهُ، عــلى الرَّغْــم مِــنْ كونــه جسَــداً بشريَّــاً مليئــاً بالانفعــالات والعواطــف البشريّــة عــلى نحــوٍ تــامٍ وحقيقــيٍّ.
- أُديــن هــذا الــرأيُ لأنَّــه يقــترحُ أنَّ المســيحَ لــمْ يكــنْ بشريَّــاً تامَّــاً حقَّــاً لأنَّــهُ يفتقــد النَّفْــسَ العليــا، أو روحَ الإنســان، وهــذا مِــنْ شــأنه أنْ يعنــي أننَّــا كبــشرٍ تامِّــين لا يمكننــا تقليــدُ حيــاةِ ومثــالِ المســيح لِأنَّــه لــمْ يكــنْ يُشــبهُ أحــداً مِنَّــا. كذلــك كانَ معنــى هــذا أنَّ المسـيحَ لــمْ يســتطع افتــداء عمــومِ الكائــن البــشريّ لِأنَّــهُ لــمْ يكــنْ بــشَراً عــلى نحــوِ التمــام.
- والنتيجــةُ، أُديــنَ هــذا الــرأيُ أيضــاً باعتبــاره هَرْطَقَــةً وبــدأ اللاهوتيّــونَ المســيحيُّون الإصرار عــلى أنَّ المســيحَ لــمْ يكــنْ في جــزءٍ منْــهُ إلهــاً وفي الجــزء الآخَــر بــشراً؛ لقَــدْ كان إلهــاً كامــلاً وإنســاناً كامــلاً في الوقــتِ نفســه.

تغيُّرُ فَهْمِ المسيح

- عندمــا نــرى الجــدَلَ اللاهوتــيَّ للقــرن الرابــع الميــلادي، يتَّضــح لنــا أنَّنــا في عالَــمٍ مختلــفٍ تمامــاً عــنْ عالــم يســوع التاريخــيِّ وأتباعِــهِ.
- كانَ يســوع واعظــاً يهوديَّــاً يعِــظُ بنهايــةِ وشــيكةٍ للعالَــم، وتوقَّــعَ أنَّ ابــنَ الإنســان- وهــو شــخص مــا غــيرُ يســوع- ســيأتي

في القريب العاجل مِنْ السماءِ ليدمّرَ قوى الشّر ويُقيمَ مملكةَ الله على الأرض, وأنَّ هذا كان سيحصل قريباً في حياة تلامذتِهِ.

- في القرنْ الرابع الميلادي, ما عاد يسوع واعظاً يهوديّاً أُخرويّاً يبشّر بنهاية العالم الوشيكة. لقد كانَ الإله القدير, مِنْ نفْسِ جوهرِ الأبِ, ومَنْ خلقَ الكَوْنَ, ومَنْ كانَ معَ الأبِ مُنذُ الأزَلِ, ومَنْ كوَّنَ مع اللهِ والرُّوحِ الثالوثَ الإلهيَّ الذي كانَ وسيظلُّ دائماً موجوداً كإلهٍ واحد فوقَ الجميع.
- صارَ الدينُ المسيحيُّ مبنيّاً على هذا الرأيِ عنْ المسيح.
- بدأ كُلُّهُ باعتقاد تلامذة يسوع بأنَّ يسوع كانَ قَدْ بُعِثَ مِنْ الموت. وجعَلهم هذا يعتقدون أنَّ الله صيَّرَه كائناً إلهيّاً.
- أخيراً, اعتقدَ أتباعُ يسوع أنَّهُ كانَ قَدْ صُيِّرَ الهيّاً ليس ابتداءً مِنْ وقتِ بَعْثِهِ مِنْ الموت, بَلْ مِنْ وقت تعميده. بعد ذلك, اعتقدوا أنَّهُ قَدْ كانَ إلهيّاً طوال حياته لِأنَّ اللهَ قَدْ جعل أمَّهُ العذراء حاملاً بهِ. وليس بعدَ هذا بوقتٍ طويل, اعتقدوا أنَّ يسوع قد كان موجوداً قبلَ ولادتِهِ ككائنٍ ملائكيٍّ كانَ قَدْ صارَ مؤقتاً بَشَراً.
- إذاً , بدأ أتباعُ يسوع القولَ بأنَّهُ أعظمُ مِنْ ملاك, أعظم حتى مِنْ ملاك رئيسٍ, وبأنَّه كائن إلهيٌّ كانَ قَدْ خُلِقَ قَبْلَ كلِّ الأشياء الموجودة في العالَم الطبيعيِّ, وفوقَ الطبيعيِّ.
- أخيراً, أعلنَ أشياع يسوع أنَّهُ إلهٌ على نحوِ التمامِ والكمال, مِنْ نفْسِ ماهيَّةِ اللهِ الأبِ, مساوٍ لهُ في كُلِّ الوجوه,

ومعَــهَ في أزليَّــة قبْــلَ البدايــةِ وبعــدَ النهايــة وعضــوٌ في الثالــوث المبــارَك المؤتلــف مِــنْ الأبِ, والابــنِ, والــرُّوحِ القُــدُس في وحــدة مقدَّســةٍ لا انفصــامَ لهــا مطلقــاً.

- هــذا الإلــهُ المسـيح الـذي ظهـر في القَـرنْ الرابـع الميـلادي هـو عـلى النحـو الواضـح بعيـدٌ كُلَّ البعـد عَـنْ يسـوع النـاصريِّ الـذي كانَ قَـدْ صُلِـبَ بسـببِ جرائـم في حـقِّ الدولـة. لكـنَّ هـذا الإلـهَ المسـيح هـو مَـنْ انتـصر عـلى الإمبراطوريَّـة الرومانيَّـة, وهـوَ مَـنْ اسـتمَّر في البقـاء هدفـاً لإيمـان مليـارات مِـنْ النـاس في عالَمنا المعـاصر.

اعتقد تلامذةُ يسوعَ أنَّهُ قَدْ بُعِثَ مِنْ الموتِ



صيَّرَ اللهُ يسوعَ كائِناً إلهيَّاً



كانَ يسوعُ إلهيَّاً مُنذُ تعميدِهِ



كانَ يسوعُ إلهيَّاً طوالَ مُدَّة حياتِهِ



كانَ يسوعُ قَدْ وُجِدَ قَبْلَ ولادتِهِ ككائِنٍ ملائكيٍّ



يسوعُ أعظمُ مِنْ مَلاكٍ, هو كائنٌ إلهيٌّ تابعٌ للهِ



يسوعُ إلهٌ على نحوِ التمامِ والكمالِ

عِـبْرَ العصـورِ, تطـوَّرَ الاعتقـادُ المسـيحيُّ مِـنْ اعتقـادِ تلامذةِ يسـوعَ بـأنَّ يسـوعَ كانَ قَـدْ بُعِـثَ مِـنْ المـوت الى اعتقادهـم بـأنَّ يسـوعَ هـو إلـهٌ عـلى نحـوِ التمـامِ والكمـالِ.

كيف صار يسوع إلها

بارت دي. أيرمان

في إطار التطور التاريخي للعقيدة المسيحية الذي كان تاريخاً من النزاع والجدل، أقرَّ عددٌ من الأناجيل والرسائل باعتبارها قانوناً ومرجعيةً موثوقةً، وهُجِر عددٌ كثيرٌ آخر، ورُفضت مضامينُها. ولم يكن هذا إلّا لميلٍ الى اعتقادٍ معيّنٍ وانتصارٍ لرؤيةٍ محدّدةٍ. والظاهر أنّ الرؤى التي تضمّنها كلا الصنفين من الأناجيل كانت كلُّها مسيحيّةً، بمعنى كونها أفكاراً أصيلةً في التفكير المسيحيّ الأوّل الذي كان متنوعاً، فصفّاه واختزله الصراعُ الفكريّ الى مجموعة محدّدة.

هذا هو رأي المحقّقين المعاصرين في التراث المسيحي، سواءً أكان في مستوى الكتاب المقدّس الذي درسوه بمناهج متعددةٍ من لغويّةٍ، وتاريخيّةٍ، واجتماعيةٍ، أم كان في مستوى حياة المسيح التاريخيّة والمظانّ التي بُحِثت فيها، وقد دُرِست مرتبطةً بتاريخ المنطقة التي ظهر فيها وبمعتقداتها، والبيئة الفكريّة التي عاش فيها، وما أحاط بها من بيئات دينيّةٍ واجتماعيّة.

مصمم الغلاف: حسن أحمد عزت



ألواح

الواح..اقلامنا التي ترى